http://www.shamela.ws

تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

الكتاب: المنهاج الواضح للبلاغة

المؤلف: حامد عونى

الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث

الطبعة: –

عدد الأجزاء: ٥

[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي]

المجلد الأول

مقدمة

...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أبلغ بني العروبة منطقًا، وأفصحهم لسانًا، وأدراهم بمداخل القول، ومناحي الكلام، وعلى آله وصحبه اللسن المقاويل، أولي الحجة الدامغة، والحكمة البالغة.

أما بعد، فقد شاء الله أن أدرس هذا الفن للسنة الأولى من القسم الثاني؛ فرأيت الكتاب المقرر –على ما فيه مما يشهد لصاحبه بالفضل– مضغوطًا ضغطًا دعا إليه ما احتواه من المباحث العديدة في الفنون الثلاثة –وهو أمر يتعارض مع ما تتطلبه حاجة الناشئين في هذه الفنون من بسط وإيضاح فيما قرر عليهم منها؛ لتنكشف لهم أوجه المعاني، وينبسط ما تعقد منها، فيسهل عليهم تحصيلها– رأيت ذلك إلى ما شهدته من تشتيت وتشريد فيما تعين لهم من موضوعاته، مما أدى إلى تبرم الطلاب، ورفع عقيرتهم بالشكاية في كل مناسبة.

لهذا رأيتني –وقد لمست حاجة الطلاب الملحة، وهم حديثو العهد بالفن– مضطرًّا إلى وضع كتاب يجمع شمل هذه المباحث، ويضم شتاتها في عبارة مكشوفة المعنى، واضحة المراد، مصوغة في القالب الحبيب إلى نفوسهم، القريب من أفهامهم، متوخيًا جهد المستطيع تذليل العاصي، وإدناء القاصي حتى لا يتوعر الطريق، ولا يتعثروا

في المسير.

هذا، وقد وضعت "كعادتي" بعد كل مرحلة تمرينين توليت الإجابة على أحدهما؛ تدعيمًا لقواعد العلم في نفوس النشء، وتركت الآخر لأفهامهم؛ مرانًا لهم على الاستقلال في التفكير.

(٢/١)

وقد ذيلنا هذه النسخة بمجموعة من الأسئلة التي وضعتها الإدارة العامة للنقل من الأولى للثانية في سنين مختلفة؛ لتكون كنماذج يسير الطالب في تحصيله على هداها.

والله الكريم أسأل أن يجيء هذا الغرس شهي الثمر، داني القطوف، وأن يجزيني به قبولًا من عنده ورضوانًا.

المؤلف

(٣/١)

منهج البلاغة للسنة الأولى الثانوية:

تشمل الدراسة في هذه السنة ما يأتي:

١- معنى الفصاحة والبلاغة.

٢- علم البيان، تعريفه، الدلالة، التشبيه وأقسامه، الحقيقة والمجاز.

٣- الكناية، تعريفها، أقسامها.

٤- البديع، أنواع منه.

(٤/١)

كلمة موجزة في تاريخ علوم البلاغة:

لم يصنف العلماء في هذه الفنون الثلاثة -المعاني، والبيان، والبديع- إلا بعد الفراغ من تدوين علوم اللسان: النحو، والصرف، واللغة.

ويمكن القول بأن أول كتاب دون في هذه العلوم كان في علم البيان، وهو كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة

المتوفى سنة ٢٠٦هـ وضعه على إثر سؤال وجه إليه في مجلس الفضل بن الربيع١ عن معنى قوله تعالى في شجرة الزقوم: {طَلْعُهَا ٢ كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} وكيف شبه الطلع برءوس الشياطين وهي لم تعرف بعد؟ أي: وينبغي التشبيه بشيء معروف حتى يتبين المشبه ويتضح، فأجاب أبو عبيدة بأنه على حد قول الشاعر:

أيقتلني والمشرفي٣ مضاجعي ... ومسنونة زرق٤ كأنياب أغوال؟

يريد: أن المشبه به هنا غير معروف كذلك، وأن الغرض من التشبيه عرض المشبه في صورة مستفظعة مخوفة، والعرب تشبه قبيح الصورة بالشيطان أو الغول، فيقولون: كأنه وجه الشيطان، أو كأنه رأس الغول، وإن لم يروهما لاعتقادهم أنهما شر محض، لا يخالطهما خير، فيرتسم في خيالهم بأقبح صورة.

ثم قام أبو عبيدة من فوره، وتقصى ما ورد في القرآن من الألفاظ التي أريد بها غير معناها الأول في اللغة، وجمعها في هذا الكتاب، وسماه "مجاز القرآن".

وأبو عبيدة هذا هو معمر بن المثنى اللغوي البصري، تلميذ يونس بن حبيب

---

١ أحد وزراء المأمون.

٢ الطلع هنا يراد به الحمل، وأصله: طلع النخل، سمي به حمل هذه الشجرة.

٣ وصف للسيف منسوب إلى مشارف الشام، وهي قرى كانت تجيد صناعة السيوف.

٤ المراد بها أسنة الرماح.

شيخ سيبويه، إمام النحاة، وأستاذ أمير المؤمنين هارون الرشيد. ثم تبعه العلماء من بعده، فوضعوا رسائل في الاستعارة والكناية لم تميز علم البيان تميزًا خاصًّا، وبقيت الحال كذلك مدة العصر العباسي الأول.

أما علم المعاني: فلم يعلم بالضبط أول من تكلم فيه، وإنما أثر عن بعض فحول الكتاب والخطباء كجعفر بن يحيى١ وسهل بن هارون٢ وغيرهما كلام في هذا النوع من البلاغة، ولكنه لم يطبع هذا العلم بطابع خاص يتميز به عن سواه.

وأول من أسهم لهذا العلم من عنايته، وخصَّه بمستفيض بحثه، ودوّن فيه ونظم عمرو بن بحر الجاحظ٣ في كتابيه: البيان والتبيين، وإعجاز القرآن، وغيرهما، وتقفاه العلماء من بعده كأبي عباس المبرد٤ صاحب الكامل وقدامة بن جعفر الكاتب٥، ووقف الأمر عند هذا الحد مدة هذا العصر.

أما علم البديع: فإن أول من كتب فيه كتابًا خاصًّا –على ما قيل– عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي المتوفى

سنة ٢٩٦هـ. وكان الشعراء من قبله يأتون في أشعارهم بضروب من البديع؛ كبشار بن برد٦ ومسلم بن الوليد٧ وأبي تمام٨ وغيرهم، فجاء ابن المعتز وجمع من أنواعه سبعة عشر نوعًا، وكان ممن يعاصره

---

١ أحد وزراء هارون الرشيد.

٢ فارسي الأصل اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة، وكان أديبًا شاعرًا حكيمًا، يتعصب للعجم على العرب.

٣ هو إمام الأدب أبو عثمان عمرو بن بحر البصري، صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة.

٤ هو أبو العباس محمد بن يزيد النحوي.

٥ كان نصرانيًّا، أسلم واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، ألف في ذلك كتبًا.

٦ هو أبو معاذ أشعر مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، كان مع هذا كفيفًا.

٧ هو صريع الغواني أبو الوليد، أحد الشعراء المسلمين في الدولة العباسية.

٨ هو حبيب بن أوس الطائي، عربي الأصل، أحد الشعراء الأعلام.

قدامة بن جعفر سالف الذكر، فجمع منه عشرين نوعًا اتفق مع ابن المعتز على سبعة منها، وسلم له ثلاثة عشر تضاف إلى السبعة عشر التي جمعها ابن المعتز، فيكون جملة ما جمعاه ثلاثين نوعًا، هي أقصى ما جمع في ذلك العصر.

وجاء العصر التالي، فزاد كل من أبي هلال العسكري١ صاحب الصناعتين وابن رشيق٢ صاحب العمدة أنواعًا كثيرة، لم تخرج في جملتها عما جمعه ابن المعتز وقدامة.

ولم تميز هذه العلوم، وتبوب وتفصل إلا في العصر التالي. وأول من نزع عن قوسه، ورمى إلى هذا الهدف شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر٣ صاحب دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة.

وبقيت الحال كذلك، حتى جاء فارس الحلبة أبو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، فبسط هذه العلوم في كتابه "المفتاح" وهذب مسائلها ورتب أبوابها، فكان كل من جاء بعده عيالًا عليه.

وجه الحاجة إلى دراستها:

إن لهذه العلوم الفضل الأول في بيان أسرار اللغة، والكشف عن كنوزها، والبحث عن نفائسها، وفي معرفة ما لها من ميزة السبق على سائر اللغات حتى نزل بها القرآن الكريم، فوسعته معنى وأسلوبًا –على ما فيه من روعة وجلال– فكان ذلك شهادة لها بإحرازها قصب السبق، واستوائها على عرش السيادة. كذلك لها الفضل

الأول في الكشف عن سر إعجاز القرآن بما حواه من بارع اللفظ، ورائع الأسلوب، وما تضمنه من بيان ساحر هو فوق متناول الإدراك، حتى وقف بنو العروبة وحاملو لوائها أمامه واجمين، وخر له عباقرة البيان ساجدين.
من أجل هذا، كانت حاجتنا إلى دراسة هذه العلوم فوق حاجتنا إلى شأن آخر من شئون الحياة، وما ظنك بما يكشف لك عن سر ما للغة آبائك من قوة واعتزاز، وما احتواه كتاب ربك رمز العظمة وآية الإعجاز!

---

١ هو الحسن بن عبد الله بن سهل، المتوفى سنة ٢٩٥هـ.
٢ هو أبو علي الحسن بن رشيق، المتوفى سنة ٤٠٩هـ.
٣ هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، المتوفى عام ٤٧١هـ.

معنى الفصاحة والبلاغة:
الفصاحة معناها في اللغة: البيان والظهور. يقال: أفصح الصبي في منطقه، وفصح فيه: إذا بان وظهر كلامه، كما يقال: أفصح الأعجمي، وفصح: إذا انطلق لسانه بالعربية لا تشوبه لكنة. ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى، عليه السلام: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} أي: أبين مني قولًا.
ويقال: أفصح الصبح: إذا بدا ضوءه ولمع، ومنه المثل المشهور: أفصح الصبح لذي عينين١ كما يقال: هذا يوم مفصح أي: جلي لا غيم فيه.
ويقال: أفصح اللبن: إذا نزعت رغوته فظهر، ومنه المثل المعروف: وتحت الرغوة اللبن الفصيح٢، فظهر لك مما تقدم من الأمثلة أن الفصاحة في اللغة لم تخرج عن معنى الظهور والبيان.
أما معناها في اصطلاح البلغاء فيختلف باختلاف موصوفها، وهو أحد أمور ثلاثة: الكلمة، والكلام، والمتكلم.
يقال: هذه كلمة فصيحة؛ إشارة إلى كلمة معينة كلفظ "الأجل" ويقال: هذا كلام فصيح؛ إشارة إلى مركب معين كقولنا: الله الأجل، ويقال: هذا فصيح؛ إشارة إلى متكلم خاص كأبي بكر، أو عمر، أو علي أو غيرهم من فصحاء العرب، وإليك بيان كل على الترتيب.
فصاحة الكلمة:
فصاحتها: أن تسلم من العيوب الثلاثة الآتية:
١- تنافر الحروف.

٢- مخالفة الوضع.

٣- الغرابة.

وبسلامتها من هذه العيوب تسلم مادتها، وصيغتها، ومعناها من الخلل. وهاك العيوب الثلاثة على هذا النسق:

---

١ يضرب للشيء يظهر بعد استتاره.

٢ يضرب للأمر ظاهره غير باطنه.

٣ إنما آثرنا هذا التعبير على قولهم: مخالفة القياس؛ لأنه أدل على المعنى المراد منه على ما يأتي.

تنافر الحروف:

هو وصف في الكلمة التي ينشأ عنه ثقلها على اللسان، وتعسر النطق بها، وهو نوعان: تنافر شديد، وتنافر خفيف.

فالشديد كلفظ "الظش" للموضع الخشن و"كالهعخع" لنبات ترعاه الإبل، في قول أعرابي سئل عن ناقته: تركتها ترعى الهعخع. فهاتان الكلمتان غير فصيحتين؛ لما فيهما من تنافر الحروف تنافرًا شديدًا، يشعر به كل ناطق، وهو خلل واقع في مادتهما.

الخفيف كلفظ "النقاخ" بضم النون للماء العذب الصافي، و"كمستشزرات" في قول امرئ القيس١:

غدائره مستشزرات إلى العلا ... تضل العقاص في مثنى ومرسل٢

يصف الشاعر حبيبته بكثرة الشعر وغزارته، وأنه لكثافته مقسم إلى أقسام؛ فبعضه مرتفع، وبعضه مرسل، وبعضه مثنى، وبعضه معقوص ملوي، وأن المعقوص منه يتيه ويختفي فيما ثني وأرسل منه. فهاتان الكلمتان غير فصيحتين؛ لما فيهما من تنافر الحروف، وهو خلل واقع في مادتهما كذلك.

تنبيه:

قيل: إن الضابط المعول عليه في ضبط التنافر: قرب مخارج الحروف أو بعدها، بمعنى: أن تكون الحروف متقاربة في المخرج أو متباعدة فيه؛ فلفظ "الهعخع" مثلًا متنافر ثقيل لتقارب حروفه في المخرج، ذلك: أن الهاء والعين والخاء خارجة كلها من مخرج واحد هو الحلق، إلا أن بعضها خارج من أقصاه، وبعضها من قريب منه.

---

١ هو أسبق شعراء الجاهلية إلى ابتداع المعاني وحسن التعبير عنها، وأول من وقف على الديار واستبكى

الأطلال.

٢ الغدائر: جمع غديرة، وهي المسماة في عرفنا بالضفيرة، والضمير راجع إلى "فرع" في الشطر الأول من البيت قبله، وهو "وفرع يزين المتن أسود فاحم" أي: فرع محبوبته و"مستشزرات" بكسر الزاي أو فتحها بمعنى: مرتفعات أو مرفوعات، و"العقاص" جمع عقيصة وهي خصلة ضده.

(٩/١)

ولفظ "مستشزرات" متنافر ثقيل أيضًا؛ لتقارب حروفه في المخرج كذلك، إذ إن حروفه –ما عدا الميم– خارجة من مخرج واحد هو اللسان، غير أن بعضها خارج من طرفه، وبعضها من وسطه. ولفظ "ملع" بمعنى: أسرع متنافر ثقيل؛ لتباعد حروفه في المخرج، إذ إن الميم خارجة من الشفتين، والعين من أقصى الحلق، وهكذا.

ورد هذا القول بأن الضابط المذكور غير مطرد؛ لأننا لا نجد تنافرًا في لفظتي "الجيش والشجي" مع تقارب الشين والجيم في المخرج، ولا نجد تنافرًا في {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ} مع تقارب الهمزة والعين والهاء في المخرج، كذلك كما لا نجد تنافرًا في مثل "علم وملح" مع تباعد المخرجين في العين والميم في الأول، والميم والحاء في الثاني.

وإذن فقرب المخارج أو بعدها لا يصلح ضابطًا يعول عليه في ضبط التنافر لعدم اطراده كما عرفت، بل الحكم في ذلك للذوق السليم؛ فما عده الذوق السليم ثقيلًا متعثر النطق فهو متنافر، سواء أكان متقارب الحروف أو متباعدها ا. هـ.

مخالفة الوضع: هي أن تكون الكلمة مخالفة لما ثبت عن الواضع، سواء أكانت مخالفة للقياس الصرفي أيضًا أم لا، فمدار المخالفة على ما ثبت عند الواضع كما ستراه بعده.

فمثال ما خالف الأمرين معًا لفظ: "بوقات" جمع مؤنث مفرده "بوق" بمعنى المزمار، في قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

فإن يك بعض الناس سيفًا لدولة ... ففي الناس بوقات لها وطبول

يقول: إذا كنت سيفًا لدولتك له خطره وأثره، فغيرك من الملوك بمثابة البوق والطبل لا أثر له، ولا غناء فيه.

فلفظ "بوقات" في البيت غير فصيح؛ لمخالفته ما ثبت عن الواضع والقياس الصرفي؛ إذ الثابت عن الواضع جمعه جمع تكسير، والقياس الصرفي يقتضي جمعه مكسرًا أيضًا فيقال: "أبواق"؛ لأن جمع المؤنث السالم له مواضع خاصة، ليس هذا الاسم منها، وذلك خلل واقع في الصيغة. ومثله لفظ "ضننوا" بمعنى: بخلوا، من قول الشاعر:

(١٠/١)

مهلًا أعاذل قد جربت من خلقي ... أني أجود لأقوام وإن ضننوا

يقول الشاعر لمن لامته على إحسانه لمن بخلوا عليه: اقصدي من لومك، فقد عرفت أن من خلقي مجازاة من يسيء إليَّ بالإحسان إليه؛ لأني إنما أصنع المعروف للمعروف، لا لشيء وراءه. فلفظ "ضننوا" غير فصيح؛ لأنه مخالف لما ورد عن الواضع، وللقياس الصرفي، إذ الوارد عن الواضع: "وإن ضنوا" بالإدغام لا بالفك، والقياس الصرفي أيضًا يقتضي إدغام المثلين. ومنه لفظ "الأجلل" في قول الشاعر:

الحمد لله العلي الأجلل ... أنت مليك الناس ربا فاقبل

فلفظ "الأجلل" غير فصيح؛ لأنه مخالف لما ثبت على الواضع، وللقياس الصرفي كما في المثالين قبله.

ومثال ما خالف الثابت عن الواضع، ووافق القياس قولك: "يأبي" بكسر الباء مضارع "أبى" فهو غير فصيح؛ لأنه مخالف لما ثبت عن الواضع، إذ الثابت عنه "يأبى" بفتح الباء لا بكسرها، في حين أنه موافق للقياس الصرفي؛ لأن "فعَل" بفتح العين لا يأتي مضارعه على "يفعَل" بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق "كسأل يسأل" و"منع يمنع"، وليس "أبى يأبى" من هذا القبيل. كذلك لا يأتي مضارعه على "يفعُل" بالضم إلا إذا كان مضعف العين متعديًا "كمده ويمده"، أو أجوف واويًّا "كقال يقول"، أو ناقصًا واويًّا "كسما يسمو" وليس "أبى يأبى" أحد هذه الأنواع، فكسر عين مضارعه حينئذ موافق للقياس الصرفي، ولكنه مع ذلك غير فصيح لمخالفته ما ثبت عن الواضع.

فالشرط إذًا في مخالفته الوضع: أن تخالف الكلمة ما ثبت عن الواضع، سواء خالفت القياس الصرفي أيضًا أو لا "كما عرفت".

تنبيه:

علم مما تقدم: أن ما ثبت عن الواضع، سواء وافق القياس الصرفي أو خالفه فصيح؛ فنحو "آل وماء" من قولك: "هؤلاء آلك فاعطف عليهم، وهذا ماؤك

فاشربه" مخالف للقياس الصرفي؛ لأن الأصل فيهما: "أهل وموه" أبدلت الهاء فيهما همزة، وهذا الإبدال لا يقره القياس، ولكنه فصيح لموافقته ما ورد عن الواضع. ومثله "أبى يأبى" بفتح الباء في المضارع، والقياس كسرها لما تقدم بيانه، ولكنه فصيح لوروده هكذا عن الواضع. كذلك قولهم: عورت عين فلان، و {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ} ، فالقياس فيهما أن يقال: عارت عينه، واستحاذ عليهم بقلب الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما

قبلها، فتصحيح الواو حينئذ مخالف للقياس لكنه فصيح؛ لأنه ثبت هكذا عنالواضع.

الغرابة: هي أن تكون الكلمة وحشية أي: غير ظاهرة الدلالة على المعنى، ويكون ذلك لسببين:

الأول: عدم تداول الكلمة في لغة العرب الخلص، فيحتاج في معرفتها إلى بحث وتنقيب في معاجم اللغة.

فتارة يعثر على معناها بعد البحث، كلفظتي "تكأكأتم وافرنقعوا" من قول عيسى بن عمر النحوي، وقد سقط عن دابته، فاجتمع الناس حوله: ما لكم تكأكأتم عليَّ كتكأكئكم على ذي جنة، افرنقعوا، فمعنى "تكأكأتم": اجتمعتم، ومعنى "افرنقعوا": انصرفوا. يقول متعجبًا: ما لكم اجتمعتم علي كاجتماعكم على ذي جنون، تنحوا عني. ومنه لفط "رخاخ" بفتح الراء قي قولهم: نحن في رخاخ من العيش، أي: في سعة ورغد.

وتارة لا يعثر عليه بعد البحث كلفظ "جحلنجع" من قول أعرابي يسمى أبا الهميسع١: من طمحة٢ صبيرها٣ جحلنجع٤ بجيم مفتوحة، فمهملة ساكنة، فلام مفتوحة، فنون ساكنة، فجيم مفتوحة، فعين مهملة.

فهذه الكلمات الثلاث غير فصيحة؛ لأنها غريبة غير ظاهرة المعنى لعدم تداولها، وذلك خلل واقع في المعنى.

---

١ بفتح الهاء والسين.

٢ الطمحة: النظر.

٣ الصبير: السحاب.

٤ لم يعثر على معناها بعد.

الثاني: عدم استعمال الكلمة عند العرب الخلص بالمعنى الذي أريد منها، فيحتاج في معرفتها إلى تخريج على وجه بعيد، كلفظ "مسرجا" في قول العجاج أحد الرجازين المشهورين:

أيام أبدت واضحًا مفلجًا ... أغر براقًا وطرفًا أدعجا

ومقلة وحاجبًا مزججًا ... وفاحمًا ومرسنًا مسرجا١

يصف الشاعر من محبوبته عدة أشياء؛ منها الأنف في قوله: "ومرسنا مسرجا" فقد أراد بالمرسن أنفها، وهو في الأصل أنف البعير؛ إذ هو موضع الرسن٢ منه.

ثم أريد به: مطلق أنف، مجازًا مرسلًا كما سيأتي بيانه في محله فقوله: "مسرجا" غير فصيح؛ لأنه غريب غير ظاهر المعنى لعدم استعماله بالمعنى الذي أريد منه على ما يظهر.

بيان ذلك: أنه لم يعلم ما أراده الشاعر بقوله: "مسرجا"؛ ولذلك اختلف فيه فقيل: هو من قولهم: "سيوف

سريجية" أي: منسوبة إلى حداد يقال له: سريج[3] كان يجيد صنعها، فهو يريد أن يشبه أنفها في الدقة والاستواء بالسيف السريجي.

وقيل: هو من السراج أي: المصباح، يريد أن يشبه أنفها في البريق واللمعان بالسراج. وهذا التأويل قريب من قولهم: سرج الله وجهه أي: بهجه وحسنه.

وعلى كلا القولين هو غير ظاهر الدلالة على ما ذكر؛ لأن مادة "فعَّل" بالتشديد إنما تدل فقط على مجرد نسبة شيء إلى شيء، فيقال: كفّر فلان فلانًا نسبه إلى الكفر، وفسَّقه نسبه إلى الفسق، فهو مكفر أو مفسق أي: منسوب إلى الكفر والفسق. أما النسبة التشبيهية، وهي أن يكون المنسوب شبيها بالمنسوب إليه، فلا تدل عليه

---

١ ضمير "أبدت" عائد على محبوبته في البيت قبله "وواضحًا" صفة لموصوف محذوف أي: سنًّا واضحًا متميزًا، والفلج بالتحريك: تباعد ما بين الأسنان، والأغر: الأبيض، والدعج بالتحريك: اتساع العين وحسنها، والتزجيج: التدقيق مع تقويس، و"فاحما" صفة لمحذوف أي: شعرًا أسود كالفحم، فهو نسبة تشبيهية من نسبة المشبه إلى المشبه به.

٢ هو مقود البعير.

٣ بضم السين، وفتح الراء.

المادة المذكورة، فأخذ ذلك منها بعيد؛ لهذا كان هذا اللفظ غريبًا، غير ظاهر الدلالة لعدم استعماله عند العرب بهذا المعنى.

تنبيهات:

الأول: اعلم أن عدم ظهور المعنى المتقدم ذكره في مفهوم الغرابة منظور فيه إلى الخلص من الأعراب سكان البادية، فهم قد يخفى عليهم معنى اللفظ إذا قلَّ تداوله بينهم، أو أهمل استعماله بالمعنى المراد كما ذكرنا. أما غير العرب من المولدين فغير منظور إليهم في ذلك، وإلا خرج كثير من قصائد العرب، بل جلها عن الفصاحة؛ لغلبة الجهل باللغة على غير أربابها.

الثاني: زاد بعضهم عيبًا رابعًا على العيوب المخلّة بفصاحة الكلمة، وهو أن تكون الكلمة مستكرهة، يمجّها السمع، ويأنفها الطبع، كلفظ "النقاخ" بضم النون بمعنى الماء العذب، في قول الشاعر:

وأحمق ممن يكرع الماء قال لي ... دع الخمر واشرب من نقاخ مبرد

و"كالجرشى" بمعنى النفس، في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة:

مبارك الاسم أغر اللقب ... كريم الجرشى شريف النسب١

والحق: أن في ذكر الغرابة غنية عن ذكر هذا العيب؛ لأن استكراه السمع للفظ إنما جاء من ناحية وحشيته وغرابته ا. هـ.

إذا علمت هذا، علمت أن كل كلمة برئت من العيوب المتقدم ذكرها، عدت في عرف علماء البلاغة فصيحة.

تمرين:

١- تكلم بإيجاز عن تاريخ نشأة العلوم البلاغية، وبين وجه الحاجة إلى دراستها.

٢- عرف معنى الفصاحة في اللغة، ومثل لها بمثالين.

---

١ إنما كان مبارك الاسم لإشعاره بالعلو، ولموافقته لاسم علي بن أبي طالب فهو سميه، وأغر اللقب مشهوره لاشتهاره بسيف الدولة، والملوك يشار إليهم بألقابهم، وشريف النسب لأنه "على ما قيل" من سلالة بني العباس.

٣- بين معنى الفصاحة في الكلمة، ثم بين معنى التنافر فيها مع التمثيل.

٤- اختلف الرأي في ضابط التنافر، فوضح هذا الخلاف، ثم أبطل المرجوح منه بالدليل.

٥- بين معنى المخالفة في الكلمة، وهل المعول عليه فيها القانون الصرفي أو السماع؟ وضح ذلك بالأمثلة.

٦- بين معنى الغرابة في الكلمة، ومرجع الغرابة فيها، ثم وجه غرابة "مسرجا" في قول الشاعر: "وفاحما ومرسنا مسرجا".

٧- بين العيوب التي أخلّت بفصاحة الكلمة فيما يأتي:

١- نقنق الضفدع في المثعنجر١.

٢- أكلت العرين وشربت الصمادح٢.

٣- إن بني للئام زهده

ما لي في صدورهم من مودة٣

٤- وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم

خضع الرقاب نواكس الأبصار

٥- مر بي رجل مسعوى به عند الأمير.

٦- ارتخش٤ المهمل فزعًا عند الامتحان.

٧- اطلخم٥ الأمر.

٨- تصفحت الكتاب، فإذا هو مصوون عن الحشو.

٩- نحن قوم فواهم ما تقول.

١٠- صون يديك عن الأذى.

١١- ملأ البعاق الجردحل٦.

١٢- أسمع جعجعة، وأنا أشرب السماحج٧

١٣- يوم عصبصب وهلوف ملأ السجسج طلا٨.

---

١ نقيق الضفدع: صوته، والمثعنجر: البحر.

٢ العرين: اللحم، والصمادح بضم الضاد: الماء الخالص.

٣ معنى البيت: إن أولاده عاقون لا يأخذهم به حنو ولا رحمة، وإنهم لئام يقابلون إحسانه بالإساءة.

٤ اضطراب.

٥ اشتد.

٦ البعاق بكسر الباء، والجردحل بكسر فسكون ففتح فسكون: الوادي.

٧ الجعجعة: صوت الرحى وصوت الجِمَال إذا اجتمعت، والسماحج بضم السين وكسر اللام: اللين.

٨ "العصبصب": الشديد الحر، والهلوف بكسر الهاء وتشديد اللام المفتوحة: هو الذي يستر غمامة شمسه، والسجسج: الأرض ليست سهلة ولا صلبة، والطل: المطر الخفيف.

١٤- أمنا أن تصرع عن سماح

وللآمال في يدك اصطراع١

١٥- يظل بموماة ويمسي بغيرها

جحيشًا ويعرورى ظهور المسالك٢

الجواب على السؤال الأخير:

١- في "نقنق والمثعنجر" تنافر حروف، وفي الثاني منهما وحشية وغرابة يحتاج في الكشف عنهما إلى بحث.

٢- في "العرين والصمادح" غرابة في المعنى، تحتاج إلى بحث وتنقيب.

٣- في "موددة" مخالفة لما ثبت عن الواضع، وللقانون الصرفي إذ الثابت عن الواضع "مودة" بالإدغام، والقاعدة الصرفية توجب إدغام المثلين المتحركين.

٤- في "نواكس" مخالفة؛ إذ لا يصح نقلًا عن الواضع، ولا في القانون الصرفي جمع فاعل وصفا لمذكر عاقل على "فواعل".

٥- في "مسعوى" مخالفة، والصواب فيه أن يقال: مسعى بقلب الواو ياء، وإدغام الياء في الياء.

٦- في "ارتخش" تنافر الحروف، وغرابه في المعنى.

٧- "اطلخم" لفظ غريب وغليظ في السمع، يمجه الذوق، ويأنفه الطبع.

٨- في "مصوون" مخالفة، والصواب "مصون" بحذف الواو الثانية لالتقاء الساكنين، بعد نقل حركة الواو إلى الساكن قبلها.

٩- في "فواهم" مخالفة؛ إذ لا يجمع فاعل لمذكر عاقل على "فواعل".

١٠- في "صون" مخالفة، وصوابه: "صن" بحذف الواو لالتقاء الساكنين.

---

١ تصرع بتشديد الراء مع البناء للمجهول، وتمنع بشدة، يريد: أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يمنعه من السماح، واصطراع الآمال في يده: ازدحامها وتدافعها.

٢ المومأة: الفلاة الواسعة، والجحيش بفتح فكسر أو بضم ففتح: المستبد برأيه، واعرورى: ركبها عريانة.

١١- "البعاق والجردحل" كلاهما غريب المعنى، يحتاج إلى بحث.

١٢- في "جعجعة" تنافر الحروف، وفي "السمالج" غرابة في المعنى.

١٣- في الكلمات الثلاث غرابة، وفي الثالثة منها تنافر.

١٤- في لفظ "اصطراع" بمعنى كثرة النوال والكرم غرابة، يحتاج بسببها إلى تأويل بعيد.

١٥- في لفظتي "جحيش ويعرورى" غرابة يمجها الطبع، ويأباها السمع.

تمرين على هذا السؤال مطلوب جوابه:

كتب بعض أمراء بغداد، حين مرضت أمه، رقاعًا وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام، قال فيها:
صين امرؤ ورعي دعا لامرأة إنقحلة١ مقسئنة٢ قد منيت٣ بأكل الطرموق٤، فأصابها من أجله الاستمصال٥ أن يمن الله عليها بالاطرغشاش٦؛ فكان كل من يقرأ كلامه يسلقه بحاد لسانه.
وقال أبو الطيب المتنبي:
فلا يبرم الامر الذي هو حالل ... ولا يحلل الأمر الذي هو يبرم
وقال امرؤ القيس: رب جفنة مثعنجرة٧ وطعنة مسحنفرة٨ وخطبة مستحضرة، وقصيدة محبرة٩ تبقى غدا بأنقرة١٠.

---

١ بكسر الهمزة وسكون النون وفتح القاف وسكون الحاء وفتح اللام، ومعناه يابسة.
٣ أصيبت.
٤ الخفاش.
٥ الإسهال.
٦ البرء.
٧ الجفنة: القصعة، والمثعنجرة: المتسعة.
٨ متسعة.
٩ أي: محسنة.
١٠ عاصمة تركيا الآن، قال امرؤ القيس ذلك حين أدركه الموت، وكان قد ذهب إلى ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه، فهويته "على ما قيل" بنت الملك، وبلغ ذلك قيصر فأسرها وفي نفسه ووعده بإجابة ما طلب، ولما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلبسها فتساقط لحمه، وحين علم ذلك قال ما قال.

وقال أبو تمام:
نعم متاع الدنيا حباك به ... أروع لا جيدر ولا جبس١
فصاحة الكلام ٢:
هي أن يبرأ من العيوب الثلاثة الآتية: ١- تنافر الكلمات.
٢- ضعف التأليف.

٣- التعقيد بنوعيه.

غير أن سلامة الكلام من هذه العيوب مشروطة بسلامة أجزائه من العيوب السابقة. وإليك بيان العيوب الثلاثة على الترتيب:

تنافر الكلمات: هو وصف في الكلمات مجتمعة، يوجب ثقلها على اللسان، وعسر النطق بها، وإن كان كل كلمة منها على حدة لا ثقل فيها.

والتنافر فيها نوعان كذلك: تنافر شديد، وتنافر خفيف.

فالشديد البالغ الغاية، كقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر٣

"قفر" بالرفع نعت "لمكان" على القطع للضرورة، وقيل: هو نعت "لقبر" ومعنى كونه قفرًا -على هذا القول- قيامه وحده في هذا المكان. والشاهد فيه المصراع الثاني، فإن كلماته متعادية، ينفر بعضها من بعض أشد النفور حتى لا يكاد اللسان ينطق بها مجتمعة. ومثله قول الشاعر:

"في رفع عرش الشرع مثلك يشرع"

فإن اللسان ليتعثر عند النطق به أيما تعثر.

والخفيف كقول أبي تمام يعتذر لممدوحه، ويتبرأ مما نسب إليه:

---

١ "حباك" أعطاك، و"الأروع" هو الذي يعجبك حسنه، و"الجيدر" بفتح الجيم والدال: القصير، والجبس بكسر فسكون: الجامد الثقيل الروح.

٢ يراد بالكلام هنا ما يشمل التام والناقص.

٣ زعموا أن هذا البيت لأحد الجان، صاح على حرب بن أمية جد معاوية أمير المؤمنين فمات لوقته، فأنشد الجني هذا البيت، والواقع أنه لم يعرف قائله.

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ... معي وإذا ما لمته لمته وحدي

يقول: إذا ما جرى لساني بمدحه رأيت الناس عامة ألسنة مدح وثناء معي لفيض إنعامه، وعموم أياديه، وإذا ما هممت بلومه لم يتبعني فيها أحد لعدم وجود ما يقتضيه. والشاهد في قوله: "أمدحه أمدحه" فإن في اجتماع هاتين الكلمتين ثقلا عند النطق بهما، يشعر به صاحب الذوق السليم١.

ضعف التأليف:

هو أن يكون الكلام في تركيبه مخالفًا للمشهور من قوانين النحو التي اعتمدها جمهور النحاة، كالإتيان بالضمير متصلًا بعد "إلا" وكالإضمار قبل ذكر المرجع لفظًا، أو معنى، أو حكمًا.

فمثال الأول قول الشاعر:

وما علينا إذا ما كنت جارتنا ... ألا يجاورنا إلاك ديار[2]

والأصل أن يقال: إلا إياك.

ومثال الإضمار قبل الذكر قول حسان بن ثابت يرثي مطعم بن عدي:

ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدًا ... من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

يقول: لا بقاء لأحد في الدار الدنيا، سواء في ذلك الرفيع والرضيع، ولو أن المجد يخلد صاحبه لبقي مطعم على مدى الدهر، يريد: أنه كان ماجدًا نبيلًا.

والشاهد في المصراع الثاني حيث أضمر قبل ذكر المرجع لفظًا، ومعنى، وحكمًا، ذلك أن الضمير في "مجده" راجع إلى "مطعم" وهو لم يذكر قبل الضمير لفظًا، وهو ظاهر، ولا معنى لأنه مفعول به، فمرتبته التأخير، ولا حكمًا لأنه محكوم عليه بالتأخر لمفعوليته.

---

١ ذكر الصاحب بن عباد أنه أنشد هذه القصيدة بحضرة ابن العميد، فلما بلغ هذا البيت قال له ابن العميد: هل تعرف فيه شيئًا من الهجنة؟ قال: نعم مقابلة المدح باللوم، وإنما يقابل بالذم أو الهجاء، فقال ابن العميد: غير هذا أريد، فقال الصاحب: لا أدري غير ذلك، فقال ابن العميد: هذا التكرار في "أمدحه" مع الجمع بين الحاء والهاء خارج عن حد الاعتدال، نافر كل التنافر، فأثنى عليه الصاحب.

٢ ومنه قول الشاعر:

ليس إلاك يا علي همام ... سيفه دون عرضه مسلول

فكل من الإتيان بالضمير متصلًا بعد "إلا" والإضمار قبل الذكر غير جائز عند جمهور النحاة؛ لهذا كان المصراع الثاني من البيتين الأول، والثاني غير فصيح؛ لضعف التأليف فيه.

أما نحو: هزم خالد عدوه، ورفع قبيلته عنترة، ونحو: نعم فارسًا علي[1] وربه رجلًا[2]، و {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [3] فكل ذلك فصيح؛ لأنه جاز على قانون النحو المشهور لتقدم المرجع لفظًا في الأول، ومعنى في الثاني؛ لأنه

فاعل ومرتبته التقدم على المفعول، ولتقدمه حكمًا في الأمثلة الباقية؛ لأن وضع الضمير على أن يعود على متقدم، وإنما أخر فيها لنكتة بلاغية كما سيأتي في محله.

التعقيد:

هو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد؛ لخلل واقع فيه٤، وهو نوعان: لفظي ومعنوي.

التعقيد اللفظي:

أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المراد؛ لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم، أو تأخير، أو فصل، أو حذف، أو نحو ذلك مما ينشأ عنه صعوبة فهم المعنى المراد، وهو على ضربين: شديد وخفيف.

فالشديد، كقول الفرزدق٥ يمدح إبراهيم المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وما مثله في الناس إلا مملكًا ... أبو أمه حي أبوه يقاربه

يريد: وما مثل هذا الممدوح في الناس حي يقاربه في الفضائل إلا مملكًا، أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح، أي: لا يحاكيه أحد إلا ابن اخته.

---

١ على رأي من يعرب مخصوص "نعم وبئس" مبتدأ لخبر محذوف أو العكس.

٢ المراد: ضمير رب.

٣ المراد: ضمير الشأن.

٤ احترز به عما خفي المراد منه لا لخلل فيه، بل لإرادة المتكلم إخفاء المراد منه لحكمة، كالذي ورد في القرآن من المتشابه والمشكل والمجمل، فلا مقيد فيه.

٥ أحد الشعراء المعروفين في الدولة الأموية.

ففيه فاصل كبير بين البدل وهو "حي" والمبدل منه وهو "مثله" وفيه تقديم المستثنى وهو "مملكًا" على المستثنى منه وهو "حي" وفيه فصل بين المبتدأ والخبر وهما "أبو أمه أبوه" بأجنبي هو "حي" وبين الصفة والموصوف وهما "حي يقاربه" بأجنبي هو "أبوه"، فانظر إلى أحد وصل تعقيد اللفظ حتى عمي المعنى، وكاد يستعصي على الفهم. ومثل هذا النوع في شدة تعقده قول الآخر:

فأصبحت بعد خط بهجتها ... كأن قفرًا رسومها قلما١

يصف الشاعر دارًا بالية، وأصل الكلام: فأصبحت بعد بهجتها قفرًا كأن قلما خط رسومها، ففيه من الفصل والتقديم والتأخير ما جعل التعقيد اللفظي في أقبح صورة وأشنعها.

والخفيف، كقول أبي الطيب المتنبي:

جفخت[2] وهم لا يجفخون بها بهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل

وأصل التركيب هكذا: جفخت بهم شيم دلائل على الحسب الأغر، وهم لا يجفخون بها أي: افتخرت بهم طبائع دالة على ما كان لآبائهم من مناقب ومفاخر، وهم لا يفتخرون بها؛ لأنهم حاصلون على ما هو خير وأوفى، فقد فصل بين الفعل والفاعل وهما "جفخت شيم" بأجنبي هو جملة "وهم لا يجفخون بها" الواقعة حالًا، وفصل بين الصفة والموصوف وهما "شيم دلائل" بالجار والمجرور وهما قوله: "على الحسب الأغر". ومثله قول الفرزدق من قصيدة يصف فيها ذئبًا:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

يريد: نكن يا ذئب مثل من يصطحبان، ففصل بين الموصول وصلته وهما "من يصطحبان" بأجنبي هو قوله: "يا ذئب" فتعقد اللفظ نوع تعقيد.

التعقيد المعنوي: هو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد؛ لخلل واقع في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثاني المقصود

---

١ "خط" فعل ماضٍ، وبهجتها بكسر التاء على الإضافة، "ورسومها" بفتح الميم على المفعولية.

٢ افتخرت.

بحيث يكون إدراك المعنى الثاني من الأول بعيدًا عن الفهم، يحتاج إلى تكليف وتمحل بسبب استعمال اللفظ في معنى خفي لزومه للمعنى الأول، كقول العباس بن الأحنف[1]:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ... وتسكب عيناي الدموع لتجمدا[2]

يطلب الشاعر البعد عن أحبته، غير مبالٍ بما يعانيه في ذلك من غصص الفرقة وآلام النوى، كما يطلب اكتواءه بنار الأسى على فراقهم، وبلوغه الشوق إليهم عساه فيما بعد يحظى بوصل مقيم، وفرح لا يزول، وكأنه بهذا الطلب يخادع الزمان، ويغالطه ليوافيه بضد ما يطلب، على عادة الدهر من محاربته الناس في مطالبهم ووقوفه حائلًا دون ما يأملون، وبذلك يتم للشاعر في غفلة الدهر ما أراد من لقاء الأحبة، والابتهاج

والأنس بهم، على حد قول الشاعر:

ولطالما اخترت الفراق مغالطًا ... واحتلت في استثمال غرس ودادي

ورغبت عن ذكر الوصال لأنها ... تبني الأمور على خلاف مرادي

والشاهد في قوله: "لتجمدا" فإن ابن الأحنف لم يوفق في أداء المعنى الذي أراده من هذا اللفظ على وجه صحيح؛ ذلك أنه أراد أن يكني عما قصده بكنايتين أصاب في إحداهما، وأخطأه الصواب في الأخرى.

بيان ذلك: أنه دل أولًا بسكب الدمع على ما يوجبه فراق الأحبة من الحزن والكمد، فأحسن وأصاب المحزن في هذه الكناية، فإن البكاء عادة يكون أمارة الحزن وعنوانه، كما يكون الضحك دليلًا على الابتهاج والسرور، فيقال: أبكاني وأضحكني على معنى: ساءني وسرني. ومنه قول الشاعر:

أنزلني الدهر على حكمه ... من شامخ عالٍ إلى خفض٣

أبكاني الدهر ويا ربما ... أضحكني الدهر بما يرضي

---

١ من ندماء هارون الرشيد، وكان لطيف المجلس فكه الحديث.

٢ تسكب بالرفع عطف على "أطلب" وبالنصب عطف على "بعد" من عطف الفعل على اسم خالص من التأويل، والمراد طلب استمرار السكب لا أصله؛ لئلا يلزم تحصيل الحاصل.

٣ هو لحصان المعلمي من شعراء الحماسة، وقد كنى في البيت التالي بإبكاء الدهر له عن إساءته، وبإضحاكه له عن سروره.

ثم دل ثانيًا بجمود العين على سرورها بقرب أحبته، واجتماع شمله بهم، فأخطأه التوفيق في هذه الكناية، ولم يكن النجاح حليفه فيها؛ ذلك أن جمود العين جفافها من الدمع عند الدافع إليه، وهو الحزن على فراق الأحبة، فالجمود حينئذ كناية عن بخلها بالدموع وقت الحاجة إليه، لا عما أراده من السرور، يؤيد ذلك قول أبي عطاء يرثي ابن هبيرة:

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط ... عليك بجاري دمعها لجمود

أي: لبخيلة بالدمع، ومنه قول الخنساء ترثي أخاها صخرا:

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى؟!

أي: أفيضا بالدموع، ولا تبخلا به. كما يرشد إلى ذلك أيضًا قولهم: سنة جماد أي: بخيلة بالقطر، وناقة جماد

أي: لا تجود بالدر؛ ولهذا لا يصح عندهم أن يقال في مقام الدعاء للمخاطب بالسرور: لا زالت عينك جامدة، على معنى: لا أبكى الله عينك؛ لأنه دعاء عليه بالحزن لا بالسرور.

إذا علمت هذا، علمت أن المعنى الذي أراده الشاعر وهو السرور لا يفهم من الجمود إلا يدل عليه اللفظ لا لغة ولا عرفًا، اللهم إلا مع ارتكاب شيء من التعسف١، ومن هنا كان التعقيد في المعنى.

تنبيهان:

الأول: زاد بعضهم عيبًا رابعًا على العيوب المخلة بفصاحة الكلام، وهو أن يكثر٢ فيه التكرار، أو تتوالى فيه الإضافات.

فمثال التكرار قول أبي الطيب يصف فرسًا له بالنجابة، وحسن الجري:

وتسعدني في غمرة بعد غمرة ... سبوح لها منها عليها شواهد

"سبوح" فعول بمعنى فاعل من السبح وهو العوم في الماء، شبه به عدو الفرس،

---

١ هو أن يستعمل الجمود الذي هو خلو العين من الدمع حالة الحزن في خلو العين من الدمع مطلبًا إلى هنا صح أن يكنى به عن السرور؛ لأن المسرور تخلو عينه من الدمع عادة، غير أن استعمال الجمود في الخلو من الدمع مطلبًا لينتقل منه إلى السرور مخالف لاستعمالاتهم؛ لهذا كان الكلام بعيد المعنى.

٢ المراد بالكثرة ما فوق الواحد، وهو أن يذكر اللفظ مرة بعد مرة.

يريد: أن في جريها سلامة وسهولة كأنما تسبح في الماء، وقوله: "لها" متعلق بمحذوف هو خبر مقدم، و"منها" حال من "شواهد"، و"عليها" متعلق به، وشواهد مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لسبوح.

يصف الشاعر فرسه بحسن الجري، وأنها منجاة له من الشدائد بخفة حركتها وشدة عدوها، وأن أمارات النجابة بادية عليها. والشاهد في المصراع الثاني، فإن تكرار الضمير فيه أخل بفصاحته.

ومثال تتابع الإضافات قول ابن بابك يخاطب حمامة:

حمامة جرعاء حومة الجندل اسجعي ... فأنت بمرأى من سعاد ومسمع١

يأمر الشاعر حمامة هذا المكان بالسجع والتطريب إعجابًا بمحبوبته، واحتفاء بها. والشاهد في المصراع الأول فإن فيه إضافات متتابعة؛ إذ قد أضيف "حمامة" إلى "جرعاء" المضافة إلى "حومة" المضافة إلى "جندل"، وهذا مخل بفصاحة الكلام.

هكذا زعم القائل وفيه نظر؛ لأن كثرة التكرار، أو تتابع الإضافات إن ثقل اللفظ به على اللسان فقد دخل في باب التنافر وإلا فلا يخل بالفصاحة، كيف وقد وردا في القرآن الكريم؛ قال تعالى: {مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ} وقال: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ} وقال سبحانه: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} إلى غير ذلك مما تراه في غير موضع من كتاب مقدس هو في أعلى طبقات البلاغة، لا ينكر عليه ذلك أحد. وقد اجتمع الأمران في الحديث الشريف؛ قال صلى الله عليه وسلم: " الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم".

الثاني: إنما شرطنا في فصاحة الكلام أن تسلم كل كلمة فيه من العيوب المخلة بفصاحتها؛ لتعلم أن نحو قولهم: "محمد أصدق مودة من أخيه" ونحو: "شعر هند مستشزر"،

---

١ جرعاء: مؤنث أجرع، وهي الأرض الجرداء لا تنبت شيئًا، وقصرها للضرورة، و"الحومة" معظم الشيء و"الجندل" الأرض ذات الحجارة و"السجع" تغريد الحمام و"مرأى ومسمع" اسما مكان أي: بمكان تراك منه سعاد وتسمعك.

"أنفها مسرج" غير فصيح، مع أنه كلام سليم من العيوب المخلة بفصاحته، فلا تنافر كلمات فيه، ولا ضعف تأليف، ولا تعقيد، ولكنه لما لم يسلم من العيوب المخلة بفصاحة بعض أجزائه لم يكن فصيحًا؛ إذ الشرط في فصاحة الكلام "كما قلنا" سلامته من عيوبه وعيوب أجزائه، كما تقول في الأمثلة السابقة: محمد أصدق مودة من أخيه، وشعر هند مرتفع، وأنفها مستقيم، دقيق، أو ناضر بهيج ا. هـ.

إذا علمت هذا، علمت أن كل كلام سلم من عيوبه، وعيوب أجزائه عُدَّ في عرف البلغاء فصيحًا، وإن لم يسلم فقد عطل جيده من حلية الفصاحة.

فصاحة المتكلم:

هي ملكة أي: صفة قائمة بنفس المتكلم راسخة فيه، يستطيع بها أن يعبر تعبيرًا صحيحًا عما يجول بخاطره، ويجيش في صدره من الأغراض والمقاصد، فالمدار في فصاحته على أن تكون فيه هذه الصفة كامنة راسخة، يستطيع أن يستخدمها متى شاء في أي ضرب من ضروب الكلام، وفي أي فن من فنونه؛ كالمدح، والذم، والرثاء، والفخر، والتشبيب، وغير ذلك فهو فصيح وإن لم ينطق متى وجد فيه الاستعداد، والقدرة على صوغ اللفظ الفصيح، ولا يكون فصيحًا إذا فقد هذا الاستعداد، وهذه القدرة. كما لا يكون فصيحًا إذا استطاع أن

يعبر بلفظ فصيح في مقصد دون آخر؛ إذ لم يكن ذلك منه وليد ملكة فيه.

وتكوين هذه الملكة إنما يكون بممارسة أساليب العرب الفصحاء، والوقوف على أسرارها، وحفظ الكثير من عيوب كلامهم، نثرًا وشعرًا.

تمرين:

١- بين معنى الفصاحة في الكلام، مع بيان الفرق بين المتنافر وفي الكلمة، وبين المخالفتين فيها، ومثِّل لكل ما تقول.

٢- وضح معنى التعقيد في الكلام، واذكر نوعيه، وبين وجه التعقيد في قول ابن الأحنف: وتسكب عيناي الدموع لتجمدا.

٣- عرف فصاحة المتكلم، وهل إذا أجاد القول الفصيح في معنى الرثاء يكون فصيحًا؟ علل لما تقول.

٤- بين العيوب التي أخلت بفصاحة الكلام فيما يأتي:

١- وازور من كان له زائرًا

وعاف عافي العرف عرفانه[١]

٢- جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر

وحسن فعل كما جوزي سنمار[٢]

٣- إلى ملك ما أمه من محارب

أبوه ولا كانت كليب تصاهره

٤- وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا

قلاقل عيس كلهن قلاقل[٣]

٥- لما رأى طالبوه مصعبا ذعروا

وكاد -لو ساعد المقدور- ينتصر[٤]

٦- أنى يكون أبا البرايا آدم

وأبوك والثقلان أنت محمد؟ [٥]

٧- قرب منا فرأيناه أسدًا، أي: أبخر.

٨- "وسلوت كل مليحة إلاك".

٩- نشر الملك ألسنته بالمدينة، يريد جواسيسه

---

١ "ازورّ" انحرف، و"عاف" كره، و"عافي العرف": طالب معروف، و"العرفان" المعرفة. والمعنى: انحرف عنه من كان يزوره، وكمده طالب الإحسان معرفته.

٢ "سنمار" اسم رجل بنى للنعمان بن امرئ القيس قصرًا فخمًا بالكوفة سماه "الخورنق" وقد أتقن بحذقه وبراعته صنعه، ولما أتم بناءه وزخرفه ألقاه النعمان من أعلاه لئلا يبني قصرًا مثله لغيره، فمات سنمار لساعته، وضرب به المثل لكل من يجازى على الخير بالشر. ومعنى البيت: أن الشاعر دعا على أبي الغيلان أن يجازيه أولاده مع كبر سنه، وحسن صنيعه معهم شر جزاء، كما وقع لسنمار المذكور.

٣ قلقل: حرك و"قلاقل" الأولى جمع قلقلة، وهي الناقة السريعة "وقلاقل" الثانية جمع قلقلة بمعنى الحركة، وضمير كلهن "للعيس" وهي النوق. والمعنى: حركت بسبب الهم الذي حرك نفسي نوقًا خفافًا في السير، والمراد أنه سافر ولم يعرج بالمكان الذي يلحقه فيه ضيم.

٤ "مصعب" هو ابن الزبير بن العوام، ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم.

٥ البرايا: جمع برية، وهي الناس جميعًا، والثقلان: الإنس والجن. والمعنى: كيف تعقل أبو آدم لجميع الناس في حين أن هذا العالم إنسه وجنه هو أنت وأبوك محمد، وفيه من المبالغة ما ترى.

الجواب على السؤال الأخير:

١- "في البيت" في مصراعه الثاني تنافر كلمات.

٢- "في البيت" ضعف تأليف؛ لأن فيه عود الضمير في "بنوه" على متأخر في اللفظ والرتبة، وهو "أبا الغيلان" لأنه مفعول، و"بنوه" فاعل، ومن المعلوم أن رتبة الفاعل قبل رتبة المفعول.

٣- "في البيت" تعقيد لفظي، يريد: إلى ملك أبوه ما أمه من محارب أي: ليست أمه منهم، ولا كان صهرًا لقبيلة "كليب" أي: إنه رفيع النسب أبا وأما.

٤- "في البيت" تنافر كلمات وهو ظاهر.

٥- "في البيت" ضعف تأليف؛ لما فيه من عود الضمير في "طالبوه" على "مصعبا" وهو متأخر لفظًا ورتبة؛ لأنه مفعول.

٦- "في البيت" تعقيد لفظي، والأصل: أنى يكون آدم أبا البرايا، وأنت وأبوك محمد الثقلان؟

٧- فيه تعقيد معنوي؛ لخفاء لزوم البخر للأسد عرفًا، فانتقال الذهن فيه إنما يكون من الأسد إلى معنى الشجاع، لا إلى معنى الأبخر.

٨- فيه ضعف تأليف؛ لمجيء الضمير بعد "إلا" متصلًا، والصواب أن يؤتى به منفصلًا، فيقال: إلا إياك.

٩- فيه تعقيد معنوي؛ لأن في لزوم الجاسوسية للألسنة خفاء وبعدًا، والصواب أن يقال: نشر عيونه؛ لوضوح اللزوم بين العين والنجس.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه:

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ... ويجل علمي أنه بي جاهل

كسا حلمه ذا الحلم أثواب سؤدد ... ورقى نداه ذا الندى في ذرا المجد١

بح صوت المال مما ... منك يشكو ويصبح

أرض لها شرف سواها مثلها ... لو كان مثلك في سواها يوجد

لو كنت كنت كتمت السر كنت كما ... كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

والشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجوم الليل والقمر٢

ما أحببنا إلاك يا محمد

البلاغة:

معناها في اللغة: بلوغ الرجل بعبارته كنه مراده، أي: غايته. يقال: بلغ٣ محمد بلاغة، إذا كان يبلغ بعبارته الغاية التي يريدها.

أما معناها في الاصطلاح، فيختلف باختلاف موصوفها وهو أحد اثنين: الكلام والمتكلم. يقال: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال: هذه كلمة بليغة؛ لعدم ورود السماع بذلك.

بلاغة الكلام:

هي مطابقته لمقتضى حال الخطاب، مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته، وفصاحة أجزائه.

وحال الخطاب أي: المقام الذي ورد فيه الخطاب، وهو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد كلامه في صورة خاصة.

و"مقتضى الحال" هو تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم.

و"مطابقة الكلام للمقتضى" هي اشتماله على هذه الصورة الخاصة،

١ "السؤدد" بسكون الهمزة وضم الدال السيادية، و"الندى" الكرم، و"الذرا" جمع ذروة وهي أعلى الشيء كالقمة.

٢ نجوم الليل والقمرا منصوبان على المفعولية لكاسفة.

٣ على زنة شرف.

فإنكار المخاطب مثلًا "حال" لأنه أمر يحمل المتكلم على أن يورد كلامه على صورة التأكيد محوًا لهذا الإنكار، وصورة التأكيد التي ورد عليها الكلام هي مقتضى الحال، واشتمال الكلام على هذه الصورة هو معنى مطابقته للمقتضى.

مثال ذلك أن تقول لمنكر إمارة شوقي للشعر: "إن شوقيا لأمير الشعر" فإنكار المخاطب هو الحال؛ لأنه أمر دعاك لأن تورد كلامك مصورًا بصورة التأكيد، وصورة التأكيد هي مقتضى الحال، واشتمال هذا الكلام على هذه الصورة هو المطابقة للمقتضى، فهذا القول حينئذ كلام بليغ؛ لأنه مطابق لمقتضى الحال.

ومثل الإنكار "المدح" فهو حال تدعو المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الإطناب؛ لأن مقام المدح يقتضي الإطالة في القول، والبسط فيه.

وكذلك ذكاء المخاطب حال تدعو المتكلم لأن يورد كلامه على صورة الإيجاز؛ لأن مقام الذكاء يقتضي الاختصار في الكلام، وكل من صورتي الإطناب والإيجاز مقتضى الحال، واشتمال الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى، وهكذا يقال في كل حال من أحوال الخطاب١.

ومما ذكرنا نعلم أن:

مقتضيات الأحوال تختلف باختلاف تلك الأحوال، فإن كانت الحال إنكارًا من المخاطب مثلًا كان المقتضى توكيدًا؛ لأنه هو المناسب لحال المنكر

---

١ هناك قول آخر هو أن مقتضى الحال الكلام الكلي المشتمل على التأكيد مثلًا أو الإطناب أو الإيجاز، وليس هو التأكيد نفسه أو الإطناب أو الإيجاز كما هو الرأي الأول، فالإنكار مثلًا إنما يقتضي مطلق كلام مؤكد بأي نوع من أنواع التأكيد لا كلامًا خاصًّا مؤكدًا بتأكيد خاص، وقولنا لمنكر: إن محمدًا لكاتب، فرد من

أفراد هذا المطلق المؤكد. ومعنى مطابقة هذا الكلام حينئذ أنه مندرج تحت هذا المطلق، وفرد من أفراده والفرق بين الرأيين واضح.

(٢٩/١)

وإن كانت الحال ذكاء في المخاطب كان المقتضى هو الإيجاز في الكلام، والإتيان بالاعتبارات اللطيفة، والمعاني الدقيقة، اعتمادًا على هذا الذكاء، وإن كانت الحال عبارة فيه كان المقتضى هو الإطناب في القول، والإتيان بالمعاني الصريحة الواضحة لأن ذلك هو الموافق لحال الغبي ... وهكذا: لكل مقام مقال، فللسوقة كلام لا يصح لسراة القوم وأمرائهم، وللذكي خطاب لا يناسب الغبي، وفي مواقف الحروب أو الوعيد والتهديد كلام يخالف ما يقال في مواطن توديع الأحبة، وبث الأشواق، وذكر أيام الفراق، وما قارب ذلك من معاني الاستعطاف والمعاذير، ففي الأول يستعمل اللفظ الضخم، والمعنى الفخم، وفي الثاني يستعمل اللفظ الرقيق الحاشية، الناعم الملمس، اللطيف الموقع، وإن لنا في القرآن والحديث لخير قدوة في استعمال ما يناسب المقام من فنون الكلام.

تنبيهان:

الأول: مما تقدم تعلم أن مراتب البلاغة تتفاوت في العلو والانحطاط بتفاوت مراعاة تلك المقتضيات، والاعتبارات المناسبة للمقام. فكلما كانت رعاية تلك المقتضيات أوفى بالغرض، وأليق بالمقام كان الكلام أبلغ وأسمى، وكلما كانت تلك الرعاية أقل وفاء، وأبعد لياقة كان الكلام أحط مرتبة وأقل بلاغة، فإذا كنت مثلا تخاطب ذكيا منكرا لحكم من الأحكام وجب أن تراعي في خطابك ذكاءه وإنكاره معًا، فتعطي له من الكلام ما يناسب ذكاءه من الإيجاز، وما يلائم إنكاره من التأكيد، فإذا راعيت ذلك كان كلامك أبلغ وأسمى مكانة؛ لأنه أكمل مطابقة لمقتضى حال الخطاب. وإن راعيت في الخطاب معه أحد الأمرين بأن أوجزت ولم تؤكد، أو أكدت ولم توجز كان كلامك أقل بلاغة وأدنى مكانة، فإن لم تراع الأمرين جميعًا كان كلامك عاطل الجيد من حلية البلاغة، وكاد يلتحق بأصوات الحيوان.

(٣٠/١)

ولهذا كان القرآن الكريم في أعلى طبقات البلاغة؛ لصدوره عمن هو أعلم بكافة الأحوال: ظاهرها وخفيها، وأدرى بمقتضياتها واعتباراتها {تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} .

الثاني: إنما شرطنا في بلاغة الكلام أن يسلم من العيوب المخلة بفصاحته وفصاحة أجزائه؛ لتعلم أن البلاغة أخص من الفصاحة، وأن كل كلام بليغ لا بد أن يكون فصيحًا ولا عكس.

فإذا قلت لمنكر: إن أنف هذا لمسرج، أو قلت: والله ليس بقرب قبر حرب قبر، لم يكن كلامك بليغًا مع أنه مطابق لمقتضى حال المخاطب، ذلك لفقدان شرط الفصاحة فيه، أما في المثال الأول فلكون بعض أجزائه وحشيًّا غريبًا، وأما في الثاني فلكونه متنافر الكلمات مجتمعة.

وإذا قلت لمن ينكر كرم علي ونبله: "علي كريم الخلق نبيل الطبع" من غير تأكيد، كان كلامك فصيحًا لسلامته من العيوب المخلة بالفصاحة، ولكنه ليس بليغًا لعدم مطابقته لمقتضى حال المنكر؛ إذ إن حاله يقتضي التأكيد محوًا لإنكاره.

فعلم من هذا أن الكلام لا يكون بليغًا إلا إذا كان فصيحا لأخذ شرط الفصاحة فيه، أما الفصاحة في الكلام فتتحقق بدون البلاغة لعدم أخذ شرط البلاغة فيها، كما يتبين لك ذلك من الأمثلة السابقة ا. هـ.

بلاغة المتكلم:

هي ملكة أو صفة قائمة بالمتكلم راسخة فيه، يتمكن بها متى شاء من تأليف كلام بليغ في أي معنى يريده.

فالمدار "كلما قلنا في فصاحة المتكلم" على أن تكون فيه هذه الصفة ثابتة راسخة، يستخدمها –متى أراد– في أي فن من فنون الكلام، فهو بليغ وإن لم ينطق متى وجدت فيه هذه القدرة على صوغ الكلام البليغ، فإذا فقد هذه القدرة لم يكن

بليغًا، كما لا يكون كذلك إذا استطاع صوغ الكلام البليغ في معنى دون آخر.

وقياسًا على ما سبق من أن البلاغة أخص من الفصاحة، يكون المتكلم البليغ أخص من الفصيح؛ لأن المتكلم البليغ هو "كما قلنا" من به ملكة الإتيان بكلام بليغ، والكلام البليغ "كما تقدم" مشروط فيه الفصاحة؛ وحينئذ لا يكون المتكلم بليغًا حتى يكون فصيحًا، أما المتكلم الفصيح فقد يفقد صفة البلاغة بأن يصوغ كلامًا خاليًا من العيوب المخلة بالفصاحة، غير مطابق لمقتضى الحال كما إذا قلت لمنكر نجاح أخيه: "نجح أخوك" من غير تأكيد. ومما تقدم تعلم أن:

البلاغة يتوقف تحققها على أمرين:

الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وهو معنى مطابقة الكلام لمقتضى حال الخطاب، على ما تقدم بيانه.

الثاني: سلامته من العيوب المخلة بفصاحته، على ما فصلناه لك سابقًا.

تتمة:

علمت مما تقدم في بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ما يعرض للفظ من عيوب، وما ينتابه من خلل، فيجمل بنا إذًا أن نعرف: بم نتقي هذه العيوب ونتجنب هذا الخلل في كلامنا حتى يخرج اللفظ سليمًا معافى في جوهره، وصيغته، ومعناه، لا يشكو عيبًا، ولا يحس نقصًا؟ فنقول:

أ- الغرابة: يمكن اجتنابها بالاطلاع على علم متن اللغة، فمن تتبع كتب اللغة، ووقف على معاني المفردات المستعملة علم أن ما عداها مما يفتقر إلى تنقيب، أو تخريج غير سالم من الغرابة.

ب- المخالفة: يمكن الاحتراز عنها بالوقوف على ما نقل عن الواضع في معاجم اللغة، أو بالاطلاع على قواعد علم الصرف فهو الباحث في صيغ

المفردات ونهج استعمالها، فمن ألم بقواعده عرف أن نحو "الأجلل" مثلًا مخالف دون "الأجل" إذ من قواعدهم أن المثلين إذا اجتمعا في كلمة واحدة، وكان ثانيهما متحركًا، ولم يكن زائدًا لغرض وجب إدغامها.

ج- ضعف التأليف والتعقيد اللفظي: يمكن توقيهما بمعرفة قواعد النحو، إذ هو الباحث في طرق استعمال المركبات على الوجه الحق، فمن مارس هذا العلم، ووقف على أصوله ومسائله استطاع أن يصوغ الكلام على نهج قويم سليم من شوائب الضعف والتعقيد.

د- التنافر: ملاك معرفته الذوق السليم، فلا حاكم فيه سواه، فهو الذي يدرك أن نحو "مستشزر" متنافر دون مرتفع، وهو الذي يدرك ما بين الكلمات من تنافر أو تضافر، وقد تقدم في ذلك خلاف.

هـ- التعقيد المعنوي: يعرف من دراسة علم البيان، فمن زاول هذا العلم وأحصى مسائلة عرف كيف يتوقى التعقيد في معاني الكلام، وكيف يبرزه لك فاتحًا صدره، كاشفًا لك عن ضميره.

والاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى يعرف من دراسة علم المعاني، فمن مارس هذا العلم، وكشف عن أمره، ووقف على سره عرف كيف يتوقى الخطأ في تأدية المعنى المراد، وكيف يطبق الكلام على مقتضيات الأحوال.

أما الوجوه التي تخلع على اللفظ خلعة البهجة والبهاء فتعرف من علم البديع؛ إذ به نعرف كيف نحلي من اللفظ جيده العاطل، بما يبهج القلب، ويطرب السمع، ويشرح الخاطر.

والثلاثة الأخيرة هي المسماة بعلوم البلاغة، وبعض الأئمة يسمي الكل "علم البيان" لأن البيان هو المنطق

الفصيح المعرب عما في الضمير، قال الجاحظ: البيان: اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى، وبعضهم يسمي الجميع "علم البديع" لما في مباحثه من الإبداع والابتداع.

(٣٣/١)

تمرين:

١- اذكر معنى البلاغة في اللغة، ومعناها في اصطلاح علماء البلاغة.

٢- بين معنى بلاغة الكلام، مع بيان معنى الألفاظ الآتية: الحال، مقتضى الحال، المطابقة، ثم ائت بمثال من عندك موضحًا فيه ذلك.

٣- إذا استطاع متكلم أن يؤلف كلامًا في الطبقة العليا من البلاغة في أحد الأغراض؛ كالمدح أو الرثاء، فهل يعد في عرف البلغاء بليغًا؟

٤- بين وجه خروج الجمل الآتية عن حد البلاغة:

١- قال رجل لمنكر قدوم الأمير: الأمير قادم.

٢- نزلت بالعدو داهية خنفقيق١.

٣- قال الفرزدق يمدح خالدًا، ويذم أسدًا أمير خراسان بعد خالد:

وليست خراسان التي كان خالد ... بها أسد إذ كان سيفًا أميرها٢

٤- قتل أخوه اللص.

٥- قال ابن نباتة في خطبة له، يذكر فيها أهوال يوم القيامة: اقمطر٣ وبالها، واشمخر٤ نكالها، فما ساغت، ولا طابت.

٦-

إذا جاوز الاثنين سر فإنه ... بنشر وتكثير الوشاة قمين٥

الجواب على السؤال الأخير:

١- لم يكن القول المذكور بليغًا؛ لعدم مطابقته لمقتضى الحال، إذ إن حال المخاطب يقتضي التأكيد.

---

١ أي: شديدة.

٢ أصل الكلام: وليست خراسان بالبلد التي كان خالد بها سيفا، إذ كان الأسد أميرها، وفي "كان" الثانية ضمير الشأن، والجملة بعدها خبر عنها.

٣ اشتد.

٤ طال.

٥ أي: جدير، يقول الشاعر: إذا جاوز وتعدى السر شخصين، لم يعد سرًّا خافيًا، فإذا شاع وذاع لم يكن بدعًا؛ لأنه خليق بذلك.

٢- غير بليغ؛ لأن في بعض أجزائه غرابة في المعنى، وتنافرًا في الحروف، وهذا مخلّ بفصاحة الكلام التي هي شرط في بلاغته.

٣- ليس من البلاغة في شيء؛ لما فيه من تعقيد في اللفظ، خفي المعنى بسببه. وهذا مخل بفصاحة الكلام المأخوذة شرطًا في بلاغته.

٤- غير بليغ؛ لعدم فصاحته لما فيه من الإضمار قبل الذكر، وهو ضعف في تأليف الكلام.

٥- خرج عن حد البلاغة؛ لأن في بعض أجزائه غرابة في المعنى وتنافرًا في الحروف، وهما مخلان بالفصاحة.

٦- ليس بليغًا؛ لمخالفته في لفظ "الاثنين" ما سمع عن العرب الفصحاء، ولمخالفته للقياس الصرفي، إذ إن هذه الكلمة من مواضع همزة الوصل، لا همزة القطع كما عرف في محله.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه:

قال رجل لآخر لا ينكر عليه شيئًا: والله إن محمدًا لكريم الخلق. قال بعض الوعاظ في كلام له: حتى جنأت١ وجنات جنات الحبيب. مر رجل بخياط وقد خرج الرجل يبحث عن فرسه ومهر لها، فقال له: يا ذا النصاح٢ وذات السم٣ الطاعن بها في غيره وغى٤ لغير عدا٥، هل رأيت الخيفقانة٦ القثاء٧ يتبعها الحاسن٨ المسرهف٩ كأن غرته القمر الأزهر ينير في حضره١٠

---

١ أي: جنيت.

٢ النصاح بكسر النون: الخيط.

٣ ذات السم بفتح السين: الإبرة.

٤ الوغى: الحرب.

٥ جماع: عدو.

٦ الفرس الطويلة الظهر.

٧ بالثاء المشددة هي: الدقيقة الخصر، الضامرة البطن.

٨ من حسن يحسن.

٩ بفتح الهاء: المنعم المرهف.

١٠ بضم فسكون: الارتفاع عند الجري.

(٣٥/١)

كالخلب١ ... إلخ. قال الشاعر:

جزى ربه عنه عدي٢ بن حاتم ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

قال يحيى بن يعمر لرجل حاكمته امرأته إليه: أئن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها٣.

وما من فتى كنا من الناس واحدًا ... به نبتغي منهم عديلًا نبادله٤

ألا ليت شعري هل يلومن قومه ... زهيرًا على ما جر من كل جانب؟ ٥

---

١ بضم الخاء وتشديد اللام المفتوحة: البرق.

٢ هو عدي بن حاتم الطائي، المشهور بكرمه.

٣ الشكر بفتح الشين أو كسرها وسكون الكاف: الفرج، والشبر بفتح فسكون: حق النكاح، وطل كنصر: ماطل، وضهل حقه: نقصه، وبابه منع.

٤ أصل البيت: وما من فتى من الناس كنا نبتغي واحدًا منهم عدلًا نبادله به.

٥ قومه بالرفع على الفاعلية.

(٣٦/١)

علم البيان

مدخل

...

علم البيان:

واضعه: إن أول من دون فيه كتابًا "كما قدمنا" في أول الكلام هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، أحد رواة اللغة،

المتوفى سنة ٢٠٦هـ، وهو الكتاب المسمى "مجاز القرآن"، ثم كتب فيه بعض الأئمة المبرزين إلى آخر ما تقدم.
وأول من رتب مباحثه، وجعل له أصولًا وقواعد مهذبة الإمام عبد القاهر، فهو من هذه الناحية يعتبر واضع هذا الفن.

وفيه خمسة مباحث:

١- مبحث التعريف.

٢- مبحث الدلالة.

٣- مبحث التشبيه.

٤- مبحث الحقيقة والمجاز.

٥- مبحث الكناية.

(٣٦/١)

المبحث الأول: في تعريف علم البيان

معناه في اللغة: الكشف والإيضاح، أما معناه في الاصطلاح فهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد، في تراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة عليه، بمعنى أن يكون تركيب أوضح في الدلالة من تركيب آخر.

وموضع هذا الفن: هو هذا الإيراد للمعنى الواحد في التراكيب المختلفة، في وضوح الدلالة.

فالمعنى الواحد "كالجود" مثلًا، يمكنك إذا كنت ملمًّا بمسائل هذا الفن، عالمًا بأصوله وقواعده أن تؤديه من طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

فتارة من طريق التشبيه، فتقول: "محمد كالبحر في الإفاضة" فتشبه بالبحر محمدًا وتلحقه به في هذا المعنى.

وتارة عن طريق الاستعارة، فتقول: "رأيت بحرًا على فرس يداعب أقرانه" فتشبه محمدًا بالبحر في الإفاضة، ثم تستعير لفظ البحر له كما ستعرفه بعد.

وتارة عن طريق الكناية، فنقول: "محمد كثير الرماد" فإن كثرة الرماد تدل على كثرة إحراق الحطب الدالة على كثرة الطبخ، وهذه تدل على كثرة الأكلة، وهذا دليل الجود، فكثرة الرماد حينئذ كناية عن الجود.

فهذه التراكيب الثلاثة تؤدي معنى واحدا هو الجود "كما رأيت" وأول هذه التراكيب أوضح من الثاني في تأدية هذا المعنى، والثاني أوضح من الثالث، وكل ذلك سيأتي لك مفصلًا في محاله، ومثل الجود "الشجاعة".

فتارة يعبر عنها من طريق التشبيه، فيقال: "محمد كالأسد في الشجاعة".

وتارة عن طريق الاستعارة، فيقال: "رأيت أسدًا يخطب القوم على المنبر".

وتارة عن طريق الكناية، فيقال: "زارنا أبو الحرب" فإن أبوته لها كناية عن ملازمته إياها كما يلزم الأب ابنه، وهذا كناية عن شجاعته.

وأوضح التراكيب دلالة على هذا المعنى هو الأول، ويليه الثاني، ثم الثالث، وهكذا دواليك.

تنبيهان:

الأول: إن "ال" في لفظ "المعنى" الوارد في التعريف المذكور للاستغراق العرفي، أي: كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم.

فلو استطاع إنسان أن يورد معنى "الجود" في تراكيب مختلفة في الوضوح دون غيره من المعاني، لم يكن بمجرد ذلك عالمًا بعلم البيان، بل لا بد أن يستطيع ذلك في كل معنى يدخل تحت قصده وإرادته ا. هـ.

الثاني: إن في التعريف تقييدين؛ تقييد المعنى "بالواحد"، وتقييد التفاوت "بوضوح الدلالة على المعنى".

أما الأول: فالغرض منه الاحتراز عن المعاني المتعددة المؤداة بطرق متفاوتة في وضوح الدلالة عليها، بأن يكون هذا الطريق مثلًا في معناه أوضح دلالة من الآخر في معناه؛ كأن تعبر عن معنى الجود مثلًا بقولك: "محمد كالسحاب" في الفيض، ثم تعبر عن معنى الشجاعة بقولك: "مر أسد فحياني" فمن الواضح أن التركيب الأول في معناه أوضح دلالة من الثاني في معناه، ومثل هذا ليس من علم البيان في شيء؛ لأن المعنى في العبارتين مختلف، والشرط: أن يكون المعنى في العبارتين واحدًا "كما عرفت".

وأما الثاني: فالقصد منه الاحتراز عن التفاوت في مجرد اللفظ، لا في وضوح الدلالة، كما إذا أوردت معنى واحدًا في تركيبين مترادفين، وأنت عالم بمدلولات الألفاظ فيهما، كأن تقول مثلًا: نكهة[١] فم محمد كالطيب، ثم تقول: رائحة ثغر محمد كالند[٢]، فمثل هذا ليس من مباحث علم البيان؛ لأن التركيبين متماثلان في وضوح الدلالة على المعنى، والاختلاف إنما هو في اللفظ والعبارة فقط. والشرط: أن يكون الاختلاف في وضوح الدلالة "كما علمت".

---

١ رائحة الفم.

٢ نوع من الطيب.

المبحث الثاني: في الدلالة

مدخل

...

المبحث الثاني: في الدلالة

تعريفها:

هي فهم أمر من أمر، فالأمر الأول هو المدلول، والثاني هو الدال كدلالة لفظ "محمد" على معناه الذي هو "الذات" فاللفظ هو الدال، والذات هي المدلول، وفهم الذات من اللفظ هو معنى الدلالة.

ولما لم تكن كل دلالة تقبل الاختلاف في الوضوح الذي هو موضوع هذا الفن، وجب أن تقسم الدلالة، ثم يعين المقصود منها.

تقسيمها:

الدلالة باعتبار الدال قسمان: لفظية، وغير لفظية.

فاللفظية: ما كان الدال فيها لفظا؛ كدلالة لفظ "إنسان" على الحيوان الناطق، وكدلالة لفظ "أسد" على الحيوان المفترس.

وغير اللفظية: ما كان الدال فيها غير لفظ؛ كدلالة الدخان على النار، وكدلالة حمرة الخد على الخجل، ودلالة صفرته على الوجل. والثانية لا علاقة لها بمباحث علم البيان.

والأولى أقسام ثلاثة: وضعية، طبيعية، عقلية.

فالوضعية: ما كان للوضع فيها مدخل؛ كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق، فالرابط بين الدال والمدلول وضع الواضع أي: تعيينه هذا اللفظ لهذا المعنى، ومثله دلالة الفرس على الحيوان الصاهل.

والطبيعية: ما كان قوامها الطبع؛ كدلالة التأوه على الوجع، فالربط بين الدال والمدلول في هذه الدلالة هو الطبع، إذ إن طبع المريض أن يتأوه عند استشعاره الألم.

والعقلية: ما كان قوامها العقل؛ كدلالة الصوت على حياة صاحبه، كما إذا سمعت صوت إنسان من وراء جدار، فإن صوته دليل على حياته، فالرابط بين الدال والمدلول في هذه الدلالة هو العقل لا غير.

والدلالتان الأخريان لا علاقة لهما أيضًا بعلم البيان، فهما خارجتان. والأولى وهي اللفظية الوضعية ثلاثة أقسام كذلك: مطابقية، تضمنية، التزامية.

فالمطابقية: دلالة اللفظ على كامل معناه؛ كدلالة الإنسان على الحيوان والناطق، ودلالة الفرس على الحيوان والصاهل. وسميت مطابقية لتطابق اللفظ والمعنى، أي: تساويهما؛ لأن الواضع إنما وضع لفظ "إنسان" ليدل على مجموع الحيوان والناطق، كما وضع لفظ "فرس" ليدل على مجموع الحيوان والصاهل.

والتضمنية: دلالة اللفظ على جزء معناه الموضوع له؛ كدلالة "الإنسان" على الحيوان فقط، أو الناطق فقط، وكدلالة "البيت" على السقف، أو الجدار.

وسميت تضمنية؛ لأن الحيوان أو الناطق جزء من معنى الإنسان، وداخل في ضمنه؛ لأن الواضع إنما وضع لفظ "إنسان" ليدل على الحيوانية والناطقية معًا، كما وضع لفظ "بيت" ليدل على جميع أجزائه، فدلالة "الإنسان" على الحيوانية فقط، أو الناطقية فقط دلالة تضمنية؛ لأن الكل متضمن لأحد أجزائه، وكذلك دلالة "البيت" على السقف، أو الجدار.

والالتزامية: دلالة اللفظ على لازم معناه الموضوع له؛ كدلالة "الإنسان" على الضحك، وكدلالة "حاتم" على الجود، والأسد على الشجاعة، ودلالة كثرة الرماد على الكرم[1].

---

١ صورة الدلالة التضمنية أن يسألك سائل، مشيرًا إلى شبح: أناطق هذا أم صاهل؟ فتقول مجيبًا: هو إنسان، تريد هو ناطق، فقد دللت "بإنسان" على الناطق دلالة تضمنية؛ لأن الناطق جزء معنى الإنسان، وصورة الدلالة الالتزامية أن يسألك سائل، مشيرًا إلى شبح: أضاحك هذا أم غير ضاحك؟ فتقول مجيبًا: هو إنسان تريد هو ضاحك، فقد دللت "بإنسان" على الضاحك دلالة التزامية؛ لأن الضحك وصف لازم للإنسان.

وسميت التزامية؛ لأن الضحك ليس معنى الإنسان، ولا جزء معناه، وإنما هو خارج عن معناه، لكنه لازم له. وكذلك الجود لحاتم، والشجاعة للأسد، والكرم لكثرة الرماد، فكل ذلك لازم للمعنى الموضوع له.

تنبيهان:

الأول: يكفي في دلالة الالتزام أن يكون التلازم بين الشيئين في الذهن، كالتلازم الذي بين الإنسان والضحك، إذ يلزم من حضور معنى الإنسان "وهو الحيوان الناطق" في الذهن حضور معنى الضحك فيه. وكالتلازم الذي بين الأسد والشجاعة، إذ يلزم من تصور معنى الأسد، وهو الحيوان المفترس، تصور معنى الشجاعة.

أما التلازم في الخارج فليس بشرط، فإن وجد مع التلازم الذهني كان حسنًا كالتلازم بين الزوجية والأربعة، فإن الزوجية "كما يبدو بداهة" لازمة للأربعة ذهنًا وخارجًا، وإن لم يوجد التلازم الخارجي فلا ضير؛ كالتلازم الذي بين العمى والبصر؛ فإن البصر لازم للعمى ذهنًا فقط، إذ يلزم من تصور معنى العمى تصور معنى البصر؛ لأن العمى فقد البصر عما من شأنه الإبصار، أما في الخارج فبينهما التعاند.

كذلك يكفي في دلالة الالتزام أن يكون التلازم بين الشيئين عرفيًّا، بأن يتعارف الناس فيما بينهم على التلازم بينهما كالتلازم الذي بين "الأسد" و"الجرأة"، والذي بين "كثرة الرماد" و"الكرم"، والذي بين "الفاعل النحوي" و"حركة الرفع" فقد تعارف الناس على أن الجرأة لازمة للأسد، وتعارف علماء البيان على أن الكرم لازم لكثرة الرماد، وتعارف علماء النحو على أن حركة الرفع لازمة للفاعل، في حين أن لا تلازم عقلًا بين هذه الأشياء؛ إذ يتصور العقل أسدًا جبانًا كما يتصور كثرة رماد بدون كرم كما يتصور فاعلًا منصوبًا أو مجرورًا.

أما التلازم العقلي، وهو ما لا يتصور العقل انفكاكه، فليس بشرط في دلالة الالتزام كالتلازم الذي بين الزوجية والأربعة، أو بين الفردية والثلاثة

إذ لا يتصور العقل أربعة بدون زوجية، أو ثلاثة بدون فردية، فالمدار في دلالة الالتزام على وجود مطلق تلازم، ولو بسبب تعارف عام أو خاص كما مثلنا.

الثاني: اصطلح البيانيون على تسمية المطابقة "وضعية" لأن الواضع إنما وضع اللفظ لتمام معناه، لا لجزئه ولا للازمه، فلفظ "الإنسان" مثلًا وضعه الواضع لمجموع الحيوان والناطق ولم يضعه لواحد منهما ولا لوصف لازم "كالضحك". فقوام هذه الدلالة هو العلم بالوضع، بدون حاجة إلى شيء آخر وراءه، واصطلحوا على تسمية كل من التضمنية، والالتزامية عقلية؛ لأن دلالة اللفظ على جزء معناه، أو على لازم هذا المعنى متوقفة على أمر عقلي زائد على العلم بالوضع، وهو أن وجود الكل أو الملزوم يستلزم وجود الجزء أو اللازم. "فالإنسان" مثلًا موضوع لمجموع الحيوان والناطق، فمجرد العلم بهذا الوضع ليس كافيًا في جعل لفظ "إنسان" دالًّا على جزء معناه "كالناطقية" مثلًا، أو على لازمه "كالضاحكية" بل لا بد مع العلم بهذا الوضع من انتقال العقل من المعنى الموضوع له "إنسان" إلى جزئه ضرورة أن الكل يتضمن الجزء، أو إلى لازمه ضرورة أن الملزوم يستلزم اللازم. وإنما اقتصر على العقل في تسمية هاتين الدلالتين، مع أن كلا من العقل والوضع سبب فيهما؛ لأن سببية العقل أقرب من سببية الوضع، ذلك أن انتقال العقل من الكل إلى جزئه، أو من الملزوم إلى لازمه إنما جاء بعد العلم بوضع اللفظ لهذا الكل أو لهذا الملزوم، فهو لذلك سبب قريب، والذهن إلى القريب أكثر

التفاتًا منه إلى البعيد١ ا. هـ.

والمقصود بالبحث في هذا الفن هو الدلالة العقلية بنوعيها، إذ هي التي يتأتى فيها الاختلاف في الوضوح الذي هو موضوع هذا الفن.

بيان ذلك في التضمنية: هو أنه يجوز أن يكون المعنى الواحد جزءًا من شيء

---

١ أما المناطقة فيسمون الدلالات الثلاث وضعية؛ لأن للوضع مدخلًا، وهم يعتبرون في تسميتها "وضعية" السبب البعيد.

"كالجسم" فإنه جزء من الحيوان، وأن يكون جزءًا لجزء من شيء آخر "كالجسم" أيضًا، فإنه جزء من الحيوان الذي هو جزء من الإنسان. وإذًا تكون دلالة الحيوان على الجسم الذي هو جزؤه المباشر أوضح من دلالة الإنسان على الجسم الذي هو جزء جزئه.

ومثل الجسم "فيما قلنا" التراب؛ فإنه جزء من الجدار الذي هو جزء من البيت، فدلالة الجدار على التراب الذي هو جزؤه المباشر أوضح من دلالة البيت على التراب الذي هو جزء جزئه، وهكذا.

وبيان ذلك في الالتزامية هو أنه يجوز أن يكون للازم الواحد عدة ملزومات، لزومه لبعضها أوضح منه لبعضها الآخر "كالكرم" مثلًا؛ فإنه لازم وله جملة ملزومات تستلزمه وتدل عليه، هي: كثرة الضيفان، وكثرة الطبخ، وكثرة إحراق الحطب، وكثرة الرماد، فهذه الأمور الأربعة تستلزم الكرم، وتدل عليه؛ إذ يلزم من وجودها وجوده، غير أن دلالة بعضها على معنى "الكرم" أوضح من دلالة بعضها الآخر عليه، فدلالة كثرة الأضياف على كرم "محمد" مثلًا أوضح من دلالة كثرة الطبخ عليه؛ لأن كثرة الأضياف أقرب إلى معنى الكرم من كثرة الطبخ، فقولك: محمد "كثير الأضياف" أدل على كرمه من قولك: "محمد كثير الطبخ"؛ إذ لا واسطة بين كثرة الضيفان والكرم، ودلالة كثرة الطبخ على الكرم أوضح من دلالة كثرة إحراق الحطب عليه؛ لأن كثرة الطبخ أقرب إلى معنى الكرم من كثرة الإحراق، فقولك: "محمد كثير الطبخ" أدل على كرمه من قولك: "محمد كثير إحراق الحطب" لقلة الوسائط بين كثرة الطبخ والكرم، ودلالة كثرة الإحراق على معنى الكرم أوضح من دلالة كثرة الرماد عليه؛ لأن كثرة الإحراق أقرب إلى معنى الكرم من كثرة الرماد، فقولك: "محمد كثير الإحراق" أدل على كرمه من قولك: "محمد كثير الرماد" لقلة الوسائط في الأول، وكثرتها في الثاني. وهكذا كلما كان الملزوم

أقرب إلى لازمه كانت دلالته عليه أوضح، وأوضح هذه الدلالات على الكرم دلالة كثرة الضيفان عند محمد، وأقلها وضوحًا كثرة الرماد عنده كما رأيت.

(٤٣/١)

ومثل الكرم فيما فصلنا "الحرارة" فهي لازمة لعدة ملزومات هي: "النار" و" الشمس" و"الحركة الشديدة" فدلالة النار على الحرارة أوضح من دلالة الشمس عليها، ودلالة الشمس عليها أوضح من دلالة الحركة الشديدة عليها. فقولك: محمد في جسمه نار، أدل على حرارته من قولك: في جسمه شمس، أو في جسمه حركة شديدة، وهكذا.

إلى هنا وضح لك اختلاف الوضوح في الدلالتين العقليتين: التضمنية والالتزامية، مما لا يقبل المزيد.

أما الدلالة الوضعية المطابقية التي هي دلالة اللفظ على تمام معناه، فليست من مباحث هذا الفن؛ إذ لا يتأتى فيها الاختلاف في وضوح الدلالة.

بيان ذلك: أن السامع لا يخلو حاله من أمرين:

١- أن يكون عالمًا بوضع الألفاظ لمعانيها.

٢- ألا يكون عالمًا بهذا الوضع، فإن كان الأول فلا تفاوت في الدلالة على المعنى؛ لأن كل لفظ معلوم وضعه لمعناه، وإن كان الثاني فقد انعدم فهم المعنى من اللفظ؛ لتوقف الفهم على العلم بالوضع، وفهم المعنى من اللفظ "كما سبق" هو "الدلالة" عينها؛ إذ "هي كما قلنا" فهم أمر من أمر، وإذا انتفى الفهم المذكور الذي هو "الدلالة" فلا اختلاف في الوضوح؛ إذ لا يتصور اختلاف وضوح فيما لا دلالة له.

فإذا قلت مثلًا: "محمد يشبه السحاب في العطاء" وكان السامع يعلم بوضع هذه الألفاظ لمعانيها، ثم أتيت بتركيب آخر دال على هذا المعنى بألفاظ مرادفة لألفاظ التركيب الأول، فقلت: "محمد يحاكي الغمام في النوال" وكان السامع يعلم أيضًا بوضع هذه الألفاظ لمعانيها، امتنع حينئذ أن يكون التركيب الثاني أوضح دلالة من الأول بل هما في الدلالة سواء. فإذا لم يعلم السامع وضع الألفاظ لمعانيها في التركيبين، أو في أحدهما لم يفهم شيئًا أصلًا؛ لتوقف الفهم على العلم بالوضع "كما قلنا"، وإذا انتفى الفهم فلا دلالة للفظ، فلا اختلاف في الوضوح.

فأنت ترى أن الاختلاف في الوضوح منتفٍ على كلا التقريرين في الدلالة الوضعية المطابقية، فهي إذًا خارجة عن موضع هذا الفن.

(٤٤/١)

تمرين:

١- عرف علم البيان في الاصطلاح، ثم ائت بمثال توضح فيها ما تقول.

٢- بين لماذا قيد المعنى "بالواحد" وقيد الاختلاف "بالوضوح" في الدلالة؟

٣- عرف الدلالة وقسمها، وعرف كل قسم، مع التمثيل لكل ما تذكر.

٤- اذكر أية الدلالات هي موضوع علم البيان، مع التوجيه لما تقول.

٥- بين لماذا لم تكن الدلالة الوضعية المطابقية من مباحث علم البيان؟

(١/٤٥)

تقسيم اللفظ إلى: حقيقة، ومجاز، وكناية

اللفظ المستعمل نوعان: نوع لا يتصرف فيه عند الاستعمال أي تصرف، بل يبقى على أصل وضعه، ونوع يتصرف فيه عند الاستعمال.

فالأول يسمى "حقيقة" وهي إما أن تكون في إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن تكون في ذات اللفظ.

فإن كانت في الإسناد سميت "حقيقة عقلية"، وإن كانت في ذات اللفظ سميت بأسماء تختلف باختلاف الواضع.

فإن كان الواضع من أرباب اللغة سميت حقيقة لغوية، وإن كان من أهل الشرع سميت حقيقة شرعية، وإن كان الواضع طائفة معينة كالنحاة مثلًا سميت حقيقة اصطلاحية أو عرفية خاصة، وإن كان الواضع طائفة غير معينة سميت حقيقة عرفية عامة.

والثاني، وهو ما يتصرف فيه عند الاستعمال، يسمى "مجازًا".

وهذا التصرف: إما أن يكون في إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن يكون في ذات اللفظ.

(١/٤٥)

فإن كان التصرف في الإسناد بأن أسند اللفظ إلى غير ما حقه أن يسند إليه، سمي "مجازًا عقليًّا" وإن كان التصرف في اللفظ ذاته، مفردًا كان أو مركبًا، بأن نقل من معناه الموضوع له إلى معنى آخر، فإن كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة سمي اللفظ المفرد "استعارة" فحسب، وسمي المركب "استعارة تمثيلية" بشرط وجود القرينة المانعة فيهما كما سيأتي بيانه بعد. وإن كانت العلاقة غير المشابهة سمي اللفظ "مجازًا مرسلًا" مفردًا كان أو

مركبًا، وإن كانت القرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصل سمي اللفظ "كناية" وسيأتي كل ذلك مفصلًا في أبوابه. وإلى هنا وضح لك وجه تقسيم اللفظ إلى: حقيقة ومجاز وكناية.

وإذ قد علمت: أن العلاقة بين المعنيين في الاستعارة هي المشابهة، وجب التعرض أولًا لبحث التشبيه؛ إذ هو منها بمثابة الأساس من البناء، أو بمنزلة الأصل من الفرع.

(٤٦/١)

المبحث الثالث: في التشبيه

مدخل

...

المبحث الثالث: في التشبيه

تعريفه:

هو عند علماء "البيان" إلحاق أمر بأمر في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه لفظًا، أو تقديرًا لغرض. ويسمى الأمر الأول "مشبهًا" والثاني "مشبهًا به" والمعنى المشترك "وجه شبه" كالتشبيه في قولك: "العلم كالنور في الهداية" فهو إلحاق أمر "كالعلم" بأمر "كالنور" في معنى "كالهداية" بأداة تشبيه "كالكاف". ومثله قولك: "علي مثل الأسد في الإقدام" وهند شبه البدر في الإشراق، وكأن محمدًا بحر في الإمداد، وهكذا. ويصح حذف الأداة ووجه الشبه، فيقال في الأمثلة السابقة: العلم نور، وعلي أسد، وهند بدر، ومحمد بحر.

أركان التشبيه:

أركانه أربعة: ١- المشبه. ٢- المشبه به. ٣- وجه الشبه. ٤- أداة التشبيه.

"فالعلم" في المثال المتقدم هو المشبه، و"النور" هو المشبه به، و"الهداية" وجه الشبه، و" الكاف" أداة التشبيه.

(٤٦/١)

وفيه أربعة مباحث:

أ- مبحث الطرفين. ب- مبحث وجه الشبه. جـ- مبحث الأداة. د- مبحث الأغراض. وإليك بيانها على هذا الترتيب:

مبحث الطرفين:

الطرفان هما –كما قلنا– المشبه والمشبه به كما في قولك: "محمد كسحبان"، فالطرفان هما "محمد وسحبان" والأول مشبه، والثاني مشبه به.

وللتشبيه باعتبار الطرفين تقسيمات ثلاثة:

التقسيم الأول:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام:

١– أن يكون طرفاه حسيين أي: مدركين بإحدى الحواس الخمس. مثال ذلك فيما يدرك بحاسة البصر قولك: "وجه هند كالبدر، وشعرها كالليل". ومثاله فيما يدرك بحاسة السمع قولك: "أسمع صوتًا كتغريد الحمام، ودويًّا كدوي الرعد". ومثاله فيما يدرك بحاسة الشم قولك: "عرف هند كأريج المسك". ومثاله فيما يدرك بحاسة اللمس قولك: "جسمه كالعجين"، ومنه قول ذي الرمة في تشبيه الجسم بالحرير:

لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر[١]

ومثاله فيما يدرك بحاسة الذوق قولك: لعابه كالعسل، وشرابه كالحنظل؛ فالطرفان في هذه المثل جميعا حسيان "كما رأيت".

٢– أن يكون طرفاه عقليين أي: مدركين بالعقل، كما تقول في تشبيه العلم والجهل: "العلم كالحياة" و"الجهل كالموت" فالطرفان في المثالين عقليان.

---

١ رخيم الحواشي: في أطرافه لين ونعومة، والهراء بالضم: الكلام الكثير الفاسد، والنزر: الكلام القليل أي: لا تكثر في الكلام إلى حد الهذيان، ولا تقل منه إلى درجة العي.

٣– أن يكون المشبه عقليًّا والمشبه به حسيًّا كما تقول في تشبيه الخلق الكريم: "خلق كالعطر" وكقولك في تشبيه الرأي الواضح، والحظ العاثر: "رأي كفلق الصبح"، و"حظ كالليل".

٤– أن يكون المشبه حسيًّا والمشبه به عقليًّا، كتشبيه العطر بالخلق الكريم "عكس المثال السابق" وأشباهه بتقدير المعقول محسوسًا مبالغة. إذ ينبغي أن يكون المشبه به أقوى حالًا من المشبه ولو تقديرًا؛ لأنه الأصل.

تنبيه:

من الحسي: ما لا تدركه الحواس بذاته، ولكن تدرك مادته كقول الشاعر:

كأن الحباب١ المستدير برأسه ... كواكب در في سماء عقيق

يشبه الفقاقيع الطافية على وجه الماء بكواكب من در، منثورة في سماء من عقيق، وليس من شك أن صورة الكواكب المصوغة من الدر المنثور في سماء مصوغة من عقيق شيء لا يدرك بالحس لعدم وجوده خارج الأعيان، وإنما المدرك مادتها وهي: "الدر، والعقيق، والكواكب، والسماء" وهذا كافٍ في جعل مثل هذا التشبيه حسيًّا. فالحسي حينئذ هو ما يدرك بذاته، أو بمادته بإحدى الحواس الخمس؛ ليدخل فيه مثل هذا التشبيه الخيالي، وهو الشيء المتخيل المركب من أمور مدركة بإحدى الحواس.

ومن العقلي: ما يخترعه الوهم من عند نفسه، من غير أن يكون له، ولا لمادته وجود خارج الأعيان، كقول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟ ٢

وكقوله تعالى في شجرة الزقوم: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ} . فإن أنياب الأغوال، ورءوس الشياطين لم توجد هي ولا مادتها، وإنما هي من اختراعات الوهم.

فالعقلى حينئذ ما لا يدرك هو، ولا مادته بإحدى الحواس الخمس ليدخل فيه مثل هذا التشبيه الوهمى أهـ.

---

١ هو الفقاقيع التي تُرَى طافية على وجه الماء.

٢ الأغوال: جمع غول، يزعمون أنه وحش بشع المنظر، لا أصل له.

التقسيم الثاني:

ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين أيضًا أربعة أقسام:

١- أن يكون طرفاه مفردين، وهما إما أن يكونا مطلقين عند التقييد بنحو وصف، أو إضافة، أو حال، أو ظرف، أو نحو ذلك، أو يكونا مقيدين بشيء مما ذكر، أو يكون أحدهما مقيدًا، والآخر مطلقًا.

فالمفردان المطلقان كما في قولك: لها لحظ كالسهم، وثغر كالدر، والمقيدان كما في تشبيه من لم يحصل من سعيه على نتيجة بالناقش على الماء، فالمشبه هو الساعي المقيد بأن سعيه لم يأت بنتيجة، والمشبه به هو الناقش المقيد بأن نقشه على صفحة الماء.

ومثال ما فيه المشبه مطلق، والمشبه به مقيد قول ابن المعتز يصف الشمس:

والشمس كالمرآة في كف الأشل ... لما رأيتها بدت فوق الجبل

يريد أن يشبه الشمس في حركتها السريعة المتصلة، وإشراقها المتموج بالمرآة في يد المرتعش، فالمشبه وهو "الشمس" مفرد غير مقيد بشيء، والمشبه به وهو "المرآة" مفرد مقيد بكونه في يد المرتعش.

ومثال ما فيه المشبه مقيد، والمشبه به مطلق عن القيد عكس هذا المثال، أي: تشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس، وكما تقول: "اللؤلؤ المنظوم كالثغر" ففيه تشبيه "اللؤلؤ" وهو مقيد "بالثغر" وهو مطلق.

٢- أن يكون طرفاه مركبين، كما في قول الشاعر:

كأن سهيلًا والنجوم وراءه ... صفوف صلاة قام فيها إمامها

يريد: تشبيه هيئة سهيل، والنجوم مصطفة وراءه بهيئة إمام قائم يصلي

والناس خلفه صفوف متراصة. فالمشبه مركب من سهيل ومن النجوم وراءه، والمشبه به مركب كذلك من إمام قائم في محرابه ومن صفوف المصلين خلفه١. ومثله قول بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه٢

يصف الشاعر ملحمة بين جيشين يقتتلان بالسيوف، وقد انعقد عليهما غبار كثيف. فالمشبه مركب من النقع مثارًا فوق الرءوس، ومن السيوف المتلاحمة اللامعة في أثنائه، والمشبه به مركب من الليل، ومن الكواكب المتهاوية وهو تشبيه "كما ترى" فيه من الدقة والإبداع ما جعل بشارًا -وهو ضرير- يسمو به إلى درجة يقف دونها العباقرة المبصرون، ولو أنه أفرد التشبيه فشبه النقع وحده بالليل، والسيوف بالكواكب لصح ذلك، ولكن لا تحس تلك الروعة التي أحسستها من قبل، وما كان لبشار بهذا التشبيه أن يستوي على عرش السيادة بين أقرانه.

٢- أن يكون المشبه فردًا، والمشبه به مركبًا؛ كقول الصنوبري يصف زهرًا يتحرك من أسفل إلى أعلى، وبالعكس حسب اتجاه الريح:

وكأن محمر الشقيق ... إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد٣

يريد أن يشبه الزهر حال تصوبه وتصعده بأعلام الياقوت المنشورة على رءوس رماح من زبرجد. فالمشبه مفرد وهو "الشقيق"، والمشبه به مركب من أعلام ياقوت، ورماح من زبرجد.

١ التشبيه بهذا الوضع أملك لقلب السامع مما لو أفردت أجزاؤه، فقيل مثلًا: كأن سهيلًا إمام وكأن النجوم صفوف صلاة، يدرك ذلك الذوق السليم.

٢ النقع: الغبار، وتهاوى أي: تتهاوى بحذف إحدى التاءين، بمعنى يتساقط بعضها إثر بعض.

٣ محمر الشقيق من إضافة الصفة للموصوف أي: الشقيق المحمر، وهو ورد أحمر في وسطه سواد ينبت في الجبال، ويقال له أيضًا: شقائق النعمان، وتصوب: مال إلى أسفل، وتصعد: مال إلى أعلى.

٤- أن يكون المشبه مركبًا، والمشبه به مفردًا؛ كقول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي يصف الربيع:

يا صاحبي تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارًا مشمسًا قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر١

يلفت الشاعر نظري صاحبيه إلى صنيع المبدع القادر فيما أخرج من نبات بهيج ناضر، وكيف أن النبات لشدة اخضراره وكثافته صار لونه يضرب إلى السواد، حتى نقص من ضوء النهار المشرق، وكأنه ليل سرى فيه ضوء القمر. يريد الشاعر أن يشبه هيئة النهار المشرق، وقد خالطت ضوءه خضرة الزهر القائمة، فتضاءل ضوءه بليل بزغ قمره. فالمشبه مركب من نهار تألقت شمسه ومن زهر نابت في الربا، والمشبه به مفرد وهو "الليل المقمر" وتقييده بالوصف المذكور لا ينافي إفراده.

تنبيهان:

الأول: اعلم أن المراد بالقيد في التشبيه الذي كلا طرفيه أو أحدهما مقيد: هو ما يكون له مدخل في وجه الشبه بحيث لا يتم التشبيه بدونه. ففي المثال المتقدم في تشبيه الساعي المقيد بأن سعيه لم يكلل بالنجاح بالنقاش المقيد بأن نقشه على الماء لا بد فيه من اعتبار هذين القيدين؛ لأن وجه الشبه بين الطرفين هو "تساوي الفعل وعدمه" وهذا المعنى لا يتم إلا باعتبار القيدين المذكورين.

وكذلك الحال في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل، إذ لا بد من اعتبار كون المرآة في يد مرتعش؛ لأن وجه الشبه بين الطرفين هو الهيئة الحاصلة من الحركة السريعة المتصلة، مع الإشراق المتموج، وهذا المعنى لا يستقيم ولا يكمل بدون ملاحظة هذا القيد، كذلك لا بد في تشبيه اللؤلؤ المنظوم بالثغر من اعتبار قيد "المنظوم"

١ يقال: تقصى الشيء: بلغ أقصاه أي: غايته، يريد: أمعنا في النظر وفكرا و"تصور" بحذف إحدى التاءين

أي: تتصور و"شابه" أي: خالطه و"الربا" جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض، وخص زهر الربا بالذكر؛ لأنه أنضر وأشد خضرة.

(٥١/١)

لأن وجه الشبه الهيئة الحاصلة من البريق وحسن التنسيق، وهذا لا يتم إلا بمراعاة القيد المذكور.
فليس المراد إذًا مطلق قيد، بل المراد قيد يكون له تعلق بوجه الشبه "كما علمت"، فإن لم يكن كذلك فلا اعتبار له ا. هـ.
الثاني: الفرق بين المقيد من الطرفين والمركب منهما: أن المقصود بالذات في المركب هو الأجزاء مجتمعة وليس فيها جزء قصد وحده بالتشبيه، وإن صح أن يشبه بجزء من الطرف الآخر نحو ما في بيت بشار السابق. فإن المشبه مجموع النقع المثار، والأسياف المسلولة المتحركة إلى جهات مختلفة، والمشبه به مجموع الليل والكواكب المتهاوية ولم يتعلق الغرض بتشبيه النقع وحده بالليل، ولا بتشبيه السيوف وحدها بالكواكب، وإن صح ذلك على ما سبق.
وأما المقيد فإن المقصود بالذات فيه هو أحد أجزاء الطرف، مع مراعاة قيد فيه، فالقيد إذًا ليس مقصودًا لذاته، بل لذلك الجزء كما في تشبيه الساعي المقيد بأن سعيه لم ينتج بالنقاش المقيد بأن نقشه على الماء، فإن المقصود بالذات هو كل من "الساعي والناقش" مراعى في كل منهما قيده المذكور، فوضح الفرق بين الأمرين.

(٥٢/١)

التقسيم الثالث:
ينقسم التشبيه باعتبار الطرفين أيضًا أربعة أقسام: ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع.
فالملفوف: أن يتعدد طرفاه، ويجمع كل طرف مع مثله بأن يؤتى بالمشبهات أولًا، ثم بالمشبهات بها ثانيًا، كقول امرئ القيس يصف عقابًا بكثرة اصطياد الطيور:
كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي١
شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب في الشكل والمقدار واللون، وشبه اليابس العتيق منها بالحشف البالي في هذه الثلاثة، وجمع بين المشبهين في المصراع الأول، وبين المشبهين بهما في المصراع الثاني "كما ترى".
وكما تقول: كالقمرين هند وسعاد، أو هما كالشمس والقمر، فقد جمع فيهما كل صنف على حدة، وسمي

"ملفوفًا" لأنه من اللف وهو الضم، وقد لف المشبهان "فيما مثلنا" أي: ضم بعضهما إلى بعض، كما لف المشبهان بهما كذلك.

والمفروق: أن يتعدد طرفاه، ويجمع كل طرف منهما مع صاحبه بأن يجمع كل مشبه مع مشبه به، كقول الشاعر:

الخد ورد والصدغ غالية ... والريق خمر والثغر كالدرر ١

جمع الشاعر في هذا البيت كل مشبه مع مشبه به كما ترى. وكقول المتنبي:

بدت قمرًا ومالت غصن بان ... وفاحت عنبرًا ورنت غزالا ٢

فقد شبه وجهها بالقمر، وقدها بالغصن، وريحها بالعنبر، وطرفها بالغزال، وسمى مفروقًا؛ لأنه لم يجمع فيه بين المشبهات على حدة، ولا بين المشبهات بها كذلك كما في القسم الأول بل فرق بينهما، فوضع كل مشبه به بجوار مشبهه على ما رأيت في البيتين.

والتسوية: أن يتعدد المشبه دون المشبه به، كما في قول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي ... كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء ... وأدمعي كاللآلي

---

١ أراد بالطير الجنس الصادق بالكثير والقليل و"رطبًا ويابسًا" حالان من القلوب، والعامل فيهما "كأن" لتضمنها معنى التشبيه أي: أشبه قلوب الطير حال كون بعضها رطبًا وبعضها يابسًا، والوكر: العش، والعناب: حب أحمر مائل إلى الكدرة في حجم قلوب الطير، والحشف: أردأ التمر.

١ المراد بالصدغ: الشعر المتدلي على الخد، والغالية: نوع من الطيب، والثغر: أراد به الأسنان.

٢ البان: نوع من الشجر، وقوله "رنت" من الرنو كسمو، وهو إدامة النظر.

شبه الشاعر في البيت الأول حاله، وصدغ حبيبه بالليالي في السواد، وشبه في البيت الثاني أدمعه، وثغر حبيبه باللآلئ في الصفاء والتألق، فالمشبه فيهما متعدد دون المشبه به، وسمي تشبيه التسوية؛ لأنه سوَّى فيه بين شيئين في إلحاقهما بشيء واحد.

والجمع: أن يتعدد المشبه به دون المشبه، عكس تشبيه التسوية؛ كما في قول الشاعر:

ذات حسن لو استزادت من الـ ... ـحسن لما أصابت مزيدا

فهي الشمس بهجة والقضيب الـ ... لدن قدا والريم طرفًا وجيدا١

شبه الشاعر في البيت الثاني هذه المرأة بثلاثة أشياء: "الشمس" وهي الكوكب المعروف، و"القضيب" وهو "الغصن"، و"الرئم" وهو الغزال، فالمشبه شيء واحد هو "ذات الحسن" والمشبه به متعدد كما ترى، وسمي تشبيه الجمع لاجتماع شيئين أو أشياء في مشابهة شيء واحد.

"ملاحظة": إن التفريق بين تشبيهي التسوية والجمع اصطلاح لهم، وإلا فيجوز أن يعتبر في كل منهما ما اعتبر في الآخر، ويسمى أحدهما باسم الآخر.

تمرين:

١- عرف التشبيه لغة واصطلاحًا، وبين أركانه في مثال من عندك.

٢- ائت بتشبيهات خمسة من إنشائك:

أولها: يدرك طرفاه بحاسة البصر، ووجهه بحاسة الشم.

ثانيها: " " " " أيضًا، ووجهه بحاسة اللمس.

---

١ اللدن: الطري الغضّ، والقد: القامة، والطرف: العين، والجيد: العنق.

ثالثها: يدرك طرفاه، ووجهه بحاسة الذوق.

رابعها: يدرك طرفاه، ووجهه بحاسة السمع.

خامسها: فيها المشبه حسي، والمشبه به عقلي.

٣- بين فيما يأتي طرفي التشبيه، والحاسة التي يدرك بها كل منهما:

صوت كتغريد البلابل، ونكهة كريح الند١، دواء كالعلقم، ولسع كلسع الأرقم٢، رضاب٣ كلعاب النحل، وجبين كالفرقد٤، شعر كالحرير، وقد كغصن البان. عبير كأنفاس الأزهار، ونغم كسجع الأطيار.

كإنما الماء في صفاء ... وقد جرى ذائب اللجين٥

٤- بين فيما يأتي طرفي التشبيه وحاليهما ونوع التشبيه باعتبارهما:

١- علم لا ينفع كدواء لا ينجع.

٢- الصديق المنافق، والأخ الجاهل كجمر الغضا٦.

٣- الحق سيف على أهل الباطل.

-٤

إنما الدنيا كبيت ... نسجه من عنكبوت

-٥

فكم معنى بديع تحت خط ... هناك تزاوج كل ازدواج

كراح في زجاج أو كروح ... سرت في جسم معتدل المزاج

-٦

خود كأن بنانها ... في خضرة النقش المزرد

سمك من البلور في ... شبك تكون من زبرجد٧

-٧

ليل وبدر وغصن ... شعر ووجه وقد

---

١ نوع من الطيب.

٢ نوع خبيث من الحيات.

٣ الرضاب: اللعاب.

٤ نجم.

٥ اللجين: الفضة.

٦ شجر مر، مفرده غضاة.

٧ البلور: معدن شفاف، والزبرجد: جوهر نفيس.

خمر ودر وورد ... ريق وثغر وخد

-٨

الخد ورد والصدغ غالية ... والريق خمر والثغر من برد١

-٩

بات نديما لى حتى الصباح ... أغيد مجدول مكان الوشاح٢

كأنما يبسم عن لؤلؤ ... منضد أو برد أو أقاح

-١٠

له خال على صفحات خد ... كنقطة عنبر في صحن مرمر٣

جواب السؤال الثالث

---

١ الغالية: نوع من الطيب: والبرد: حب الغمام.

٢ الأغيد: الناعم البدن. الرشاح: جلد عريض يرصع بالجواهر ويشد في الوسط للزينة، ومعنى مجدول مكان الوشاح: أنه ضامر والخاصرتين، والمنضد: المنظم، والأقاح: جمع أفحوان الهمزة والحاء وهو نور كالورد أوراقه أشبه شيء بالأسنان.

٣ المرمر: الرخام.

(٥٦/١)

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

بين فيما يأتي طرفي التشبيه وحاليهما، ونوع التشبيه باعتبارهما:

النشر مسك والوجوه دنانير

وأطراف الأكف عنم١

يكاد يحكيك صوت الغيث منسكبًا ... لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا٢

والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت ... والأسد لو لم تصد والبحر لو عذبا

في رأس مشرقة حصاها لؤلؤ ... وترابها مسك يشاب بعنبر

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه ... وأري الجني اشتارته أيد عواسل٣

كالقمرين محمد وعلي.

{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} .

لها لفظ كالسهم، ولفظ كالسحر.

إني وتزييني بمدحي معشرًا ... كمعلق درًّا على خنزير

تمرين آخر يطلب جوابه:

١- مثل لما يأتي: تشبيه مقيد الطرفين. تشبيه أحد طرفيه حسي والآخر عقلي. تشبيه أحد طرفيه مقيد، والآخر مركب. تشبيه مفروق، وآخر ملفوف. تشبيه طرفاه مركبان حسيان. تشبيه تسوية.

٢- اجعل كلا من الأشياء الآتية مشبها به، ثم بين نوع التشبيه فيه: الدر، الغصن، الورد، ثم بين من أي أنواع التشبيه قولهم: هو بدر حسنًا، وشمس علوًّا.

٣- اجعل ما يأتي من الكلمات وجه شبه في عبارة من محض إنشائك: الطيب، الرعد، السماحة، العدالة، الصلابة، البهجة، القوة، الجمال.

---

١ النشر: الطيب الرائحة، والعنم: شجر لين الأغصان، يشبه أصابع اليد المخضبة.

٢ صوب الغيث: انصبابه، والمحيا: الوجه.

٣ الأري: عسل النحل، وشار العسل واشتاره: استخرجه.

مبحث وجه الشبه

مدخل

...

مبحث وجه الشبه:

الوجه هو المعنى الذي اشترك الطرفان فيه كما تقول: محمد كأخيه في الكرم، فوجه الشبه هو "الكرم"؛ لأنه المعنى الذي اشترك فيه محمد وأخوه.

غير أنه يشترط فيه: أن يكون مقصودًا للمتكلم، فليس كل معنى يشترك الطرفان فيه "وجه شبه" ما لم يقصد جعله موضع اشتراك، وإلا فإن الطرفين قد يشتركان في كثير من المعاني كالحيوانية، والجسدية، والوجود، وغير ذلك كما في المثال المذكور، ومع ذلك لا يعد واحد منها وجه شبه إلا إذا قصد إليه المتكلم، واعتبره وجهًا للشبه بين الطرفين، كما تقول لإنسان يقسو على آخر بالضرب المبرح: "أرفق به فهو مثلك" أي: في الحيوانية أو في الجسدية.

وللتشبيه باعتبار هذا الوجه تقسيمات عدة:

التقسيم الأول:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين: تحقيقي، وتخييلي.

فالتحقيقي: أن يكون وجه الشبه فيه قائمًا بالطرفين حقيقة، كما تقول:

وجه هند كالبدر وشعرها كالليل، فوجه الشبه بين الطرفين هو "الإشراق" في الأول "والسواد" في الثاني، وكلا المعنيين قائم بالطرفين على وجه الحقيقة.

والتخيلي: ألا يكون الوجه قائمًا بالطرفين، أو بأحدهما إلا تخيلًا، وهو أن يثبته الخيال بجعل غير المحقق محققًا، كقول الشاعر:

يا من له شعر كحظي أسود ... جسمي نحيل من فراقك أصفر

فوجه الشبه بين الشعر والحظ هو "السواد" وليس موجودًا في المشبه به حقيقة بل تخيلًا؛ لأن الحظ ليس من ذوات الألوان، فإذا قيل: يا من له حظ كحظي أسود، كان مثالًا لما يكون فيه وجه الشبه في الطرفين متخيلًا.

(٥٩/١)

التقسيم الثاني:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى ثلاثة أقسام: واحد، ومنزل منزلة الواحد، ومتعدد. فالواحد: ما لا تركيب فيه ولا تعدد "كالحمرة" في قولك: خده كالورد و"كالكرم" في قولك: محمد كحاتم و"كالهداية" في قولك: العلم كالنور، فوجه الشبه في هذه المثل شيء واحد "كما ترى".

والمنزل منزلة الواحد: ما كان الوجه فيه هيئة مركبة، انتزعها العقل من عدة أمور، بحيث لا يصلح واحد منها على انفراده وجه شبه كقول الشاعر:

والبدر في كبد السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فوجه الشبه "كما ترى" مجموع الهيئة المركبة من عدة أشياء هي ظهور صورة بيضاء، مشرقة مستديرة، في رقعة مبسوطة زرقاء، ولا يصح "بلاغة" جعل واحد من هذه الأشياء وجه شبه على حدة؛ لأن القصد تشبيه الطرفين في هذه الهيئة المجتمعة.

وإنما نزل القسم منزلة الواحد؛ لأن الوجه فيه مركب من أشياء تضامّت وتلاصقت حتى صارت كالشيء الواحد، لا يقبل التجزئة. وإنما لم يكن واحدًا حقيقة لتركيب الوجه من هذه الأشياء، ولا تركيب في الواحد.

والمتعدد:

ما كان وجه الشبه فيه عدة أمور، جعل كل منها وجه شبه على حدة كما في قولك: هذه الفاكهة كالتي أكلناها

أمس في الطعم، واللون، والرائحة. وكما في قولك: عباس كأخيه في الطول والضخامة والوسامة، ومثله في الحلم، والكرم، والذكاء. فوجه الشبه في هذه المثل أمور متعددة، كل منها يصلح أن يكون وجه شبه على انفراده؛ إذ ليس القصد تشبيه الطرفين في هيئة مركبة من هذه الأمور، بل في كل واحد منها على حدة.

تنبيهان:

الأول: إن الفرق بين الوجه المركب من عدة أشياء، وبين المتعدد هو أن المركب منظور فيه إلى مجموع الأشياء، والهيئة المركبة منها باعتبارها وحدة لا تتجزأ، إذا حذف أحدها اختل التشبيه، كما في قول الشاعر المتقدم:

(٦٠/١)

والبدر في كبد السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه فيه مجموعة الأمور المتقدم ذكرها، وهي ظهور صورة بيضاء، مشرقة، مستديرة، في رقعة زرقاء، مبسوطة، فلو حذف من هذه المجموعة واحد "كالاستدارة أو الإشراق" مثلًا لم يتم التشبيه بين الطرفين. أما الوجه المتعدد، فإن المنظور فيه إلى أمور متعددة، يقصد جعل كل واحد منها على استقلاله وجه شبه بحيث لو حذف أحدها لم يختل التشبيه كما في المثال السابق في تشبيه الفاكهة بأخرى في الطعم، والرائحة، واللون؛ فإنك لو حذفت اللون مثلًا، أو الطعم، أو الرائحة لم يختل التشبيه إذ ليس الغرض جعل وجه الشبه الهيئة الحاصلة من مجموع هذه الأمور، بل المراد جعل كل واحد وجه شبه، من غير أن يتقيد أحدها بالآخر ا. هـ.

الثاني: إذا كان وجه الشبه مركبًا وجب أن يكون الطرفان مركبين أو مقيدين، أو أحدهما مركبًا، والآخر مقيدًا ولو تقديرًا؛ وذلك أن وجه الشبه قائم بالطرفين، منتزع منهما، وليس معقولا أن تقوم هيئة مركبة من عدة أمور بشيء واحد، أو أن تنتزع من شيء واحد. فوجه الشبه "في البيت السابق" هو الهيئة المركبة من الأشياء المذكورة، وتلك الهيئة لا يمكن أن تقوم بشيء واحد، ولا أن تنتزع منه. كذلك وجه الشبه في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل هو الهيئة الحاصلة من جملة أشياء هي: الاستدارة، والإشراق، وتموجه الناشئ من الحركة السريعة المتصلة، وأحد الطرفين فيه وهو "الشمس" وإن أفرد لفظًا هو مقيد معنى بجملة قيود هي: الإشراق المتموج، والحركة السريعة المتصلة، والاستدارة، وبهذا صح أن يكون منتزعًا للهيئة المذكورة.

(٦١/١)

التقسيم الثالث:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى ثلاثة أقسام:

أن يكون وجه الشبه فيه حسيًّا أي: مدركًا بالحس، مفردًا كان، أو مركبًا، أو متعددًا.

فالمفرد الحسي "كالإشراق" في قولك: له وجه كالبدر، و"كالنعومة" في قولك:

له جسد مثل الحرير، و"كالطيب" في قولك: عرفه كشذا المسك، إلى آخر ما تقدم من الأمثلة في الأمور الحسية.

والمركب الحسي: ما تقدم في تشبيه "البدر في كبد السماء" بدرهم ملقى على ديباجة زرقاء، فإن وجه الشبه "كما بينا غير مرة" هو الهيئة الحاصلة من ظهور صورة بيضاء مشرقة مستديرة، في رقعة مبسوطة زرقاء، وهذه الهيئة حسية تدرك بحاسة البصر.

والمتعدد الحسي: ما تقدم في تشبيه فاكهة بأخرى في الطعم، واللون، والرائحة. فوجه الشبه كل واحد من هذه الأمور الثلاثة، وجميعها حسي يدرك الأول منها بحاسة الذوق، والثاني بحاسة البصر، والثالث بحاسة الشم.

٢- أن يكون وجه الشبه فيه عقليًّا أي: مدركًا بالعقل، مفردًا كان أو مركبًا أو متعددًا.

فالمفرد العقلي "كالهداية" في قوله صلى الله عليه وسلم: $"أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم" و"كالجرأة" في قولك: عمر كالأسد، فوجه الشبه في هذين المثالين لا يدرك بشيء من الحواس، وإنما يدرك بالعقل.

والمركب العقلي كقول الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فوجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر؛ طمعًا في الانتفاع به، وهذه الهيئة مما يدرك بالعقل.

والمتعدد العقلي كقولك: محمد كأبيه في شجاعته، وحلمه، وإيمانه. فوجه الشبه كل واحد من هذه الأمور الثلاثة، والجميع مما لا يدرك بغير العقل.

٣- أن يكون الوجه مختلفًا -بعضه حسي وبعضه عقلي- كما في وجه الشبه المتعدد، كأن تشبه رجلًا بآخر في طوله وجسامته، وكرمه وشهامته. فوجه الشبه كل واحد من هؤلاء الأربعة، غير أن الأولين منها حسيان، والآخرين عقليان، كما ترى.

تنبيهان:

الأول: اعلم أن الوجه المختلف كما يكون في المتعدد "كما مثلنا" يكون أيضًا في المركب المنزل منزلة الواحد، باعتبار الأجزاء التي تركب منها كما في تشبيه المرأة الحسناء الوضيعة الأصل بخضراء الدمن[1] في حسن المنظر، مع سوء المخبر، فإن وجه الشبه مجموع الأمرين المذكورين، وأولهما حسي والآخر عقلي، غير أن علماء البيان يعتبرون المركب من حسي وعقلي من قبيل العقلي، فالمركب حينئذ –إما حسي فقط، أو عقلي فقط كما هو الشأن في الوجه المفرد– بخلاف الوجه المتعدد؛ فإن فيه الأنواع الثلاثة.

الثاني: اعلم أنه إذا كان الوجه حسيًّا كله أو بعضه، فلا بد أن يكون الطرفان حسيين أيضًا، وذلك لأحد سببين:

أحدهما: أنه لا بد من قيام وجه الشبه بالطرفين؛ تحقيقًا للتشارك بينهما، والحسي لا يقوم بغير الحسي، فالبياض مثلًا مما يدرك بحاسة البصر فلو جعل مشتركًا بين شيئين وجب أن يكون من المبصرات حتى يتأتى قيام البياض بهما، وهكذا يقال في باقي المحسات.

ثانيهما: أنه لا بد من إدراك الوجه في الطرفين ليتحقق لنا التشارك فيه، والحواس لا تدرك غير المحسات، فحاسة البصر مثلًا لا تدرك إلا ما كان مبصرًا، وحاسة اللمس لا تدرك إلا ما كان ملموسًا، وهكذا. ومحال أن تدرك هذه الحواس شيئًا من المعقولات فلا تبصر العين معنى "الكرم" ولا تلمس اليد معنى "الشجاعة" ولا تشم الأنف معنى "الحلم".

أما الوجه العقلي فيصح أن يكون طرفاه عقليين، أو حسيين، أو مختلفين. فالعقليان كأن تشبه وجود الجاهل بعدمه في الخلو من الفائدة، فالطرفان وهما "الوجود والعدم" عقليان. والحسيان كأن تشبه قوي البأس بالجبل في الصمود، والطرفان وهما "قوي البأس والجبل" حسيان. والمختلفان كأن تشبه السيرة الحميدة بأريج المسك، أو العكس في ارتياح النفس إلى كل، فالطرفان في المثالين مختلفان، أحدهما حسي والآخر عقلي، ووجه الشبه في الجميع عقلي "كما رأيت".

وإنما صح هذا التعميم في الوجه العقلي؛ لجواز قيام المعقول بالمحسوس كقيام معنى الفصاحة "بسحبان" وقيام معنى الشاعرية "بزهير"، ولجواز أن يدرك العقل أمرًا معقولًا في شيء محسوس كإدراك معنى الشجاعة في "خالد بن الوليد" وإدراك معنى الجود في "حاتم".

---

[1] هي شجرة تنبت في معاطن الدواب، تكون ناضرة بهجة، ولكن لا ثمر فيها، وهي بمثابة مثل يضرب لكل وضيع يبهرك منظره، ويسوءك مخبره.

التقسيم الرابع:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه إلى قسمين: تمثيل، وغير تمثيل.

فالتمثيل: ما كان وجه الشبه فيه هيئة مركبة من عدة أمور، حسيًّا كان هذا الوجه أو عقليًّا. فمثال الحسي ما سبق في قول الشاعر:

والبدر في كبد السماء كدرهم ... ملقى على ديباجة زرقاء

فإن وجه الشبه "كما عرفت من قريب" هو الهيئة المركبة من عدة أمور، كلها مدرك بالحس. ومثله قول الشاعر:

وكأن أجرام النجوم لوامعًا ... درر نثرن على بساط أزرق

فوجه الشبه أيضًا هو الهيئة المركبة من صور بيض مشرقة، منثورة في رقعة مبسوطة زرقاء، وكلها أشياء حسية كما ترى. ومثال الوجه العقلي ما تقدم لك في قول الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فإن وجه الشبه "كما عرفت" هيئة مركبة من أمور عقلية في الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر، مع الطمع في الانتفاع به. ومثله قوله تعالى في تشبيه حال اليهود بحال الحمار: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} فإن وجه الشبه هيئة مركبة من أمور عقلية هي حرمان الانتفاع، بأبلغ نافع،

مع معاناة الكد في تحمله١.

وغير التمثيل: ما لم يكن الوجه فيه هيئة منتزعة من متعدد، بأن كان أمرًا واحدًا أو متعددًا. "فالأول كحسن النغم" في تشبيه صوت حسن بتغريد البلابل، و"كالمضاء" في تشبيه العزيمة بالسيف، و"كالإشراق" في تشبيه الحجة الواضحة بالشمس، ونحو ذلك مما يكون وجه الشبه فيه شيئًا واحدًا، لا تركيب فيه. والثاني كما في تشبيه فاكهة بأخرى في الطعم، والرائحة، واللون، فإن وجه الشبه كل واحد من هذه الثلاثة، لا الهيئة المركبة منها على ما سبق بيانه.

تنبيه:

ما تقدم في تشبيه التمثيل هو مذهب جمهور البيانيين، فهم "كما عرفت" لا يفرقون فيه بين الحسي والعقلي، فالمدار فيه عندهم على أن يكون هيئة مركبة من عدة أمور، حسية كانت أو عقلية.

وللسكاكي فيه مذهب، وهو أن تشبيه التمثيل عنده خاص بالمركب العقلي كما في تشبيه "المستجير بعمرو عند كربته" في البيت السابق، وكما في تشبيه حال اليهود بحال الحمار في الآية الكريمة؛ وحينئذ يكون تشبيه التمثيل عنده أخص منه عند الجمهور، فمثل قول الشاعر المتقدم:

"وكأن أجرام النجوم لوامعًا" إلخ، وقول الآخر: "والبدر في كبد السماء كدرهم" إلخ، وغيرهما من كل تشبيه، فيه الوجه هيئة منتزعة من أمور محسوسة. كل ذلك من قبيل تشبيه التمثيل عند الجمهور؛ لأن وجه الشبه هيئة مركبة من عدة أمور كما سبق بيانه، وليس من تشبيه التمثيل عند السكاكي؛ لأن وجه الشبه فيها ليس عقليًّا أي: ليس مركبًا من أمور عقلية، كما هو الشرط عنده في تشبيه التمثيل.

أما نحو التشبيه في قول الشاعر: والمستجير بعمرو عند كربته "البيت" وفي آية اليهود السابقة فمن تشبيه التمثيل عند الطرفين، أما عند الجمهور فلأن الوجه فيهما هيئة مركبة من عدة أمور وأما عند السكاكى فلأن وجه الشبه فيهما مركب عقلى أهـ.

---

١ فقد روعي في الحمار فعل خاص هو الحمل، وأن يكون المحمول أوعية العلوم ومستودع ثمار العقول، وكون الحمار جاهلًا بما فيها مع تكبده مشاق الحمل؛ وروعي مثل ذلك في جانب اليهود وكل هذه الأشياء أمور عقلية.

التقسيم الخامس:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى قسمين: مفصل، ومجمل. فالمفصل: ما صرح فيه بذكر وجه الشبه على طريقته١ كما تقول: طبع فؤاد كالنسيم رقة أو في رقته، ويده كالبحر سخاء أو في سخائه، وكلامه كالدر حسنًا أو في حسنه، وقوامه كالسيف استقامة أو في استقامته، فكل هذه المثل من قبيل التشبيه المفصل للتصريح فيها بذكر الوجه كما رأيت.

ومن قبيل المفصل قولهم في تشبيه الكلام السهل، الخفيف على السمع: "ألفاظه كالعسل في الحلاوة" وفي تشبيه الحجة الواضحة: "حجة كالشمس في الظهور" فوجه الشبه في المثالين مذكور "كما ترى" وهو قائم بالطرفين، غير أنه في المشبه تخييلي، وفي المشبه به تحقيقي، وقد سبق الكلام فيه٢.

والمجمل: ما لم يصرح فيه بذكر وجه الشبه على طريقته، وهو نوعان:

١- ظاهر يستوي في إدراكه العامة والخاصة، كتشبيه الشعر بالفحم والقد بالغصن والوجه بالبدر، فأوجه

الشبه في هذه المثل من الوضوح، بحيث لا تحتاج إلى إعمال فكر.

---

١ هي أن يذكر الوجه مجرورًا "بفي" أو منصوبًا على التمييز على معنى "في" كالأمثلة المذكورة. ومن هنا يعلم أن وجه الشبه كما يكون مجرورًا "بفي" يكون منصوبًا على التمييز على معنى "في" واحترز به عن نحو قولهم: يد فؤاد كالنهر تفيض، ووجه هند كالبدر يضيء، فليس ذلك من قبيل المفصل لعدم ذكر الوجه على طريقته المذكورة.

٢ أما ما قيل من أن في مثل هذين المثالين تسامحًا من حيث إن الوجه لم يذكر، وإنما ذكر ملزومه وهو "الحلاوة" في الأول "والظهور" في الثاني، فغير سديد؛ لأن ذكر "الحلاوة والظهور" إن كان من قبيل التعبير بالملزوم عن اللازم الذي هو "ميل النفس" في الأول و"زوال الحجاب" في الثاني كان من قبيل المجاز ولا تسامح فيه؛ لأن الوجه مذكور غاية الأمر أنه عبر عنه بملزومه، وإن لم يكن من المجاز فخطأ إذ لا واسطة بين الحقيقة والمجاز غير الخطأ، ولا ينبغي حمل الكلام الفصيح على الخطأ.

(٦٦/١)

ب- خفي يحتاج في فهمه إلى تأمل ونظر. مثاله ما روي: أن فاطمة بنت الخرشب١ الأنمارية سئلت عن بنيها الأربعة: أيهم أفضل؟ فقالت: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، تريد أن تقول: هم في تناسبهم في الشرف والشجاعة وعدم تفاوتهم فيهما، بحيث يمتنع تفضيل أحدهم على الآخر، كالحلقة المتصلة الجوانب فإن أجزاءها متناسبة في الصورة، يمتنع تعيين بعضها طرفًا وبعضها وسطًا، فوجه الشبه إذًا هو "التناسب الكلي الخالي عن التفاوت" وقد أشعر به قولها: "لا يدرى أين طرفاها" إلا أنه في المشبه تناسب في الشرف، وفي المشبه به تناسب في صورة الأجزاء وهو "كما ترى" خفي دقيق، فوق متناول مدارك العامة، ولا يدركه إلا من ارتفع منهم إلى طبقة الخاصة.

تنبيه:

من هذا المثال السابق يتضح: أن التشبيه المجمل لا يخرجه عن إجماله أن يذكر لأحد الطرفين، أو لكليهما وصف مشعر بوجه الشبه.

فمثال ما ذكر فيه وصف المشبه به دون المشبه قول فاطمة المتقدم، فإن قولها: "لا يدرى أين طرفاها" وصف للمشبه به، مشعر بوجه الشبه الذي هو "التناسب الكلي" إذ يفهم من عدم دراية الطرفين معنى التناسب في الأجزاء. ومثله قول زياد الأعجم:

فإنا وما تلقي لنا أن هجوتنا ... لكالبحر مهما تلق في البحر يغرق٢

---

١ بضم الخاء والشين، وسبب هذا القول أنها سئلت عن بنيها الأربعة الذين رُزِقتهم من زوجها وهم: ربيع الكامل، وعمارة الوهاب، وقيس الحفاظ. وأنس الفوارس، سئلت: أيهم أفضل؟ فقالت: عمارة، ثم بدا لها غير هذا فقالت: لا بل فلان، ثم بدا لها غير ذلك فقالت: لا، ثم قالت: ثكلتهم إن علمت أيهم أفضل، هم كالحلقة ... إلخ. وقيل: إنه من قول كعب الأشعري في وصف بني المهلب للحجاج، حين قال له: كيف تركت الناس؟ فقال كعب: تركتهم بخير، أدركوا ما أملوا، وأمنوا مما خافوا، فقال الحجاج: فكيف بنو المهلب فيهم؟ فقال: هم حماة السرح نهارًا، فإذا أليلوا ففرسان البيات؛ فقال الحجاج: فأيهم كان أنجد، أي أشجع؟ فقال: هم كالحلقة المفرغة، لا يدري أين طرفاها.

٢ أن هجوتنا بفتح همزة "أن" وهو مصدر مؤول من أن والفعل مجرور بحرف جر مقدر، والتقدير: يهجائك.

(٦٧/١)

يشبه زياد حال قومه إذ يرميهم المخاطب بالنقيصة فلا تضرهم، ولا يظهر لها فيهم أثر لخطورة شأنهم بحال البحر العظيم، لا يتأثر بما يلقى فيه. ووجه الشبه أن كلا الطرفين من العظمة والخطر بحيث لا ينال منهما، وقوله:

"مهما تلق في البحر يغرق" وصف للمشبه به مشعر بهذا الوجه.

ومثال ما ذكر فيه وصف المشبه دون المشبه به قوله عليه الصلاة والسلام: $"أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم" فوجه الشبه في الحديث "الهداية" وقد أشعر به قوله: $"بأيهم اقتديتم اهتديتم" وهو وصف خاص بالمشبه.

ومثال ما ذكر فيه وصفهما معًا قول أبي تمام يمدح الحسن بن رجاء:

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه ... عني وعاوده ظني فلم يخب

كالغيث إن جئته وافاك ريقه أفضل ... وإن ترحلت عنه لج في الطلب١

وصف الشاعر الممدوح الذي هو "المشبه" بأن عطاياه مغدقة سابغة عليه، أعرض عنه أو أقبل عليه. ثم وصف الغيث الذي هو المشبه به بأنه يصيبك أقبلت عليه أو تجنبته، ووجه الشبه "مطلق الإفاضة في الحالين" والوصفان المذكوران مشعران بهذا الوجه.

وصفوة القول: أن التشبيه المجمل هو ما لم يذكر فيه وجه الشبه على طريقته السابقة، طاهرًا ذلك الوجه أو

خفيًّا "كما بينا"، وأن وصف أحد الطرفين أو كليهما بما يشعر بالوجه "كما رأيت" لا يتنافى مع الإجمال؛ لأن المدار في كون التشبيه مجملًا على ألا يذكر وجه للشبه ذاته لا وصف مشعر به ا. هـ.

---

١ صدف من باب ضرب: أعرض، والريق من كل شيء: أفضله؛ ولج في الطلب: ألح فيه.

التقسيم السادس:

ينقسم التشبيه باعتبار الوجه أيضًا إلى قسمين: قريب مبتذل، وبعيد غريب، وإليك بيانهما:

فالقريب المبتذل: ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير تأمل، ونظر بسبب وضوح وجه الشبه فيهما كتشبيه حسناء الوجه بالقمر في الإشراق وحسن الصوت بالبلبل في حسن النغم، فكلا التشبيهين قريب، في متناول العامة، مبتذل، يكثر تداوله بين الناس لظهور وجه الشبه بين الطرفين "كما ترى".

وأسباب وضوح وجه الشبه ثلاثة:

أ- أن يكون الوجه شيئًا واحدًا لا تعدد فيه، ولا تفضيل كالمثالين السابقين، فإن وجه الشبه في الأول "الإشراق" وفي الثاني "حسن النغم" وكلاهما شيء واحد، ولا شك أن إدراك الشيء الواحد لا يحتاج سوى ملاحظة واحدة، بخلاف غيره فإنه يحتاج إلى عدة ملاحظات.

ب- أن يكون في الوجه نوع تفصيل يحتاج إلى تعدد الملاحظة، غير أنه يسرع حضور صورة المشبه به في الذهن عند حضور صورة المشبه؛ لشدة التناسب بين الصورتين، كأن تشبه العنب بالبرقوق في حجمه ولونه، ففي وجه الشبه بين الطرفين تفصيل ما إذ لوحظ فيه أمران: الحجم واللون، وهذا يقتضي شيئًا من غرابة التشبيه وبعده، ولكن عارض ذلك ما يقتضي قربه وابتذاله وهو سرعة حضور المشبه به في الذهن عند حضور صورة المشبه؛ لما بينهما من شدة الانسجام، وقوة المناسبة إذ إن العنب والبرقوق من فصيلة واحدة ويجمعهما زمن واحد وسوق واحدة، فلا أثر للتفصيل في وجه الشبه مع قوة هذه المناسبة. ومثله تشبيه الجرة الصغيرة بالكوز في "المقدار والشكل" فإن سرعة حضور صورة الكوز في الذهن عند حضور صورة الجرة فيه لشدة المناسبة بين الصورتين عارضت التفصيل في الوجه على نحو ما ذكرناه في المثال الأول؛ لهذا كان التشبيه قريبًا مبتذلًا.

حـ- أن يكون في الوجه شيء من التفصيل "كسابقه" يحتاج إلى تعدد الملاحظة، غير أنه يكثر حضور صورة المشبه به في الذهن مطلقًا أي: لا بقيد حضور صورة المشبه؛ وذلك لكثرة مشاهدة صورة المشبه به وتكررها على الحس، فإن المشاهد كثيرًا يكثر خطوره بالبال عادة كتشبيه إنسان بالقمر في الرفعة والهداية، وكتشبيه

المرآة المجلوة بالشمس في الاستدارة والاستنارة، ففي وجه الشبه بين الطرفين في "المثالين" شيء من التفصيل إذ لوحظ فيه أمران: الرفعة والهداية "في الأول"

والاستدارة والاستنارة في الثاني، وهذا يقتضي غرابة التشبيه وبعده ولكن عارض ذلك ما جعله قريبًا مبتذلًا وهو كثرة حضور صورة المشبه به في الذهن لكثرة مشاهدتها، إذ ليس من شك أن صورة "القمر" في المثال الأول، وصورة "الشمس" في المثال الثاني مما يشاهد كثيرًا.

والغريب البعيد: هو ما لا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به بعد إعمال فكر، ودقة نظر بسبب خفاء وجه الشبه فيهما.

وأسباب خفاء الوجه ثلاثة أيضًا:

١- أن يكون الوجه كثير التفصيل، يحتاج إلى كثرة الملاحظات والاعتبارات، كما في تشبيه الخد بالشقيق في قول الشاعر:

لا تعجبوا من خاله في خده ... كل الشقيق بنقطة سوداء

فوجه الشبه بين الطرفين هو الهيئة الحاصلة من وجود نقطة مستديرة سوداء في وسط رقعة مبسوطة حمراء، وفيه من كثرة التفصيل والاعتبارات ما لا يقع في نفس مريد التشبيه إلا بعد تأمل وروية. وكما في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل، فإن الهيئة المشتركة في كليهما -على ما تقدم بيانه- لا تقوم بنفس مريد التشبيه إلا بعد أن يتأمل ويتعمل.

ب- أن يندر حضور صورة المشبه به في الذهن عند حضور صورة المشبه؛ لبعد التناسب بين الصورتين، وعدم التجانس بينهما كما في تشبيه القمر بالعرجون في قوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [١] فصورة "العرجون" في ذاتها غير نادرة الحضور في الذهن، ولكنها تندر عند استحضار صورة "القمر" للبون الشاسع بين الصورتين؛ فإن القمر مسكنه في السماء، والعرجون في الأرض، والقمر من فصيلة الكواكب، والعرجون من قبيل النباتات، والقمر مثال العلو والهداية، والعرجون شيء تافه حقير لا تكاد تظهر له فائدة، فشتان ما بين الصورتين، وناءٍ ما بين الطرفين. وكقول الشاعر:

---

[١] هو عذق النخل، إذا يبس.

ولازوردية تزهو بزرقتها ... بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت[1]

كان المناسب للشاعر أن يشبه صورة أزهار البنفسج وهي على سيقانها بما يناسبها من الأزهار، إذ هو الذي يتبادر إلى الذهن عند استحضار صورة البنفسج، ولكنه شبهها بصورة النار في أطراف الكبريت أول شبوبها.

ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من تعلق أجرام صغيرة لطيفة ذات لون خاص بجرم دقيق يخالفها لونًا، فصورة النار في أطراف الكبريت غير نادر الحضور في الذهن لأنها في متناول الناس، واقعة بين أيديهم وأرجلهم، لكنها تندر عند حضور صورة البنفسج وهو على سيقانه لما بينهما من عدم التجانس وبعد الموطن. فذاك زهر ندي لطيف، وهذا لهب حار عنيف، وذاك يسكن الخمائل، وهذا يستوطن المنازل، فبعد ما بين الطرفين.

جـ- أن يندر حضور المشبه به في الذهن مطلقًا أي: سواء حضرت صورة المشبه في الذهن أو لا؛ وذلك لأمور منها:

١- أن يكون المشبه به وهميًّا أي: من اختراع الوهم، كما في تشبيه النصال المسنونة الزرق بأنياب الأغوال في قول الشاعر السابق، فإن أنياب الأغوال مما لا وجود له إلا في الوهم.

٢- أن يكون المشبه به خياليًّا أي: من نسيج الخيال، كصورة أعلام من ياقوت، منشورة على رماح من زبرجد في قول الشاعر المتقدم. إن هذه الصورة وما شاكلها من الهيئات المركبة لا وجود لها في غير الخيال.

٣- أن يندر تكرر صورة المشبه به على الحس، كصورة المرآة في كف الأشل، فقد ينقضي عمر الإنسان ولا يرى مرآة في كف إنسان أشل.

---

١ لازوردية بكسر الزاي وفتح الواو وسكون الراء صفة محذوف أي: ورب أزهار من البنفسج لازوردية، نسبة إلى الحجر المسمى باللازورد؛ لكونها على لونها فهي نسبة تشبيهية، وتزهو من الزهو وهو الكبر، ونسبة التكبر إلى البنفسج تجوز، وحمر اليواقيت من إضافة الصفة للموصوف أي: رب أزهار من البنفسج لازوردية نسبة إلى الحجر المسمى باللازورد استعارة أراد بها الأزهار الحمر؛ لمشابهة الأزهار لها وهو المناسب للبنفسج بدليل قوله: "بين الرياض".

تنبيه:

إنما كانت كثرة حضور صورة المشبه به في الذهن سببًا في ظهور وجه الشبه، وندرة حضور صورته سببًا في خفاء الوجه؛ لأن وجه الشبه "كما علمت" مشترك بين الطرفين، قائم بهما، فتصوره فيهما موقوف على تصورهما، فإذا كان المشبه به كثير الحضور في الذهن، أو نادر الحضور فيه لزم أن يكون وجه الشبه أيضًا كثير الحضور أو نادرًا تبعًا له، ومن هنا كان وضوحه أو خفاؤه.

تمرين:

١- عرف وجه الشبه، ثم ائت بمثال يكون أحد الطرفين فيه حسيًّا والوجه عقليًّا، وبآخر يكون الوجه في أحد الطرفين تخيليًّا.

٢- بين وجه الشبه، ونوع التشبيه باعتبار هذا الوجه فيما يأتي:

١- لفظ كالسحر وخلق كالعطر.

٢- له صوت كرنين الأوتار.

٣- التقي كالمصباح يضيء في الظلام.

٤-

وما المرء إلا كالشهاب وصوته ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب

٥- محمد كأبيه شجاعة وإيمانًا وكرمًا.

٦- له قول يخترق القلوب كالسهم.

مهفهف وجنتاه ... كالخمر لونًا وطعما

٧-

٨-

طلق شديد البأس راحته ... كالبحر فيه النفع والضرر

٩-

هذا أبو الهيجاء في الهيجاء ... كالسيف في الرونق والمضاء

١٠-

وقد لاح في الصبح للثريا كما ترى ... كعنقود ملاحية حين نورا[١]

---

١ الثريا: طائفة من النجوم متقاربة، على شكل خاص "وملاحية" بضم الميم، وتشديد اللام: عنب أبيض في حبه طول، وتخفيف اللام فيه أكثر والإضافة بيانية، و"نور" ظهر نوره، أي: تفتح زهره.

١١-

كأنك شمس والنجوم كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

١٢-

يا شبيه البدر في الحسـ ... ـن وبعد المنال

١٣- السفرجل كالبرتقال في لونه، وشكله، وحجمه.

١٤- أنت كالمصباح في ضوئه وهدايته.

١٥- النساء حبائل الشيطان.

١٦-

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها ... حصباء در على أرض من الذهب[١]

جواب التمرين الثاني:

---

١ "الفقاقيع" هي ما يطفو على وجه الماء كالبرد، ومفرده: فقاعة على زنة رمانة، و"الحصباء": الحصا.

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

كلام ذي الفهامة كسكوته، وإشارة الفصيح كعبارته؛ قال الشاعر:

الشمس من مشرقها قد بدت ... مشرقة ليس لها حاجب

كأنها بوتقة أحميت ... يجول فيها ذهب ذائب

الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر. قد بدت هند قمرًا، وتضوعت مسكًا، وخطرت غزالًا. فلان كالبحر لا يعكره ولوغ الكلاب. إنك كالبحر في مده وجزره، وكالدهر في إقباله وإدباره. الأماني حلم اليقظان. حجة كفلق الصبح. مرآة الغريبة كالشمس استدارة، وصفاء النار في أطراف الكبريت كالبنفسج. قال الشاعر:

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

وأرض كأخلاق الكريم قطعتها ... وقد كحل الليل السماك فأبصرا

مبحث الأداة

مدخل

...

مبحث الأداة:

الأداة: لفظ يدل على معنى التشبيه كالكاف، تقول: محمد كالبدر فالكاف في قولك: "كالبدر" أداة تشبيه لأنها دالة عليه. ومثل الكاف كل ما يفيد معنى المشابهة والمماثلة كلفظ "مثل وشبه"، وكأسماء الفاعل المشتقة مما يفيد معنى التشبيه كمماثل، ومشابه، ومحاك، ومضاهٍ، تقول: هند مثل الغزال، ومحمد شبه الغمام. وتقول: هي مماثلة الغزال، وهو مشابه الغمام، ومحاكي الغيث، ومضاهي النجم، بالإضافة في جميعها.

والأصل في "الكاف" وما شاكلها من الأسماء المضافة لما بعدها "كما رأيت" أن يليها المشبه به لفظا "كما مثلنا" أو تقديرًا كقوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} بعد قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} الآية. فالمشبه به في الآية قد ولي الكاف تقديرًا والأصل: أو كمثل ذوي صيب، أما تقدير "ذوي" فلأن الضمائر الثلاثة في {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} للمنافقين وهم ليسوا مذكورين في الآية، فبقيت الضمائر بلا مرجع، ولا بد لها منه كما هو الشأن فيها. وأما تقدير "مثل" فلأجل أن يشاكل المعطوف عليه وهو قوله: {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} . وقد يليها غير المشبه به إذا كان المشبه به مركبًا أي: هيئة منتزعة من أمور لم يعبر عنها بمفرد دال عليها[1]، لكن بشرط أن يذكر بعد الكاف ونحوها بعض هذه الأمور التي انتزعت منها تلك الهيئة، كما في قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ} فليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء حتى يكون هذا المثال مما ولي فيه المشبه به كاف التشبيه، بل المراد تشبيه حال الدنيا في إقبالها على الإنسان واغتراره بابتسامتها الخادعة، وطلائها الكاذب، وما يعقب ذلك من زوال نعيمها، وامّحاء بهجتها ونضارتها بحال النبات، يغذيه الماء فتنضر خضرته، وتبتسم زهرته ثم لا يلبث أن تنطفئ هذه النضرة، وتذبل هذه الزهرة، ويتحول النبات النضر البهيج إلى هشيم تذروه

---

١ احترز به عما عبر فيه عن الهيئة بمفرد كما في آية اليهود، فقد عبر فيها عن المشبه به المركب بلفظ "مثل" قال تعالى: {كَمَثَلِ الْحِمَارِ ... } إلخ.

عواصف الرياح كأن لم يكن، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من حسن وبهجة وهناء، يعقبه تلف وشقاء وفناء، فأنت ترى أن المشبه به لم يَلِ الكاف؛ لأنه "الهيئة الحاصلة" لكن وليها شيء يتعلق به وهو "الماء" إذ هو أحد أجزاء الهيئة المذكورة.

والأصل في "كأن" الدالة على التشبيه أن يليها المشبه "عكس الكاف وأخواتها" تقول: "كأن عنترة أسد" فعنترة هو المشبه. وقد ولي "كأن" ويقول الله تعالى: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} فضمير النسوة هو المشبه، وما بعده هو المشبه به.

ومثل "كأن" في هذا لحكم كل ما له معمولان من الأفعال، أو الأصناف المفيدة لمعنى التشبيه تقول: ماثل أو يماثل خالد أسدا، وشابه أو يشابه علي حاتمًا، وحاكى أو يحاكي شوقي أبا الطيب، فالذي ولي الأفعال في هذه المثل هو "المشبه". وتقول: خالد ماثل أو يماثل الأسد، وعلي شابه أو يشابه حاتمًا، وشوقي حاكى أو يحاكي أبا الطيب. وتقول: خالد مماثل أسدًا، وعلي مشابه أو مشبه حاتمًا، وشوقي محاك أو مضاهٍ أبا الطيب، فالضمائر المستكنة في هذه الأفعال أو الأوصاف هي "المشبهات" وقد وليتها؛ لأنها فواعل والفاعل مرتبته بعد الفعل، كما عرفته في محله.

تقسيم التشبيه باعتبار الأداة:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين: مرسل، ومؤكد.

فالمرسل: ما ذكرت فيه الأداة لفظًا، أو تقديرًا. فمثال ما ذكرت فيه الأداة لفظًا قولك: سجعه كسجع الحمام، ووشيه كوشي الطاووس. ومثال ما قدرت فيه الأداة قولك: "سجعه سجع الحمام" "ووشيه وشي الطاووس" إذا قدرت في نفسك أنه على معنى الكاف، وأن المشبه مثل المشبه به لا عينه.

والمؤكد: ما تركت فيه الأداة لفظًا وتقديرًا أي: ترك التصريح بها، وتُنُوسِي تقديرها في نظم الكلام أيضا؛ إشعارًا بأن المشبه عين المشبه به مبالغة، كما تقول في المثالين السابقين: سجعه سجع الحمام، ووشيه وشي الطاووس، فتترك

ذكر الكاف، ولا تقدرها في نفسك ادعاء منك أن المشبه هو المشبه به نفسه، لا شيء سواء مبالغة. ومثله قوله تعالى: {وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} يريد –وهو أعلم بمراده– أن الجبال يوم القيامة بعد النفخة الأولى تسير في الهواء كالسحاب تسوقه الرياح، فهو تشبيه مؤكد تنوسي فيه تقدير الكاف ليكون المعنى: أن مرور الجبال يوم القيامة هو مرور السحاب بعينه، وهذا المعنى هو ما ينبغي أن يفهم تصويرًا للحالة التي ستكون، ولو فرض تقدير الكاف في الكلام لكان تشبيهًا مرسلًا.

إذا علمت هذا، علمت أن كل مثال تركت فيه الأداة يحتمل أن يكون من قبيل المؤكد إن لم تقدر فيه الأداة، وأن يكون من قبيل المرسل إن قدرت الأداة، ما لم تقم قرينة على المراد.

ومن التشبيه المؤكد: ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، كما في قول الشريف الرضي يستمطر الرحمة على قبور الموتى:

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت ... حوامل المزن في أجداثكم تضع[1]

يقول: أقام النسيم بواديكم، تهب عليه نفحاته، ولا فتئت غوادي الحسب ترطب ثرى قبوركم، والشاهد في قوله: "حوامل المزن" يريد: أن المزن الممتلئة بالماء كالحوامل من الحيوان، فقد شبه المزن بالحوامل بجامع المنفعة في كل، ثم تركت أداة التشبيه وتنوسيت، ثم أضيف المشبه به إلى المشبه "كما ترى " وفي التعبير بقوله "تضع" مع قوله: "حوامل المزن" براعة بارعة في مراعاة التناسب. ومثله قول الشاعر يصف اعتدال الريح وقت الأصيل، أي: وقت اصفرار أشعة الشمس حينما تميل إلى الغروب:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الأصيل على لجين الماء[2]

شبه الشاعر الماء بالفضة في النقاء والصفاء، ثم أضاف المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة، وتناسيها في نظم الكلام.

وسمي التشبيه "مؤكدًا" لأنه أكد وقرر بدعوى اتحاد الطرفين، وأن المشبه هو المشبه به، لا يتميز أحدهما عن الآخر في شيء.

---

١ "المزن" أراد بها السحاب، والأجداث جمع: جدث بفتح الجيم والدال، وهو "القبر".

٢ الأصيل هو: الوقت بين العصر والغروب، ويعد من أطيب الأوقات، و"ذهبه" صفرته بسبب شعاع الشمس فيه، وإطلاق الذهب عليه "استعارة" و"اللجين": الفضة، وهو مضاف إلى الماء من إضافة المشبه به إلى المشبه.

مبحث أغراض التشبيه:

أغراض التشبيه: هي البواعث التي تحمل المتكلم على أن يعقد شبها بين شيئين، وهي على ضربين:

١- ما يعود على المشبه، وهو الأكثر.

٢- ما يعود على المشبه به.

الأغراض التي تعود على المشبه، وهي سبعة:

الاول: بيان حال المشبه، إذا كان المخاطب يجهل حال ذلك المشبه، ويريد أن يعرف حاله أي: وصفه الذي هو عليه، فيلحق بمشبه به معروف لدى المخاطب بيانًا لهذه الحال؛ كقول امرئ القيس السابق:

كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

شبه الرطب من قلوب الطير، واليابس منها بالعناب، والحشف البالي بيانًا لما فيها من الأوصاف كالشكل، والمقدار، واللون. وكما في تشبيه ثوب بآخر في بياضه أو سواده، أو نحو ذلك.

وينبغي لتحقيق هذا الغرض أن يكون المشبه به معروفا عند المخاطب بوجه الشبه؛ لأن الغرض تعريف حال المشبه المجهول للمخاطب، فلو لم يكن المشبه به معروفًا لدى المخاطب من قبل للزم تعريف المجهول بالمجهول.

وليس بلازم هنا أن يكون المشبه به أتم وأقوى في وجه الشبه من المشبه وإن كان الشأن فيه ذلك؛ لأن المخاطب إنما يجهل حال المشبه، ويريد مجرد تصورها، وهذا يكفي فيه أن يكون المشبه به معروفًا بوجه الشبه عند المخاطب. فإذا قيل: ما لون ثوبك الذي اشتريته؟ فقلت: كهذا الثوب في سواده مثلًا، فقد تم الغرض؛ ولا يتوقف على كون هذا الثوب أتم من الثوب المشترى في سواده؛ لأن ذلك زائد على المطلوب.

الثاني: بيان مقدار حال المشبه من القوة والضعف، وذلك إذا كان المخاطب يعلم

حال المشبه ويجهل مقدار الحال، ويريد الوقوف على مقدارها، فيلحق حينئذ بشيء يعلم المخاطب مقدار حاله، كقول الشاعر:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... سودًا كخافية الغراب الأسحم١

شبه النياق السود بخافية الغراب في شدة السواد، وبهذا التشبيه اتضحت حال المشبه واستقر في الذهن مقدار سواده، وأنه بين الحلكة شديدها. وكتشبيه صوت ضعيف بالهمس، أو قوي بالرعد؛ بيانًا لمقدار ضعف هذا الصوت أو قوته.

ولتحقيق هذا الغرض ينبغي أن يكون المشبه به أعرف، وأشهر بوجه الشبه من المشبه لدى المخاطب، كما في

الأمثلة المذكورة.

غير أنه يجب هنا أن يكون المشبه به مساويًا للمشبه في وجه الشبه لا أكثر ولا أقل؛ إذ لو كان المشبه به أتم في وجه الشبه، أو أنقص منه لم يتعين المقدار، فلم يتم الغرض من التشبيه كما في تشبيه شراب بالثلج في شدة البرودة أو بالنار في شدة الحرارة، اللهم إلا إذا قصدت المبالغة.

الثالث: بيان إمكان المشبه أي: بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود، وذلك إذا كان أمرًا غريبًا من شأنه أن ينازع فيه؛ ويدعى امتناعه، فيمثل حينئذ بشيء مسلم الوقوع ليكون دليلًا على إمكان وجوده، كما في قول أبي الطيب من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

ادعى الشاعر أن الممدوح من السمو والرفعة بحيث فاق الجنس البشري الذي هو أحد أفراده، وصار كأنه جنس آخر. ولما كان هذا المعنى "في بادي الرأي" غريبًا في بابه، لا تقبله العقول لاستبعاد أن يخرج الشيء عن جنسه، أراد أن يؤيده بما لا نزاع فيه ليتبين إمكانه، فشبهه بشيء أقرته العقول، وآمنت به، وهو "المسك" فإنه خرج عن أصله، وتحول إلى جنس آخر لما فيه من معنى ليس في سائر الدماء

---

١ "الحلوبة": الناقة ذات اللبن الغزير، والخافية: ريش في الطائر يختفي إذا ضم جناحيه، و"الأسحم": شديد السواد.

أي: وإذا جاز أن يفوق الشيء أصله لميزة فيه، فليس ببعيد أن يفوق الممدوح جنسه لما فيه من جليل الصفات. ومن هذا البيان يتبين أمران:

أحدهما: أن قوله: "فإن المسك ... إلخ" لم يؤت به جوابًا للشرط في المصراع الأول، وإنما سيق مساق الدليل على هذا الجواب، وكأنه يقول: فإن تفق الأنام وأنت منهم فلا بدع ولا غرابة؛ لأن لك نظيرًا هو "المسك" فقد حذف الجواب، وهو قوله: "فلا بدع ولا غرابة" واستغنى عنه بهذا الدليل.

ثانيهما: أن التشبيه في "البيت" ليس صريحًا، بل دل عليه الكلام ضمنًا، ذلك أن المعنى لهذا الكلام هو أنه لا بدع ولا عجب أن يخرج الممدوح عن بني جنسه لمعنى فيه ليس فيهم؛ لأن المسك بعض دم الغزال، وهو "مع ذلك" لا يعد من الدماء لما اختص به من معنى كريم ليس فيها. ومفهوم هذا أن حال الممدوح شبيهة بحال المسك وبهذا التشبيه الضمني تبين أن المشبه أمر ممكن الوجود.

ولتحقيق هذا الغرض ينبغي أن يكون المشبه به أعرف وأشهر بوجه الشبه من المشبه كالذي قبله.
وليس بلازم هنا أن يكون المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه؛ لأن المطلوب فيه إثبات نظير المشبه ليفيد عدم استحالته. وهذا يكفي فيه مجرد وجود وجه الشبه به خارجًا، ولا يتوقف الغرض على أن يكون الوجه فيه أتم منه في المشبه. فإذا قلت لإنسان: إنك في خروجك عن جنسك كالمسك تم الغرض بمجرد العلم بخروج المسك عن جنسه وإن لم يكن المسك أتم منه في هذا الخروج، وإن كان الواقع أن المسك أتم خروجًا عن جنسه من الممدوح.
الرابع: تقرير حال المشبه، وتمكينها في نفس السامع بإبرازها في صورة هي فيها أوضح وأقوى، وذلك فيما إذا كان المشبه به مما يدرك بالحس، إذ التمثيل

بالمحسوس يفيد زيادة قوة وتمكين، كما في قول الشاعر:
إن القلوب إذا تنافر ودها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبر
شبه الشاعر القلوب المتنافرة بالزجاجة المتصدعة بجامع تعذر العودة إلى الحالة الأولى. ولما كان تنافر القلوب، وتعذر عودتها إلى التواصل كما كانت من الأمور المعقولة التي لا تطمئن إليها النفس أيما اطمئنان أراد أن يبرز هذا المعنى في شيء يرى بالعين لتسكن إليه النفس، وتؤمن به إيمانًا قويًّا. فشبه بالزجاجة إذا تصدعت، ومثل هذا التشبيه تجد فيه من تقرير الغرض، وتمكينه في الذهن ما لا تجده في غيره؛ لأن الجزم بالأمور الحسية أتم منه بالأمور العقلية وليس من شك في أن التئام الزجاجة بعد صدعها من الأمور المقطوع بتعذرها لتقررها في عالم الحس، ألا ترى لو وصفت يومًا بالطول فقلت: يوم كأطول ما يتوهم، أو كأنه لا آخر له أكنت تحس من الأنس والأريحية بمثل ما تجده في قول الشاعر:
ويوم كظل الرمح قصر طوله ... دم الزق عنا واصطكاك المزاهر ١
وهل تراك لو وصفته بالقصر فقلت: هو كأقصر ما يتصور، أو كلمح البصر أكنت ترى فيه من تجسيم المعنى وتشخيصه ما تراه في قولهم: أيام كأباهيم القطا ٢، أو في قول الشاعر:
ظللنا عند باب أبي نعيم ... بيوم مثل سالفة الذباب ٣
ذلك أن اطمئنان القلب إلى المحسوس أقوى وأتم "كما عرفت" لهذا يقول الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} .
وإن شئت المثل الأعلى لهذا النوع فعليك "بكتاب الله" في غير موضع

١ المراد بدم الزق الخمر، وهو على تقدير مضاف أي: شرب دم الزق، والزق: وعاء الخمر، و"عنا" حال من دم الزق أي: حالة كونه صادرا عنا، والمزاهر جمع: مزهر بكسر الميم، وهو العود الموسيقي، واصطكاكها: ضرب بعضها ببعض.

٢ الأباهيم: جمع إبهام بكسر الهمزة، وهو أكبر أصابع اليد والرجل، والقطا جمع: قطاة، وهي طائر سريع الحركة.

٣ سالفة الذباب: مقدم أعناقه.

منه؛ قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ} وقال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا} . إلى غير ذلك من إبراز المعاني المحجوبة عن العيان في معارض الحس والمشاهدة؛ ليكون ذلك أمكن في النفس؛ فيقوى إيمانها بالمعنى، واطمئنانها إليه.

وهذا الغرض لا يتحقق إلا بالأمرين جميعًا: أن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه لدى المخاطب كما سبق، وأن يكون أتم وأقوى في وجه الشبه من المشبه؛ لأن النفس "كما قلنا" إلى الأتم الأقوى أميل منها إلى غيره.

فإذا قلت مثلًا: إن القلوب المتنافرة يتعذر عودتها إلى التواصل، صح أن يتوهم إمكان عودتها إليه، فإذا مثلت هذا المعنى بالزجاجة المتصدعة التي لا يتوهم فيها مطلقًا أن تعود إلى الالتئام ثانيًا تمكن المعنى في النفس، وآمنت به إيمانها بالمعنى الممثل به.

الخامس: تزيين المشبه للسامع أي: تصويره له بصورة جميلة بأن يلحق بمشبه به قد استقر في النفس حسنه وحبه؛ ليتخيله السامع كذلك فيرغب فيه، كما في قول الشاعر:

سوداء واضحة الجبين ... كمقلة الظبي الغرير ١

شبه الوجه الأسود بمقلة الظبي في حسن سوادها، واستدارته تزيينا له عند السامع، وكما في تشبيه صوت حسن بصوت داود، أو جلد ناعم بالحرير، أو نكهة فم بالعطر، أو نحو ذلك.

السادس: تقبيح المشبه للسامع أي: تصويره بصورة قبيحة بأن يلحق بمشبه به تتقزز منه النفس؛ ليتخيله السامع كذلك فينفر منه، كما في قول الشاعر:

وإذا أشار محدثًا فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

شبه الشاعر إنسانًا يشير في حديثه بقرد يضحك، أو عجوز تلطم خديها في بشاعة المنظر وقبحه؛ تشويها له في نظر السامع.

---

١ "الغرير": الحسن الشكل.

وإذا كان المقصود تزيين المشبه أو تقبيحه بإلحاقه بمشبه به حسن أو قبيح، وجب لتحقيق هذين الغرضين أن يكون المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه. ولا شك أن في سواد مقلة الظبي من الحسن ما ليس في وجه أسود، وأن فيما نراه من قباحة القرد والعجوز المذكورين ما لا تجده في إنسان يشير محدثًا، مهما قبح منظره، وشاه خلقه.

السابع: استطراف المشبه أي: جعله طريفًا بديعًا في خيال السامع، وذلك يكون بأمرين:

الأول: أن يبرز في صورة ممتنعة الوجود عادة كما في تشبيه فحم سرت فيه النار ببحر من المسك، موجه الذهب. فإن صورة البحر المذكور عزيزة الوجود "كما ترى" فإذا أبرز المشبه المبتذل الذي لا يؤبه له لتفاهته "كالفحم المذكور" في صورة شيء نفيس ممتنع "كالصورة المذكورة للبحر" تخيله السامع طريفًا بديعًا.

الثاني: أن يشبه بشيء يندر حضوره في الذهن عند حضور المشبه؛ لما بينهما من بعد المناسبة، كقول عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال:

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها١

فصورة القلم عليه أثر المداد قلما تخطر بالبال عند تصور قرن الغزال، فقد أراد الشاعر عناقًا بين متباعدين، وتآلفًا بين مختلفين، ومن هنا جاء الاستطراف. ومثله ما تقدم لك في تشبيه أزهار البنفسج فوق سيقانها بالنار في أطراف الكبريت، حيث أراك شبها لنبات غض وأوراق رطبة بلهب نار في جسم استولى عليه اليبس، ومبنى للطباع على أن الشيء إذا ظهر في مكان لم يعهد ظهوره فيه كانت صبابة النفس به أكثر، وكان الشغف به والميل إليه أجدر.

ولا يشترط لتحقيق هذا الغرض ما اشترط في غيره، من كون المشبه به أشهر وأتم في وجه الشبه من المشبه، بل كلما كان المشبه به أندر، وأخفى كان التشبيه لتأدية هذا الغرض أتم وأوفى.

---

١ "تزجي": تسوق، و"الأغن": غزال في صوته غنة، و"روقه": قرنه، و"إبرة": طرف القرن، و"المداد": الحبر، و"الدواة": المحبرة.

الأغراض التي تعود على المشبه، وهي اثنان:

الأول: إيهام المتكلم المخاطب أن المشبه أتم وأقوى في وجه الشبه من المشبه به، وذلك كما في التشبيه المقلوب أو المعكوس، وهو أن يجعل فيه الناقص مشبهًا به قصدًا إلى ادعاء أنه أكمل من المشبه به الأصلي مبالغة، كقول محمد بن وهيب يمدح المأمون الخليفة العباسي:

وبدا الصباح كأن غرته ... وجه الخليفة حين يمتدح١

يريد الشاعر أن يشبه وجه الخليفة بغرة الصباح في الضياء والإشراق، جاعلًا وجه الخليفة مشبهًا به، وغرة الصباح مشبهًا، قاصدًا إيهام أن وجه الخليفة أتم وأكمل في الإشراق من غرة الصبح مبالغة.

وإنما قيد الشاعر إشراق وجه الخليفة بوقت الامتداح؛ ليدل على أمرين:

أحدهما: اتصاف الممدوح بحسن قبوله للمدح الدال على تقديره للمادح وتعظيمه له، ولو كان غير قابل للمدح لعبس في وجهه، وتجهم له.

ثانيهما: اتصافه بالكرم، إذ الكريم هو الذي يتهلل وجهه، وتنبسط أساريره للمدح، ولو كان لئيمًا ضنينًا لقطب جبينه وأشاح بوجهه. ونظيره قول البحتري يصف بركة المتوكل:

كأنها حين لجت في تدفقها ... يد الخليفة لما سال واديها

فقد أراد البحتري أن يوهم أن يد الخليفة أقوى تدفقًا بالعطاء من البركة بالماء، فعكس التشبيه كما ترى.

الثاني: بيان اهتمام المتكلم بالمشبه به، كأن يشبه الجائع وجه حبيبته بالرغيف في الاستدارة، والاستلذاذ به؛ ليدل بهذا التشبيه على اهتمامه بالرغيف، وأنه لشدة سغبه لا يغيب عن خاطره ويسمى هذا التشبيه "إظهار المطلوب" ولا بد في مثل هذا من قرينة تدل قصد المتكلم، والقرينة هنا عدوله عن تشبيه الوجه بما يناسبه إلى التشبيه بغير المناسب، كما في المثال المذكور.

---

١ المراد بالغرة هنا الصباح، فالإضافة بيانية، وأصل الغرة بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، وقد استعير للإشراق.

تقسيم التشبيه باعتبار الغرض:

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين: مقبول، ومردود، وهاكهما:

فالمقبول: ما كان وافيًا بالغرض الذي سيق لأجله التشبيه.

فإن كان الغرض بيان حال المشبه وجب أن يكون المشبه به معروفًا بوجه الشبه عند المخاطب من قبل؛ لئلا يؤدي إلى التشبيه بالمجهول. وإن كان الغرض بيان مقداره وجب أن يكون المشبه به على حد المشبه في وجه الشبه لا أقل ولا أكثر. وإن كان الغرض بيان إمكانه وجب أن يكون وجه الشبه مسلم الوقوع في المشبه به. وإن كان الغرض تقريره وجب أن يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه. وإن كان الغرض تزيينه أو تقبيحه، وجب أن يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه أيضًا. وإن كان الغرض استطرافه وجب أن يكون المشبه به غريبًا في بابه، أو بعيد التصور، وقد تقدمت أمثلة كل هذا، فلا داعي لإعادتها.

والمردود: ما لم يكن وافيًا بالغرض المسوق له التشبيه.

ففي بيان الحال: أن يكون المشبه به مجهول الصفة للمخاطب، كأن تشبه له ثوبًا في لونه بآخر لا يعرف لونه أصلًا.

وفي بيان المقدار: أن يكون المشبه به أقل أو أكثر من المشبه في وجه الشبه، كأن تشبه له ثوبًا أبيض بآخر أقل أو أكثر منه بياضًا.

وفي بيان الإمكان: أن يكون وجه الشبه غير مسلم الوجود في المشبه، كأن أشبه رجلًا فاق جنسه لميزة فيه بآخر جنسه كلك.

وفي التقرير: ألا يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه، كأن تشبه من لم يحصل من سعيه على فائدة بمن ينقش على حجر، أو بساعٍ آخر لم يحصل من سعيه على نتيجة.

وفي تزيينه أو تقبيحه: ألا يكون المشبه به أتم في وجه الشبه من المشبه، كأن تشبه وجهًا أسود بالفحم مريدًا تحسينه، أو أن تشبه إنسانًا يتكلم بحسناء تبتسم مريدًا تقبيحه.

وفي الاستطراف: ألا يكون المشبه به غريبًا في بابه، أو بعيد التصور في الذهن، كأن تشبه فحما تتخلله نار بقطع من حديد في أثنائها لهب، أو أن تشبه أزهار البنفسج بما يماثلها من الأزهار، فليس المشبه به غريبًا في الأول ولا بعيد التصور في الثاني.

تمرين:

١- ما هي أداة التشبيه؟ مثل لنوعين منها في جملتين من عندك، مبينًا أركان التشبيه فيهما.

٢- اذكر الفرق بين "الكاف وكأن" ومثل لما تقول من إنشائك.

٣- هل قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ} الآية من قبيل ما ولي فيه الكاف المشبه فيه؟ ومن أي قبيل قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ} الآية، ونحو قولهم: محمد يماثل الأسد؟ وضح ما تقول وضوحًا تامًّا.

٤- عرف كلا من التشبيه المرسل والمؤكد، مع بيان نوع التشبيه في قولهم: صوته مزمار داود، مع بيان علة التسمية في كليهما.

٥- متى يكون التشبيه لبيان الإمكان؟ وبم يتحقق؟ مثل لما تقول.

٦- بم يكون التشبيه مردودًا غير مقبول؟ بين ذلك في مثال من عندك.

٧- بين أركان التشبيه في الأبيات الآتية:

١-

والشمس بين الأرائك قد حكت ... سيفًا صقيلًا في يد رعشاء

٢-

كأن على قلبي قطاة تذكرت ... على ظمأ وردًا فهزت جناحها[١]

٣-

يجود بالوعد ولكنه ... يدهن من قارورة فارغة

٤-

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

---

١ القطاة: طائر خفيف الحركة، والورد بكسر الواو: الإشراف على الماء.

٥-

وكأن الجو ميدان وغى ... رفعت فيه المذاكي رهجا[١]

٦-

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملًا ... إن السماء ترجى حين تحتجب

-٧

جمال الوجه مع قبح النفوس ... كقنديل على قبر المجوسي

-٨

وإنما الحقد كمثل النار ... كامنة في باطن الأحجار

-٩

وما كمد الحساد شيئًا قصدته ... ولكنه من يزحم البحر يغرق

-١٠

هو السيف إن لاينته لان متنه ... وحداه إن خاشنته خشنان

٨- بين طرفي التشبيه ووجهه ونوعه باعتبار الأداة، والغرض منه فيما يأتي:

-١

الخل كالماء يبدي لي ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

-٢

وصبغ شقائق النعمان يحكي ... يواقيتا نظمن على اقتران٢

-٣

كأن سواد الليل والفجر ضاحك ... يلوح ويختفي أسود يتبسم

-٤

أنا الذهب الإبريز ما لي آفة ... سوى نقص تمييز المعاند في نقدي٣

-٥

والنفس كالطفل إن تهمله شَبَّ على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

-٦

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي ... فكأن القتال قبل التلاقي

-٧

كريشة في مهب الريح ساقطة ... لا تستقر على حال من القلق

-٨

وكأنما المريخ بين نجومه ... ياقوتة في لؤلؤ متبدد٤

-٩

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها ... فإن في الخمر معنى ليس في العنب

١ "المذاكي": الخيل، و"الرهج" بفتح الراء والهاء: الغبار.

٢ "الصبغ": اللون، و"شقائق النعمان": زهر أحمر يشوبه نقط سود، و"اليواقيت" جمع ياقوت: جوهر نفيس صلب شفاف مختلف الألوان مفرده ياقوتة، و"نظمن" بمعنى اجتمعن في سلك واحد، و"الاقتران" بمعنى المقارنة والمماثلة.

٣ "الإبريز": الخالص، و"الآقة": العاهة.

٤ المريخ: نجم، والمتبدد: المتفرق.

الجواب على السؤال السابع:

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

بين أركان التشبيه فيما يأتي:

وكأن دجلة إذ تلاطم موجه ... ملك يعظم خيفة ويبجل١

رضاك شباب لا يليه مشيب ... وسخطك داء لا يعيه طبيب

كأنك من كل النفوس مركب ... فأنت إلى كل النفوس حبيب

إذا الثريا اعترضت ... عند طلوع الفجر

حسبتها لامعة ... سبيكة من ذهب٢

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرًا يكون كصالح الأعمال

---

١ "دجلة" بفتح الدال وكسرها: نهر ببغداد.

٢ "السبيكة": قطعة من الذهب المذاب.

والنقع ليل سماء لا نجوم له ... إلا الأسنة والهندية البتر١

ركبوا على سنن الوفا ودموعهم ... بحر وشدة شوقهم ملاح٢

وإني جواد لم يحل لجامه ... ونصل يمان أغفلته الصياقل٣

---

١ "النقع": الغبار، و"الأسنة" جمع: سنان، وهو نصل الرمح، و"الهندية": السيوف، و"البتر" جمع: أبتر، وهو القاطع.

٢ سنن الوفا: طريقه، وهو مقصور "وفاء"، و"الملاح": متعهد النهر.

٣ الجواد: الفرس تجود في سيرها أي: تسرع، و"يحل" من التحلية وهي الزخرفة، و"النصل": حد السيف، و"يمان": نسبة إلى اليمن أي: من صنع أهلها، و"الصياقل": هم الذين يجلون السيوف ويزيلون ما عليها من الصدأ.

(٨٩/١)

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

بين أركان التشبيه ونوعه والغرض منه فيما يأتي:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

{إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا} ، {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا} . هو كالفراشة. العلماء في الأرض كالكواكب في السماء. النحو في الكلام كالملح في الطعام. الحياة كسحابة الصيف. سكبت عيناي غيث الدموع.

تزدحم الناس على بابه ... والمنهل العذب كثير الزحام

كأن المعلم بين التلاميذ ملك بين الرعية. المشتغل بما لا طائل تحته كالراقم على الهواء. نزل بساحتنا كأنه مطر الربيع. {وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ} . لئن أَكُ أسود، فالمسك لوني.

ظهور العدل يمحو كل شر ... إذا جاء الصباح مضى الظلام

كأنك قائم فيهم خطيبًا ... وكلهم قيام للصلاة

عدوى البليد إلى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

والورد في أعلى الغصون كأنه ... ملك تحف به سراة جنوده

وانظر لنرجسه الجني كأنه ... طرف تنبه بعد طول هجوده

كأنما النهر صفحة كتبت ... أسطرها والنسيم منشئها

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله
وحديقة غناء تنتظم الندى ... بفروعها كالدر في الأسلاك

(٩١/١)

فصل في بيان مراتب التشبيه:

التشبيه مراتب ثلاث، تتفاوت بحسبها قوة وضعفا، وهاك بيانها:

فالأولى وهي عليا المراتب: ما ترك فيها ذكر الوجه والأداة جميعًا، كما نقول: محمد أسد، فهذا التشبيه يفيد من قوة المبالغة ما لا يفيد غيره.

وجه ذلك: أنه مشتمل على معنى الاتحاد بين الطرفين من وجهين:

١- أن ترك الوجه يفيد بحسب الظاهر[١] عموم جهة الإلحاق، أي: إن المشبه وهو "محمد" في المثال المذكور يماثل المشبه به وهو "الأسد" في جميع صفاته من القوة، والجرأة، والمهابة، والضخامة، وما إلى ذلك من أوصاف هذا الحيوان، إذ لا ترجيح لبعض الأوصاف على بعض عند ترك الوجه وهذا يقوي دعوى الاتحاد بين الطرفين، بخلاف ما لو ذكر الوجه لفظًا أو تقديرًا، فقيل: محمد أسد في الجرأة، أو محمد أسد على تقدير "في الجرأة"، فإنه يفيد أن "محمدًا" يماثل الأسد في وصف الجرأة فقط، لا في سائر صفاته؛ فتضعف بذلك دعوى الاتحاد.

٢- أن ترك الأداة يفيد بحسب الظاهر أيضًا: أن المشبه به في المثال المذكور محمول على المشبه، والحمل يقتضي اتحادهما معنى، أي: أن يكون المشبه هو بعينه المشبه به، وليس شيئًا سواه وإلا ما صح الحمل فيهما لامتناع حمل أحد المتباينين على الآخر، بخلاف ما لو ذكرت الأداة لفظًا أو تقديرًا فقيل: محمد كالأسد، أو محمد أسد، على تقدير الكاف، فإنه يفيد أن المشبه غير المشبه به، وهذا يضعف دعوى الاتحاد بينهما.

فترك الوجه والأداة إذًا يفيد معنى اتحاد الطرفين من جهتين، كما بينا؛ لهذا كان التشبيه عند تركهما[٣] في المرتبة الأولى.

والثانية وهي الوسطى: ما ترك فيها ذكر أحدهما -الوجه أو الأداة- كما تقول: محمد كالأسد، أو محمد أسد في الجرأة، وإنما كان التشبيه في هاتين الصورتين في المرتبة الوسطى لاشتماله على معنى اتحاد الطرفين من جهة واحدة أي: من جهة عموم الإلحاق كما في صورة ترك الوجه، أو من جهة

---

١ إنما كانت إفادته العموم بحسب الظاهر؛ لأن الوجه في الحقيقة وصف خاص قصد اشتراك الطرفين فيه "كالجرأة" مثلًا كما سبق بيانه.

٢ إنما كان الحمل ظاهرًا أيضًا؛ لأنه لا حمل في الحقيقة، وإنما هو تشبيه أحدهما بالآخر.
٣ إنما عبرنا بالترك في جانب حذف الوجه والأداة؛ لأن معناه عدم الذكر لفظًا وتقديرًا، وهذا هو المراد؛ لأن مدار المبالغة على دعوى الاتحاد، وهي لا تجامع التقدير في نظم الكلام.

(٩٢/١)

حمل أحد الطرفين على الآخر، كما في صورة ترك الأداة.
والثالثة وهي المرتبة الأخيرة: ما ذكر فيها الوجه والأداة جميعًا "عكس الأولى" كما تقول: محمد كالأسد في الجرأة، وإنما كانت هذه المرتبة دنيا المراتب الثلاث؛ لخلو التشبيه فيها عن دعوى الاتحاد التي هي مدار المبالغة فيه.
تنبيهان:
الأول: أن وصف التشبيه بالعلو، والتوسط، والانحطاط فرع من تحققه، وهو إنما يتحقق بالطرفين: المشبه والمشبه به، فلا بد إذًا من ذكرهما. أما المشبه به؛ فلأنه الأصل المقيس عليه، وأما المشبه فلأنه المقيس، غير أنه يجوز حذف المشبه لفظًا فقط إذا دلت عليه قرينة، كأن يكون بينك وبين مخاطبك مذاكرة في شأن "محمد" مثلًا، فتقول له: ما حال محمد؟ فيقول لك: "أسد" على تقدير "محمد أسد"، فتحذف المشبه لدلالة الكلام السابق عليه، لكن لا بد من تقديره في نظم الكلام، وإلا كان استعارة لا تشبيهًا.
الثاني: إن إطلاق وصف البليغ على التشبيه الذي حذفت منه الأداة طريقة لبعضهم، وذهب آخرون إلى أن التشبيه البليغ هو ما كان بعيدًا غريبًا، ذكرت الأداة فيه أو لم تذكر كما سبق في تشبيه الهيئات المنتزعة من أمور متعددة لما هو مركوز في الطباع من أن الشيء الذي ينال بعد مشقة، وعناء يكون وقعه في النفس أحلى وألطف، والنفس به أضن وأشغف، حتى قال بعض الأدباء: ما أشبه هذا الضرب من التشبيه بالجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، أو بالحبيب المتحجب لا يريك وجهه حتى تستأذن، وقديمًا قال الشاعر العربي:
وزاده كلفًا في الحب أن منعت ... وحب شيء إلى الإنسان ما منعا

(٩٣/١)

خاتمة:

تقدم: أن المشبه به ينبغي أن يكون أعرف بوجه الشبه من المشبه، أو أتم وأقوى منه فيه حقيقة، إذا عاد الغرض على المشبه، أو ادعاء إذا عاد على المشبه به كما سبق تفصيله.

ومتى كان الأمر كذلك جيء بصيغة التشبيه المعروفة؛ إشعارًا بهذا التفاوت، ودلالة على أن أحدهما ناقص. والآخر كامل كما تقول: هذا الشيء كهذا الشيء، أو مثله، أو شبهه، أو يحاكيه، أو يماثله، أو كأنه هو، أو غير ذلك من أنواع صيغة التشبيه الدالة وضعًا على أن بين الشيئين تفاوتًا.

فإذا أريد مجرد الجمع بين الشيئين في أمر من غير قصد إلى تمييز أحدهما –سواء وجد تفاوت بينهما أو لا– فالأفضل العدول عن صيغ التشبيه المذكورة إلى التعبير بصيغة التشابه أو ما يماثلها؛ احترازًا عن ترجيح أحد المتساويين الذي هو غير مقصود، كما تقول: تشابه محمد والأسد، وتماثل وجهه والبدر، وتحاكى نواله والغيث، ونحو ذلك من كل فعل لا مفعول له؛ للإشعار بأن ليس بين الطرفين تفاوت. ومنه قول إسحاق الصابي[1]:

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي ... فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب

فوالله ما أدري: أبالخمر أسبلت ... دموعي أم من عبرتي كنت أشرب[2]

خيل للشاعر من شدة ما يعانيه من ألم الجوى، أنه يبكي بدل الدمع دمًا، فشبه دمعه الهاطل على خده بما في كأسه من خمر في الحمرة، غير أنه بالغ في التشبيه فزعم: أن الدمع والخمر تساويا في وجه الشبه، بحيث لا يفضل أحدهما الآخر فيه، حتى أشكل عليه الأمر، فلم يعرف أكان يشرب من دمعه، أو من خمره؛ لهذا عدل عن التعبير بصيغة التشبيه الدالة على التفاوت إلى صيغة التشابه المفيدة لمعنى التساوي الذي أراده. ونظير قول الصابي قول الصاحب:

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر[3]

ويجوز في هذه الحالة أيضًا الإتيان بصيغة التشبيه رغم ادعاء التساوي بين الطرفين لغرض ما، كأن يكون أحدهما موضع حديث المتكلم، أو محل اهتمامه،

---

١ هو إبراهيم الصابي اليهودي، كان يحفظ القرآن جيدًا، ولم يشرح الله صدره بالإسلام كما هداه لمحاسن الكلام.

٢ المدامة: الخمر، وأسبلت العين: هطلت وسالت، والعبرة بفتح العين: الدمع وهو المراد، وبالكسر بمعنى الاعتبار.

٣ "كأن" هنا للشك لا للتشبيه، وذلك أمارة التساوي، والقدح: الكأس.

فيجريه على لسانه أولًا، ويجعله حينئذ مشبهًا، فإذا كان يتحدث مثلًا عن الليل يتألق فيه بياض الصبح، صح أن يشبه ذلك بجواد أدهم ذي غرة، كما في قول الشاعر العربي:

والصبح في طرة ليل مسفر ... كأنه غرة مهر أشقر١

وإذا شغف بحب فرسه الدهماء، ذات الغرة البيضاء، جاز أن يشبه ذلك بظلمة الليل ينشق عن وجه الصباح، كقول الشاعر:

وجهه صبح ولكن ... سائر الجسم ظلام

فالشاعر في كلا الحالين إنما يرمي إلى ما في الطرفين من مجرد ظهور بياض في سواد أكثر منه، من غير قصد إلى قوة أو ضعف. غير أن الأفضل "كما قلنا" هو التعبير بصيغة التشابه؛ لأنها أدل على المراد وأصرح في معنى التساوي بين الطرفين.

---

١ طرة كل شيء: طرفه، يريد آخر الليل، والأشقر من الخيل: الأحمر المشوب بسواد.

الاختلاف في صيغة التشبيه:

اختلف الرأي في صيغة التشبيه: أهي من قبيل الحقيقة، أم من قبيل المجاز؟ فالرأي الأول –وهو الراجح– أنها من قبيل الحقيقة؛ ذلك أن كلا من المشبه والمشبه به مستعمل في معناه الذي وضع له، "فمحمد" في نحو: "محمد كالبدر" مستعمل في الذات المعروفة، كما أن "البدر" مستعمل في الجرم المعروف.

وقيل: هي من قبيل المجاز؛ لأن المعنى المراد من قولنا: محمد كالبدر، أنه تناهى في الحسن حتى بلغ مستوى البدر فيه، وهذا المعنى غير ما وضع له التركيب؛ إذ إن معناه المفهوم منه وضعًا: أن "محمدًا" قريب في الحسن من البدر، ولم يبلغ فيه مبلغه.

مبحث الحقيقة والمجاز

مدخل

...

المبحث الرابع: في الحقيقة والمجاز

تقدم أن قلنا: إن اللفظ المستعمل نوعان:

١- نوع لا يتصرف فيه عند الاستعمال أي تصرف، بل يبقى على أصل وضعه، ويسمى عندهم حقيقة ٢- نوع يتصرف فيه عند الاستعمال، ويسمى عندهم "مجازا". والحقيقة إما أن تكون في إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن تكون في ذات؛ فإن كانت الحقيقة في الإسناد بأن أسند اللفظ إلى ما حقه أن يسند إليه سميت "حقيقة عقلية"[١] كإسناد الإنضاج إلى الله في قولك: "أنضج الله الثمر" أو إلى ضميره في نحو: "إن الله منضج الثمر" فلفظ "أنضج" أو "منضج" لم يتصرف فيه بشيء، بل أسند إلى ما حقه أن يسند إليه، وهو الله تعالى في الأول، وضميره في الثاني. وإذًا تكون:

الحقيقة العقلية: هي إسناد الفعل، أو ما يدل على معنى الفعل إلى شيء بني الفعل، أو ما يدل على معناه له[٢] في اعتقاد المتكلم فيما يفهم من ظاهر حاله. والمراد بالشيء: خصوص الفاعل أو نائب الفاعل، ظاهرًا كان أو ضميرًا.

فمثال إسناد الفعل إلى الفاعل ما تقدم من قولك: أنضج الله الثمر، فقد أسند الفعل وهو "أنضج" مبنيا للمعلوم إلى شيء هو "الله تعالى" والفعل على هذه الصورة مبني وموضوع لأن يسند إلى الله تعالى في اعتقاد المتكلم في ظاهر حاله، إذ ظاهر من حاله أنه مؤمن، يسند الأشياء إلى الله سبحانه لأنه لم ينصب قرينه على أنه غير مؤمن، يضيف الأشياء إلى غير الله.

ومثال إسناد الفعل إلى نائب الفاعل قولك: "أنضج الثمر" بالبناء للمجهول، فقد أسند الفعل وهو "أنضج" مبنيًّا للمجهول إلى شيء هو "الثمر" والفعل على هذه الصورة مبني لأن يسند إلى "الثمر"؛ لأنه المفعول الواقع عليه الإنضاج.

ومثال إسناد ما يدل على معنى الفعل قولك: جاء النابه ذكره، المحمود طبعه، الجميل صنعه "فالنابه" اسم فاعل مسند إلى "ذكره" و"المحمود" اسم مفعول مسند إلى "طبعه" و"الجميل" صفة مشبهة مسندة إلى "صنعه" وكلها دالة على معنى للفعل، ومسندة إلى ما حقها أن تسند إليه.

---

١ إنما سميت كذلك؛ لأن إسناد الشيء إلى غيره حكم عقلي.

٢ المراد بالفعل: ما اصطلح عليه النحاة، وهو ما دل على حدث مقرون بأحد الأزمنة الثلاثة، والمراد بما يدل

على معناه: المصدر وسائر المشتقات كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، وغير ذلك.

(٩٦/١)

أقسام الحقيقة العقلية:

تنقسم الحقيقة العقلية إلى أربعة أقسام:

الأول: ما طابق الواقع والاعتقاد، كقول المؤمن: "أنبت الله الزرع" إذا كان المخاطب يعلم أن المتكلم مؤمن، ينسب الآثار كلها لله، أو كان يجهل حاله، إذ المفهوم من ظاهر حال المتكلم أنه مؤمن، وأن الإسناد إلى ما بني الفعل له في يقينه واعتقاده.

الثاني: ما طابق في الواقع فقط، كقول الكافر وهو يخفي حاله عن المخاطب: "شفى الله المريض" فالظاهر من حال المتكلم أنه مؤمن يعتقد ما يقوله، إذ إنه لم ينصب قرينة على أنه كافر، بل ستر حاله وأخفاها.

الثالث: ما طابق الاعتقاد فقط، كقول الكافر: "أنبت الغيث الشجر" إذا كان المخاطب يعلم أن المتكلم كافر، يضيف الإنبات إلى الغيث، أو كان يجهل حاله، إذ المفهوم من ظاهر حاله حينئذ أنه كافر يعتقد ما يقول، وأن الإسناد إلى ما بني الفعل له في اعتقاده.

الرابع: ما لم يطابق الواقع، ولا الاعتقاد، كقولك كذبًا: "زارني محمد" وأنت وحدك، دون المخاطب تعلم أنه لم يزرك، فالمفهوم من ظاهر حالك حينئذ أنك صادق فيما تقول، وأن الإسناد إلى ما بني الفعل له في اعتقادك.

فكل هذه الأقسام الأربعة من قبيل الحقيقة العقلية؛ لأن الفعل أسند في جميعها إلى ما حقه أن يسند إليه عند المتكلم في ظاهر حاله.

وإن كانت الحقيقة في ذات اللفظ سميت "حقيقة لغوية" نسبة إلى اللغة، كلفظ "أسد" المستعمل في الحيوان المفترس في قولك: "رأيت أسدًا في غابة" فلفظ "أسد" لم يتصرف فيه بشيء، بل استعمل في معناه الأصلي.

وإذًا تكون الحقيقة اللغوية: هي الكلمة المستعملة في المعنى الذي وضعت له[1]، وهي تسمى بأسماء

---

١ الوضع: تعيين اللفظ للدلالة على المعنى بنفسه، لا بقرينة تنضم إليه ليخرج المجاز، فإن دلالة اللفظ فيه بواسطة القرينة، ودخل المشترك لأنه معين للدلالة على كل من معنييه أو معانيه بنفسه، فالعين وضعت تارة للدلالة على الجارية وأخرى للدلالة على الباصرة وهكذا، وعدم فهم إرادة أحد معنييه أو معانيه الوضعية لعارض الاشتراك لا ينافي ذلك.

تختلف باختلاف الواضع.

فإن كان الواضع من أرباب اللغة الفصحاء، سميت "حقيقة لغوية" فقط، كلفظ "الأسد" المستعمل في المعنى الذي وضعه له أهل اللغة "وهو الحيوان المفترس".

وإن كان الواضع من أهل الشرع، سميت "حقيقة لغوية شرعية" كلفظ "الصلاة" المستعمل في المعنى الذي وضعه له أهل اللغة الشرعيون "وهو الأفعال والأقوال الخاصة".

وإن كان الواضع طائفة خاصة "كالنحاة" مثلًا، سميت "حقيقة لغوية اصطلاحية، أو عرفية خاصة" كالفاعل المستعمل في المعنى الذي وضعه له علماء اللغة النحاة، وهو الاسم المرفوع بعد فعل مبني للمعلوم أو شبهه.

وإن كان الواضع غير طائفة بعينها، سميت "حقيقة لغوية عرفية عامة" كلفظ "دابة" المستعمل في المعنى الذي تواضع عليه الناس وتعارفوه، وهو ذات الأربع من الدواب كالحمار، والفرس.

تمرين:

١- عرف الحقيقة العقلية، واذكر لها مثالين من عندك؛ أحدهما لإسناد الفعل، والآخر لإسناد ما هو بمعناه، وبين هل إسناد "منبت" إلى "الله" في قول المؤمن: الله منبت الزرع، من قبيل الحقيقة العقلية؟ وَجِّه ما تقول.

٢- اذكر أقسام الحقيقة العقلية، ومثل لكل قسم مع الإيضاح التام.

٣- بين ما طابق الواقع والاعتقاد، وما طابق أحدهما، وما لم يطابق واحدًا منهما فيما يأتي:

١- قال كافر: قوس ظهري الزمان، وشيبتني الهموم والأحزان، لمن يعلم أنه كافر أو لمن يجهل حاله.

٢- قال مؤمن: أذوى الله الزهر، لمن يعلم أنه مؤمن، أو لمن يجهل حاله.

٣- قال كافر: أشاب الله لمتي، لمن يخفى عنه حاله.

٤- قال رجل وهو يكذب: لقيني أخوك اليوم، لمن لا يعلم أنه كاذب.

٥- بين فيما يأتي نوع الحقيقة:

١- "الزكاة" لمقدار من المال يعطى للفقير.

٢- "المفعول" لاسم منصوب بعد فعل.

٣- "الطائر" لذي المنقار من ذوات الجناح.

٤- الدابة لكل ما يدبّ على وجه الأرض.

٥- "الفاعل" لمن وقع منه الفعل.

٦- "الخبر" الركن الثاني من الإسناد الخبري.

والمجاز:

إما أن يكون في إسناد اللفظ إلى غيره، وإما أن يكون في ذات اللفظ؛ فإن كان المجاز في الإسناد بأن أسند اللفظ إلى غير ما حقه أن يسند إليه سمي مجازًا عقليًّا[١] أو "إسنادًا مجازيًّا" كإسناد "أنضج" في المثال المتقدم إلى "الربيع" في قول المؤمن لمخاطب يعلم إيمانه: أنضج الربيع الثمر، والأصل: أنضج الله الثمر وقت الربيع "فالله" هو المسند إليه الحقيقي "لأنضج" وقد تصرف في "أنضج" بإسناده إلى غير ما حقه أن يسند إليه وهو "الربيع" فالربيع إذًا مسند إليه مجازي. ومثل الفعل في ذلك الوصف في نحو قولك: "الربيع منضج[٢] الثمر، ولا بد لذلك من علاقة بين المسند إليه الحقيقي والمجازي، كما لا بد من قرينة دالة على التجوز كما سيأتي بيانه. وإذًا يكون:

---

١ سمي بذلك؛ لأن التصرف واقع في الإسناد، وهو أمر عقلي.

٢ أي: بإسناده إلى ضمير الربيع.

المجاز العقلي:

إسناد الفعل، أو ما يدل على معنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه لعلاقة، مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له أي: على حقيقته.

وذلك كإسناد الفعل المبني للفاعل إلى المفعول في قولك: رضيت عيشته، فقولك: "رضيت" فعل مبني للفاعل وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو صاحب العيشة، فيقال مثلًا: رضي محمد عيشته، لكنه أسند إلى المفعول الذي هو "العيشة" إسنادًا مجازيًّا؛ للمشابهة بين "العيشة" و"محمد" في تعلق الفعل بهما. فتعلقه "بمحمد" من حيث صدوره منه، وتعلقه "بالعيشة" من حيث وقوعه عليها "فالعيشة" حينئذ مسند إليه مجازي.

ومنه قوله تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} فقد أسند فيه اسم الفاعل إلى ضمير "العيشة" إسنادا مجازيا، من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل المبني للمجهول إلى الفاعل في قولك: "غمر السيل" فقولك: "غمر" فعل مبني للمجهول، وكان حقه أن يسند إلى المفعول الحقيقي الذي هو "الوادي" فيقال: غمر الوادي، لكنه أسند إلى الفاعل الذي هو "السيل" إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين "السيل والوادي" في تعلق الفعل بهما، أما تعلقه "بالوادي" فمن حيث وقوعه عليه، وأما تعلقه "بالسيل" فمن حيث صدوره منه، فالسيل حينئذ مسند إليه مجازي. ومنه قولهم: "سيل مفعم" بفتح العين، بالبناء للمجهول بمعنى "مغمور" فقد أسند فيه اسم المفعول إلى ضمير "السيل" إسنادًا مجازيًّا من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل إلى المصدر في قولك: "جد جده" وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو "الإنسان" فيقال: جد الإنسان جدا، لكنه أسند إلى المصدر إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين المصدر والفاعل الحقيقي في تعلق الفعل بهما، فتعلقه بالمصدر من حيث إنه جزء مفهومه، وتعلقه بالفاعل الحقيقي من حيث صدوره منه، فالمصدر إذًا مسند إليه مجازي.

وكإسناد الفعل إلى ظرف الزمان في قولك: "صام نهاره" برفع "نهاره" على الفاعلية، وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي، فيقال: صام محمد في نهاره، لكنه أسند إلى الطرف الذي هو "النهار" إسنادًا مجازيًّا؛ للمشابهة بين "محمد والظرف" في تعلق الفعل بهما، فتعلقه "بمحمد" من حيث صدوره منه وتعلقه "بالنهار" من حيث وقوعه فيه. فالظرف حينئذ مسند إليه مجازي، ومنه قولهم: نهاره صائم، وليله قائم فقد أسند فيهما اسم الفاعل إلى ضمير الظرف وهو "النهار" في المثال الأول

و"الليل" في المثال الثاني إسنادًا مجازيًّا، من إسناد ما هو بمعنى الفاعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل إلى ظرف المكان في قولك: جرى النهر برفع "النهر" على الفاعلية، وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو "الماء" فيقال: جرى الماء في النهر، لكنه أسند إلى الظرف الذي هو "النهر" أي: مجرى الماء إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين "النهر والماء" في تعلق الفعل بهما، فتعلقه بالماء من حيث صدوره منه، وتعلقه بالنهر من حيث وقوعه فيه، فالظرف حينئذ مسند إليه مجازي. ومنه قولهم: نهر جارٍ، فقد أسند فيه اسم الفاعل إلى ضمير الظرف وهو "النهر" إسنادًا مجازيًّا من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه.

وكإسناد الفعل إلى السبب في قولك: "بنى الأمير القصر" وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو "العملة" إذ هم البانون حقيقة، فيقال: بنى العملة القصر بأمر الأمير، لكنه أسند إلى السبب الباعث الذي هو

"الأمير" إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين "الأمير والعملة" في تعلق الفعل بهما، فتعلقه "بالأمير" من حيث إنه سبب في البناء، وتعلقه "بالعملة" من حيث صدوره منهم، فالأمير إذًا مسند إليه مجازي، ومنه قوله تعالى: {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا} فقد أسند فيه الفعل إلى ضمير {هَامَانُ} إسنادًا مجازيًّا من إسناد الفعل إلى السبب وهكذا. ومما تقدم تعلم أن:

علاقة المجاز العقلي:

هي مشابهة المسند إليه المجازي للمسند إليه الحقيقي في تعلق الفعل بكل منهما، وإن اختلفت جهة التعلق كما عرفت مما سردناه عليك من الأمثلة.

وقرينة المجاز العقلي:

هي الأمر الصارف عن أن يكون الإسناد على حقيقته؛ لأن المتبادر إلى الفهم عند انتفاء القرينة هو الحقيقة، بمعنى أن ظاهر الكلام بغض النظر عن القرينة يفيد أن الفعل، أو ما في معناه مسند إلى ما حقه أن يسند إليه.

(١٠١/١)

والقرينة نوعان: لفظية، ومعنوية:

فاللفظية: هي لفظ يذكر في الكلام يصرفه عن حقيقته، ويدل على التجوز في الإسناد كما تقول: "هزم الأمير خصمه وهو في قصره" فهو "كما ترى" إسناد الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه؛ لأن الأمير لم يفعل شيئًا، والذي سوغ إسناد الهزيمة إليه أنه سبب فيها، والقرينة الدالة على هذا التجوز قولك: "وهو في قصره" إذ دل على أن الهازم غير الأمير.

والمعنوية: شيء خارج عن اللفظ، يصرف الكلام عن حقيقته، ويدل على التجوز في الإسناد، وذلك أحد أمرين:

الأول: أن يكون قيام المسند بالمسند إليه مستحيلًا عقلًا، أو عادة. فمثال المستحيل عقلًا قولهم: "محبتك جاءت بي إليك" فإسناد المجيء إلى ضمير المحبة مجاز عقلي أسند فيه الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه، والذي سوغ هذا الإسناد أن المحبة سبب في المجيء، وقرينة المجاز استحالة قيام المجيء بالمحبة عقلًا. والمراد بالمستحيل عقلًا: ما كان مستحيلًا بالضرورة، وهو ما لو خلا العقل ونفسه لعده محالًا على البديهة كما في المثال المذكور. ومثله قولك: أقدمني بلدك، حق لي عليك. فالقرينة على التجوز في الإسناد استحالة قيام الإقدام بالحق عقلًا. ومثال المستحيل عادة قولهم: هزم القائد الجيش، فإسناد هزيمة الجيش إلى القائد مجاز عقلي، قرينته استحالة أن يهزم القائد الجيش وحده في العادة، وإن أمكن ذلك عقلًا.

الثاني: أن يكون الكلام صادرًا عن الموحد كأن يقول المؤمن: قوست ظهري أحداث الزمان، وأشابت رأسي نوائبه، فهذان الإسنادان من قبيل المجاز العقلي، أسند فيهما الفعلان إلى غير ما حقهما أن يسندا إليه بناء على أن أحداث الزمان ونوائبه سبب في التقويس والإشابة، وقرينة التجوز فيهما صدور هذا القول من مؤمن يرى أن الله تعالى مصدر الأفعال كلها.

وليس هذا مما استحالته عقلية حتى يكون داخلًا في الأمر الأول؛ إذ لم يجمع ذوو العقول على استحالة مثل هذا بدليل أن كثيرًا من العلماء ذهبوا إليه، وقالوا به، واحتجنا في الرد عليهم إلى الدليل.

فالقرينة في هذين الأمرين معنوية؛ إذ لم يكن في الكلام لفظ صريح يدل على التجوز في الإسناد.

وإن كان المجاز في ذات اللفظ بأن نقل من معناه الموضوع له إلى معنى آخر، فإما أن يكون هذا اللفظ مفردًا، أو مركبًا.

(١٠٢/١)

المجاز المفرد:

هو الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له العلاقة بين المعنى الأول، والثاني مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول[١].

والعلاقة فيه: هي المناسبة[٢] بين المعنى الموضوع له باللفظ، والمعنى المقصود.

وقرينته: هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلًا على أنه أراد باللفظ غير المعنى الموضوع له، مثال ذلك لفظ "الأسد" المستعمل في الرجل الجريء في قولك: رأيت أسدًا على فرس، وكلفظ "النبات" المستعمل في الماء في قولك: أمطرت السماء نباتًا، فكل من لفظي "الأسد والنبات" مجاز مفرد؛ لأنه كلمة مستعملة في غير المعنى الموضوع له، والعلاقة بين المعنيين "في الأول" مشابهة الرجل للأسد في الجرأة، "وفي الثاني" سببية الماء للنبات، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي قولك في المثال الأول: "على فرس" إذ ليس ذلك من شأن الحيوان المفترس، والقرينة في الثاني قولك: "أمطرت" إذ إن النبات لا يمطر.

تقسيم المجاز المفرد:

ينقسم المجاز المفرد باعتبار العلاقة إلى قسمين: استعارة، ومجاز مرسل، ولكل منهما مبحث خاص سيأتي فيما بعد.

فإن كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة سمي اللفظ "استعارة" كما في لفظ "الأسد" المستعار للجريء في المثال الأول، وإن كانت العلاقة بينهما غير المشابهة سمي اللفظ "مجازًا مرسلًا" كما في لفظ "النبات" المستعمل في

"الماء" في المثال الثاني، وإليك بيان القسم الأول.

---

١ بقيد "المستعملة" تخرج الكلمة قبل الاستعمال، فلا توصف بحقيقة ولا مجاز، وبقيد "في غير ما وضعت له" تخرج الحقيقة، وبقيد "العلاقة" يخرج الغلط اللساني كقولك: "هذا أسد" مشيرا إلى حجر؛ إذ لا علاقة بين الأسد والحجر، وبقيد "مانعة" تخرج الكناية، فإن قرينتها غير مانعة كما سيأتي. وهذا التعريف بالمعنى الاسمي هو المشهور، وقد تطلق على فعل المتكلم، فيقال: هي استعمال الكلمة ... إلخ.

٢ تكون بالمشابهة بين المعنيين كما في الاستعارة، وبغيرها كما في المجاز المرسل على ما سيأتي.

(١٠٣/١)

الاستعارة

مدخل

...

الاستعارة:

هي الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له كقولك: رأيت قمرًا يتكلم.

وطريقة إجرائها: أن يقال في هذا المثال وأشباهه: شبه الوجه الصبوح بالقمر في الإشراق ثم تنوسي التشبيه، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، وداخل في جنسه، ثم استعير لفظ المشبه به وهو "القمر" للمشبه وأطلق عليه كأنه موضوع له، باعتباره أحد أفراد القمر. وهكذا يقال في كل استعارة، أي: في كل كلمة استعملت في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة.

أركانها: هي كما يؤخذ من التعريف ثلاثة: "المستعار منه" وهو ذات المشبه به، و"المستعار له" وهو "ذات المشبه" و"المستعار" وهو اللفظ الموضوع في الأصل للمشبه به.

فإذا قيل: "رأيت أسدًا يرمي" فقد شبه الرجل الجريء بالأسد –على ما سبق– ثم استعير اسم المشبه به للمشبه. فالمعنى المشبه به وهو "الحيوان المفترس" مستعار منه؛ لأن اللفظ الموضوع له وهو "أسد" أخذ منه وأعطي لغيره، فهو كالإنسان يستعار منه ثوبه لغيره، والمعنى المشبه وهو "ذات الرجل الجريء" مستعار له؛ لأن اللفظ الذي لغيره أعطي له فهو كالإنسان يستعار له الثوب من صاحبه، ولفظ "أسد" مستعار؛ لأنه أتي به من صاحبه، واستعير لغيره كاللباس المستعار من صاحبه للابسه، وثلاثتها هي أركان الاستعارة، والدعائم التي تقوم

عليها[1].

---

[1] من هذا البيان يعلم أن التشبيه إنما يكون في المعاني، وأما الاستعارة ففي الألفاظ.

ما لا بد منه لتحقيقها:

يتبين مما تقدم في طريقة إجرائها أن لا بد لتحقيقها من أمور أربعة:

١- أن يتناسى التشبيه، ويجعل كأن لم يكن، ويدعى حينئذ أن المشبه فرد من أفراد المشبه به[1] مبالغة في اتصاف المشبه بوجه الشبه، غير أن التشبيه الذي يجب تناسيه فيها هو الذي بنيت عليه الاستعارة، وإذًا فلا مانع من أن تقول: "رأيت أسدًا يتكلم مثل الفيل في الضخامة" فالذي بنيت عليه الاستعارة هو تشبيه الرجل بالأسد في الجرأة، وهذا هو الذي يجب تناسيه فيها، فتشبيهه بعد ذلك بالفيل لا يضر بالاستعارة لعدم بنائها عليه.

٢- ألا يذكر وجه الشبه، ولا أداته لا لفظًا ولا تقديرًا، فإن ذكرا، أو ذكر أحدهما كان الكلام تشبيهًا، لا استعارة كما تقول: محمد كأبي العلاء في شعره، أو محمد كأبي العلاء، أو محمد أبو العلاء في شعره.

٣- ألا يجمع فيها بين الطرفين أصلًا، أو يجمع بينهما على وجه لا يدل على التشبيه. فمثال الأول قولك: لقيت بحرًا يعظ الناس، وقولك: أظفار المنية نشبت بفلان، ففي الأول: شبه الواعظ بالبحر في الإفاضة، ثم استُعير لفظ المشبه به للمشبه فالمذكور هو لفظ المشبه به فقط، وهو لفظ بحر، وفي الثاني: شبهت المنية بالأسد في الاغتيال، ثم استعير تقديرًا لفظ "الأسد" للمنية، ثم حذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو "الأظفار" على ما سيأتي، فالمذكور هو لفظ المشبه لا غير وهو "المنية". ومثال الثاني وهو ما جمع فيه بين الطرفين على وجه لا ينبئ عن التشبيه، قول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر[2]

فلفظ "القمر" في الشطر الثاني من البيت استعارة؛ لأنه منقول من معناه الأصلي إلى "الإنسان الجميل" وقد جمع فيها بين الطرفين؛ المشبه وهو الضمير في "أزراره" والمشبه به وهو "القمر" ولكن على وجه لا يدل على التشبيه؛ لأن سياق الكلام إنما

---

[1] ويقدر أن "الأسد في المثال السابق" موضوع لفردين، أحدهما متعارف وهو الحيوان المفترس، والآخر غير

متعارف وهو الرجل الجريء.
٢ البلى من بلي الثوب، إذا فسد. والغلالة بكسر الغين: ثوب قصير ضيق الكمين كالقميص.

(١٠٥/١)

هو لإثبات فعل واقع على القمر لا لإثبات التشبيه؛ إذ هو مكنون في النفس، لا يدرك إلا بتأمل ونظر.
فإذا جمع بين الطرفين على وجه ينبئ عن التشبيه، ويدل عليه بألا يصح المعنى إلا بمراعاة التشبيه، كان الكلام تشبيهًا لا استعارة وذلك إذا كان المشبه به خبرًا عن المشبه، أو في حكم الخبر عنه كأن يقع حالًا منه، أو صفة له.
فمثال ما إذا كان خبرًا قولك: "خالد بن الوليد أسد" فقد جمع فيه بين الطرفين على وجه ينبئ عن التشبيه؛ لأن سياق الكلام "ظاهرًا" إنما هو لإثبات معنى "الأسد" لخالد، وهو يمتنع عن الحقيقة، فيحمل على أنه لإثبات شبه معنى الأسد لخالد، فيكون الإتيان "بالأسد" لإثبات هذا الشبه، ولأن حمل الأسد على "خالد" يقتضي اتحاد المحمول والمحمول عليه في المعنى ليصح الحمل، واتحادهما ممتنع لتباين المفهومين، فتعين الحمل على التشبيه بتقدير أداته فهلذين السببين كان جديرًا أن يسمى تشبيهًا، لا استعارة.
ومثال ما في حكم الخبر قولك: كَرَّ خالد على الأعداء أسدًا، ومررت برجل أسد، جمع فيهما بين الطرفين على وجه يدل على التشبيه للسببين المتقدمين، فكان الكلام فيهما تشبيهًا.
٤- أن يكون المشبه به كليًّا حقيقة، أو تأويلًا، حتى يتأتى ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، واعتباره فردًا من أفراده.
فالكلي الحقيقي كاسم الجنس في مثل "الأسد" فإن معناه كلي، يصدق على كثيرين، فيصح حينئذ جعله استعارة للرجل الجريء، باعتباره داخلا في جنس الأسد ادعاء، وفردًا من أفراده.
والكلي التأويلي كعلم الشخص الذي اشتهر بوصف، بحيث إذا أطلق ذلك العلم فهم منه ذلك الوصف، وصار العلم كأنه موضوع للذات المستلزمة لذلك الوصف "كحاتم" علمًا على الطائي المعروف١، فإنه اشتهر بالجود وذاع صيته فيه حتى صار إذا أطلق لفظ "حاتم" فهم منه

---

١ هو عبد الله بن سعد، المضروب به المثل في السماحة والسخاء.

(١٠٦/١)

فإذا شبه شخص بحاتم في الجود، وأريد استعارته وجب أن يتأول في حاتم، فيجعل كأنه موضوع لذي الجود وهو "كما ترى" معنى كلي، فيصح حينئذ فردًا من أفراد "حاتم" ادعاء، فيقال مثلًا: رأيت اليوم "حاتمًا" ويراد محمد الكريم. وهكذا كل علم شخص اشتهر بنوع من الوصف صح جعله استعارة بهذا التأويل المتقدم كـ"مادر ١" المشتهر بالبخل و"قس٢" المشتهر بالفصاحة و"باقل٣" المشتهر بالعي والفهاهة.

ولا تصح الاستعارة في علم الشخص بغير تأويله بما يجعله كليًّا "كما عرفت" لأن معناه قبل التأويل جزئي لتشخصه وتعينه خارجًا، فتصوره يمنع من وقوع الاشتراك فيه "فزيد" مثلًا لا يصح جعله استعارة لشخص آخر بينه وبين زيد متشابهة، إذ هي تقتضي ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به "كما سبق" وهذا يقتضي عموم المشبه به و"زيد" المذكور لا عموم فيه، إذ لا يشمل غير مسماه الذي وضع له، اللهم إلا إذا عرف بوصف، واشتهر به فإنه حينئذ يصح جعله استعارة بتأويله كليًّا، باعتبار هذا الوصف كما سبق بيانه في "حاتم".

تقسيم الاستعارة باعتبار ذكر أحد الطرفين:

تنقسم بهذا الاعتبار قسمين: تصريحية، ومكنية، فإن كان المذكور هو المشبه به دون المشبه سميت الاستعارة تصريحية، وإن كان العكس سميت مكنية. وإذًا يكون:

---

١ هو رجل من بني هلال، قيل: سمي مادرًا؛ لأنه سقى إبلًا له من حوض، فلما شربت الإبل بقي في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه، ومدر الماء به أي: خلطه به بخلًا؛ مخافة أن يستقي من حوضه أحد.

٢ هو أحد خطباء العرب الأعلام في العصر الجاهلي.

٣ هو رجل من إياد، كان شديد العي في المنطق. اتفق أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما، فقيل له: بكم اشتريته؟ ففتح كفيه، وفرق بين أصابعه، وأخرج لسانه ليشير إلى العدد المذكور، فانفلت منه الظبي فضرب به المثل في العي والفهاهة.

الاستعارة التصريحية:

هي لفظ المشبه به المستعار للمشبه، كقولك: "زارني بحر في منزلي".

وإجراؤها أن يقال: شبهنا الجواد بالبحر في الإمداد، ثم تناسينا التشبيه، وادعينا: أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعرنا لفظ المشبه به وهو "بحر" للمشبه استعارة تصريحية، وسميت بذلك للتصريح فيها بلفظ

المشبه به "كما في المثال المذكور".

وهي باعتبار اللفظ المستعار قسمان: أصلية، وتبعية.

فالأصلية: ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس[1] حقيقة، أو تأويلًا.

فالأول "كأسد" من قولك: "رأيت أسدًا في منزلنا" تريد رجلًا جريئًا، وكالمصدر من نحو قولك: "هالني قتل عباس خصمه" تريد الضرب المبرح، فيشبه الضرب الأليم بالقتل في قسوة الألم، ثم يستعار لفظ "القتل" للضرب الأليم بعد تناسي التشبيه والادعاء السابقين. فالاستعارة في المثالين أصلية؛ لأن اللفظ المستعار فيهما اسم جنس حقيقة. فهو معنى كلي بذاته، صادق على كثيرين، غير أنه "في الأول" اسم ذات و"في الثاني" اسم معنى.

والثاني كالأعلام الشخصية المشتهرة بوصف "كمادر" من قولك: "رأيت اليوم مادرًا" تريد رجلًا بخيلًا، فيشبه الرجل البخيل "بمادر" في البخل، ثم يستعار لفظ "مادر" للرجل البخيل بعد التناسي والادعاء، فالاستعارة فيه أصلية أيضًا؛ لأن اللفظ المستعار فيه اسم جنس تأويلًا، وقد سبق لك بيان التأويل فيه.

وسميت أصلية؛ نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب، ولا شك أنها أكثر وجودًا في الكلام من التبعية الآتية بعد، أو نسبة إلى الأصل بمعنى الاستقلال وعدم التبعية لاستعارة أخرى، تعتبر أولا، كما سيأتي في التبعية.

والتبعية: ما كان اللفظ المستعار فيها فعلًا، أو اسمًا مشتقًّا، أو حرفًا. والأسماء المشتقة "كما علمت" في غير هذا الفن: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعل التفضيل، واسما الزمان والمكان، واسم الآلة، وما إلى ذلك من سائر المشتقات، وهاك أمثلتها على التوالي.

---

١ أي: اسما غير مشتق أي: معنى كليا يصدق على كثيرين "كأسد وقمر" في أسماء الذوات في "كالقتل والضرب" في أسماء المعاني.

الاستعارة في الفعل:

الفعل له مادة هي حروفه الدالة على الحدث، وله صيغة وهي الهيئة الدالة على الزمان كما في صيغتي الماضي والمضارع. والاستعارة في الفعل باعتبار مادته غيرها باعتبار صيغته، على ما سيأتي بيانه بعد.

فمثالها في الفعل من حيث مادته، قولك: نطقت الحال بكذا، فالنطق "كما هو معلوم" وصف للإنسان لا للحال، وإنما توصف الحال بالدلالة.

وتقريرها حينئذ أن يقال: شبهت الدلالة الواضحة بالنطق في إيضاح المعنى، ثم استعير لفظ "النطق" بعد التناسي والادعاء للدلالة الواضحة، فصار النطق بمعنى الدلالة الواضحة، ثم اشتق من النطق بهذا المعنى "نطقت" بمعنى "دلت" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. ومنه قوله تعالى: {وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فالإحياء وهو إيجاد الروح إنما يناسب الحيوان لا الأرض، والذي يناسب الأرض إنما هو "التزيين" فيشبه حينئذ "تزينها" بالنبات ذي الخضرة والنضرة "بالإحياء" في الحسن والنفع، ثم يستعار لفظ "الإحياء" بعد التناسي والادعاء للتزيين، ثم يشتق من الإحياء بمعنى التزيين "يحيي" بمعنى "يزين" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها في الفعل من حيث صيغته قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ} فمن المعلوم أن أمر الله لم يأت بعد وإنما سيأتي، بدليل قوله: {فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ} فكان سياق الكلام أن يقول: يأتي أمر الله، ولكنه عبر بصيغة الماضي تجوزا في التعبير مبالغة؛ لأن أمر الله آتٍ لا محالة.

وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي في تحقيق الوقوع، ثم استعير لفظ "الإتيان في الماضي" بعد التناسي والادعاء للإتيان

في المستقبل، ثم اشتق منه {أَتَى} بمعنى "يأتي" على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. ومثله قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} فمما لا شك فيه أن النداء المذكور إنما يكون في الدار الأخرى، فكان سياق الكلام أن يقول: وينادي أصحاب الجنة، لكنه عبر بصيغة الماضي تجوزًا.

وإجراء الاستعارة فيه على نحو ما سبق في {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} فيقال: شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي في تحقق الوقوع، ثم استعير "لفظ النداء في الماضي" بعد التناسي والادعاء للنداء في المستقبل، ثم اشتق منه "نادى" بمعنى ينادي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وكما تستعمل صيغة الماضي في المستقبل –كما مثلنا– تستعمل صيغة المضارع في الماضي كما في قوله تعالى: {إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ} فالرؤيا المذكورة وقعت "بالفعل" فكان سياق الكلام أن يقول: "إني رأيت" لكنه عبر بـ {أَرَى} تجوزًا في العبارة.

وتقرير الاستعارة فيها أن يقال: شبهت الرؤيا الماضية بالرؤيا الحاضرة في استحضار الصورة الغريبة، وهي صورة ذبح إبراهيم –عليه السلام– لابنه، ثم استعير لفظ الرؤيا في الحاضر للرؤيا في الماضي، ثم اشتق منه {أَرَى} بمعنى "رأيت" على سبيل الاستعارة التبعية، وعلى هذا يقاس.

ومثالها في "الصفة المشبهة" قولك: "إنما أصادق الأعمى عن العورات" فقد شبه غضّ البصر بالعمى في عدم الرؤية، ثم استعير لفظ "العمى" بعد التناسي والادعاء لغض البصر، ثم اشتق من العمى بمعنى غض البصر "أعمى" بمعنى غاضّ البصر، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثالها في "أفعل التفضيل" قول الشاعر:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحًا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق

شبهت الدلالة بالنطق على نحو ما سبق، ثم استعير النطق للدلالة، ثم اشتق من النطق بمعنى الدلالة "أنطق" بمعنى "أدل" على طريق الاستعارة التبعية.

ومثالها في اسمي الزمان والمكان قولك: "هذا مقتل فلان" مشيرًا إلى مكان ضربه، أو زمانه، فيشبه الضرب الشديد بالقتل على قياس ما سبق في اسمي الفاعل والمفعول، ثم يشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد "مقتل" اسم زمان أو مكان على سبيل الاستعارة التبعية. ومنه قوله تعالى: {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} ؟ فمما لا ريب فيه أن هذا السؤال منهم إنما يكون بعد البعث من القبور، فالمراد "بالمرقد" حينئذ موضع الموت أي: القبر، لا موضع الرقاد وهو النوم؛ فقد شبه الموت بالرقاد في عدم الحس أو عدم النفع، ثم استعير لفظ "الرقاد" بعد التناسي والادعاء للموت، ثم اشتق من الرقاد بمعنى الموت "مرقد" بمعنى مكان الموت، وهو القبر على سبيل الاستعارة التبعية. وإن قدر "المرقد" مصدرًا ميميًّا بمعنى "الرقاد" واستعير للموت كانت الاستعارة أصلية؛ لأن اللفظ المستعار حينئذ اسم جنس غير مشتق.

ومثالها في اسم الآلة قولك: "هذا مفتاح الملك" مشيرًا إلى أحد وزرائه.

وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت الوزارة١ بفتح الأبواب المغلقة في التوصل إلى المقصود، ثم استعير لفظ "الفتح" بعد التناسي والادعاء للوزارة، ثم اشتق من الفتح بمعنى الوزارة "مفتاح" بمعنى وزير على سبيل الاستعارة التبعية. وهكذا يقال في سائر المشتقات، ولا يعوزك القياس.

وسميت الاستعارة في الفعل والاسم المشتق تبعية؛ لجريانها فيهما تبعًا لجريانها في المصدر "كما رأيت". فتشبيه الدلالة في قولك: "نطقت الحال بكذا" يتبعه تشبيه "دل بنطق" واستعارة النطق للدلالة يتبعه كذلك استعارة "نطق لدل" لأن الفعل مشتق من المصدر، فكل تصريف يجري في المصدر يجري نظيره في الفعل تبعًا له، وهكذا سائر المشتقات.

---

١ مصدر بمعنى المؤازرة.

الاستعارة في الحرف:

مثاله قوله تعالى: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} .

اعلم أن لام العلة موضوعة لترتب ما بعدها على ما قبلها، ترتب العلة على المعلول، كما تقول: اشتريت هذا الكتاب لأقرأ فيه؛ فإن القراءة مترتبة على الاشتراء، وعلة باعثة عليه.

إذا علمت هذا، فاعلم أن "اللام" في الآية المذكورة مستعملة في غير ما وضعت له؛ لأن ما بعدها –وإن كان مترتبًا على ما قبلها– ليس علة باعثة عليه؛ ذلك أن آل فرعون لم يلتقطوا موسى –عليه السلام– ليكون لهم عدوًّا وحزنًا، وإنما التقطوه ليكون حبيبًا لهم وسرورًا، لكن لما كانت النتيجة المترتبة على التقاطهم هي العداوة والحزن لا المحبة والسرور، شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط في الواقع بالمحبة والسرور اللذين كانا ينبغي أن يترتبا عليه، ثم استعملت اللام فيه تجوزًا.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبه العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط بالعلة الحقيقية التي هي "المحبة والسرور" بجامع الترتب على الالتقاط في كل، فسرى هذا التشبيه إلى تشبيه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب العلة الحقيقية عليه بجامع مطلق ترتب شيء على شيء، ثم استعيرت "اللام" الموضوعة لترتب العلة الحقيقية على الالتقاط لترتب غير العلة الحقيقية عليه، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثله قوله تعالى: {لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} فلفظ {فِي} موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين، كما تقول: الماء في الكوز، فإن الماء مظروف في الكوز، والكوز ظرف له، وحينئذ فكلمة {فِي} في الآية مستعملة في غير ما وضعت

له؛ لأن ما بعدها لا يصلح أن يكون ظرفًا لما قبلها على الحقيقة، لكن لما كانت الجذوع متمكنة من المصلوبين تمكن الظرف من المظروف، شبهت الجذوع بالظرف الحقيقي في التمكن، ثم استعير لها لفظ {فِي} تجوزًا في التعبير.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت الجذوع المستعلى عليها بالظروف الحقيقية بجامع التمكن في كل، فسرى هذا التشبيه إلى تشبيه تلبس الجذوع بالمصلوبين بتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين بجامع مطلق تلبس شيء

بشيء، ثم استعيرت {فِي} الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين لتلبس الجذوع المستعلى عليها بالمستعلى، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثله قولهم: "محمود في نعمة" فلفظ "في" كما علمت موضوع لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين كما في المثال السابق، وحينئذ فلفظ "في" في المثال المذكور مستعمل في غير ما وضع له؛ لأن ما بعده لا يصلح للظرفية الحقيقية "كما ترى" لكن لما كانت النعمة متمكنة من "محمود" تمكن الظرف من المظروف، شبهت النعمة بالظرف الحقيقي واستعمل فيها لفظ "في" تجوزًا.

وتقرير الاستعارة فيه على نحو ما سبق، فتشبه النعمة بالظرف الحقيقي بجامع التمكن في كل، ثم يسري هذا التشبيه إلى تشبيه تلبس النعمة بمحمود بتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين، بجامع مطلق تلبس شيء بشيء، ثم تستعار "في" الموضوعة لتلبس الظرف بالمظروف الحقيقيين لتلبس النعمة بمحمود على سبيل الاستعارة التبعية، وهكذا يقال في أمثال ما ذكر.

وسميت الاستعارة في الحروف تبعية؛ لأنها تابعة لتشبيهين سابقين عليها "كما رأيت"، وهذا القدر كافٍ في تسميتها "تبعية".

تنبيه:

علمت مما سبق في استعارة الحرف أنه لا بد من تشبيهين يسبقانها، أحدهما في مدخول الحرف، والثاني في معناه. فالتشبيه في آية: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ} جرى

(١١٣/١)

أولًا في مدخول لام العلة، وهو "العداوة والحزن" في جانب المشبه و"المحبة والسرور" في جانب المشبه به، ثم جرى ثانيًا في معنى اللام وهو ترتب العلة على المعلول. والتشبيه في آية {لَأُصَلِّبَنَّكُمْ} جرى أولًا في مدخول الحرف وهو "الجذوع" في جانب المشبه "والظروف الحقيقية" في جانب المشبه به، ثم جرى ثانيًا في معنى الحرف وهو "تلبس الظرف بالمظروف". والتشبيه في المثال الأخير جرى أولًا في مجرور الحرف وهو "النعمة" في جانب المشبه، "والظرف الحقيقي" في جانب المشبه به، ثم جرى ثانيًا في معنى الحرف وهو تلبس الظرف بالمظروف، وعلى هذا يكون القياس ا. هـ.

(١١٤/١)

تقسيم آخر للاستعارة التصريحية:

تنقسم الاستعارة التصريحية إلى ثلاثة أقسام: مرشحة، ومجردة، ومطلقة. فالمرشحة: ما قرنت بما يلائم المستعار منه أي: المشبه به، كما في قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ} شبه إيثار الباطل على الحق، واختياره دونه بالاشتراء الذي هو استبدال مال بآخر، بجامع استبدال شيء مرغوب عنه بشيء مرغوب فيه. ثم استعير اسم المشبه به وهو "الاشتراء" بعد التناسي والادعاء للمشبه، وهو "الإيثار والاختيار" ثم اشتق من الاشتراء بمعنى الإيثار والاختيار {اشْتَرَوُا} بمعنى آثروا واختاروا استعارة تبعية، والقرينة حالية إذ لم يقع اشتراء حقيقي بين الضلالة والهدى، وقد قرنت بذكر "الربح والتجارة" اللذين هما من ملائمات الاشتراء الحقيقي، وكقولك: "رأيت أسدًا يخطب القوم، له لبد" فقد استعير "أسد" للرجل الجريء بقرينة يخطب القوم استعارة أصلية، وقد قرنت بقولك: "له لبد" وهو وصف خاص بالأسد؛ لأنه الشعر المتلبد على منكبيه. وسميت "مرشحة" لأن الترشيح معناه التقوية، وذكر ملائم المشبه به يبعدها عن الحقيقة ويقوي فيها دعوى الاتحاد التي هي مبنى الاستعارة.

والمجردة: ما قرنت بما يلائم المستعار له أي: "المشبه" كما تقول: "رأيت بحرًا

على فرس يعطي" فلفظ "بحر" مستعار للجواد بقرينة "على فرس" وقد قرنت بما يلائم المشبه، وهو قولك: "يعطي" وكقول البحتري:

يؤدون التحية من بعيد ... إلى قمر من الإيوان١ باد

فالقمر مستعار للإنسان الجميل بقرينة قوله: "يؤدون التحية من بعيد" وقوله: "من الإيوان باد" تجريد؛ لأنه من ملائمات الإنسان الذي هو المشبه.

وسميت "مجردة" لتجردها عما يقوي فيها دعوى الاتحاد، ذلك أن ذكر ملائم المشبه يدنيها من المعنى الحقيقي ويضعف فيها دعوى اتحاد الطرفين. وقد اجتمع الترشيح والتجريد في قول زهير بن أبي سلمى:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

فقوله: "شاكي السلاح" أي: تامه تجريد؛ لأنه من ملائمات المشبه وهو الرجل الشجاع، و"له لبد" ترشيح؛ لأنه من ملائمات المشبه به وهو "الأسد". وإما قوله: "مقذف" فإن أريد به "المقذوف باللحم" كناية عن الضخامة لم يكن تجريدًا ولا ترشيحًا؛ لملاءمته لكل منهما، وإن أريد به الذي يقذف بنفسه في المعارك، سواء أكان بآلة حرب أو بغيرها، فكذلك فإن كان القذف في المعارك بآلة حرب كان تجريدًا؛ لأنه يناسب الشجاع

من الرجال إذ هو الذي يحمل السلاح. وأما قوله: "أظفاره لم تقلم" فليس تجريدًا ولا ترشيحًا؛ لأنه كناية عن نفي الضعف فهو قدر مشترك بين الطرفين، وقرينة الاستعارة قوله: "لدى أسد" على تقدير: "أنا لدى أسد" فإن كانت القرينة حالية اعتبر هذا تجريدًا للملاءمته للمشبه. ومما اجتمع فيه الأمران: الترشيح والتجريد قول الشاعر:

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ... ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

---

١ اسم لبناء ضخم، ومنه إيوان كسرى.

شبه النظر بالسهم في شدة التأثير، واستعار السهم للنظر "وريشه" ترشيح؛ لأنه من ملائمات المشبه به من قولهم: راش السهم، إذا ألزق عليه الريش ليكون أحكم في الرماية، و"الكحل" تجريد؛ لأنه من ملائمات المشبه والقرينة حالية بهذا الاعتبار، فإن اعتبر "الكحل" قرينة كان قوله: "ريشه" ترشيحًا، واعتبرت الاستعارة مرشحة.

واعلم أن اعتبار الترشيح والتجريد إنما يكون بعد استيفاء الاستعارة قرينتها، فقولك: "رأيت بدرًا يضحك" استعارة لا ترشيح فيها ولا تجريد؛ لعدم اقترانها بما يلائم أحد الطرفين، وأما قوله: "يضحك" فهو قرينة الاستعارة فلا يعتبر تجريدًا، وإن كان من ملائمات المشبه؛ لأن التجريد أو الترشيح "كما قلنا" إنما يعتبر بعد تمام الاستعارة، وهي إنما تتم بالقرينة، ولو أن القرينة في هذا المثال حالية لكان قولك: "يضحك" تجريدًا؛ لأنه يلائم المشبه.

والمطلقة: ما لم تقترن بشيء من ملائمات أحد الطرفين، كقولك: "عطشي إلى لقائك شديد" شبه الشوق بالعطش بجامع ما يترتب على كل من التلهف، ثم استعير العطش للشوق، والقرينة قولك: "إلى لقائك" وكقولك: غرست الجميل فلم يثمر. شبه فعل الجميل بالغرس بجامع ما يترتب على كل من العائدة، ثم استعير الغرس لفعل الجميل، ثم اشتق منه غرس بمعنى فعل الجميل "على سبيل الاستعارة التبعية" والاستعارة في المثالين مطلقة لعدم اقترانها بشيء يلائم أحد الطرفين.

ومن قبيل الاستعارة المطلقة ما اجتمع فيه ترشيح وتجريد "كالبيتين السابقين"؛ لأنهما باجتماعهما يتعارضان فيتساقطان. فكأن لا ترشيح ولا تجريد، اللهم إلا إذا زاد أحدهما على الآخر فإنه حينئذ يرجح جانبه، وبناء عليه يكون قول "زهير" السابق: "لدى أسد شاكي السلاح" "البيت" من قبيل الاستعارة المجردة إن جعلت

القرينة حالية؛ لأن ملائمات المشبه حينئذ تكون أكثر من ملائمات المشبه به، كما أن قولك: "رأيت أسدًا على فرس منتفش اللبدة رهيب الزئير" من قبيل الاستعارة المرشحة على تقدير أن القرينة حالية؛ لأن ملائمات المشبه به أكثر، فهي بهذا الاسم أجدر، ورجح بعضهم جانب السابق لسبقه. وسميت مطلقة لإطلاقها عن التقييد بما يلائم أحد الطرفين.

(١١٦/١)

موازنة بين الاستعارات الثلاث:

الاستعارة المرشحة "كما قلنا": ما ذكر فيها ملائم المشبه به، وهذا مما يزيد الاستعارة قوة، ذلك أن مبنى الاستعارة "كما علمت" على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به، لا شيء سواه، والترشيح الذي هو ذكر ملائم المشبه به إمعان في هذا التناسي وغلو في دعوى الاتحاد، وكأن ليس هناك استعارة حتى إنك لتجد الشاعر أو الناثر يمعن في إنكارها، ويخيل للسامع أن الأمر محمول على حقيقته، لا تجوز فيه. ألا ترى إلى قول أبي تمام:

ويصعد حتى يظن الجهول ... بأن له حاجة في السماء

فقد استعار لفظ "الصعود" وهو العلو الحسي المكاني لعلو المرتبة، ثم بنى كلامه على أنه صعود حسي حقيقة فذكر ما يلائمه من ظن الجهول أن له حاجة في السماء. وإذا كان هذا شأن المرشحة كانت جديرة أن تحل المكان الأول بين أختيها. ويلي المرشحة في القوة الاستعارة المطلقة، إذ هي "كما عرفت" ما لم يذكر معها شيء يلائم أحد الطرفين فهي –وإن خلت مما يقوي تناسي التشبيه، ويدعم دعوى الاتحاد من ذكر ما يلائم المشبه به– ليس فيها ما ينافيها من ذكر ملائم المشبه، وإذا كان هذا حالها كانت خليقة أن تحتل مكانًا وسطًا بين المرشحة والمجردة، ومن هنا يبدو لك واضحًا أن الاستعارة المجردة في المرتبة الدنيا لاشتمالها على ما يلائم المشبه؛ إذ هو يتعارض مع ما تقتضيه الاستعارة من تناسي التشبيه، ودعوى الاتحاد قضاء لحق المبالغة.

(١١٧/١)

قرينة الاستعارة التصريحية:

القرينة هي –كما سبق– الأمر الذي يجعله المتكلم دليلًا على أنه أراد باللفظ غير معناه الأصلي، وهي أيضًا لفظية، وغير لفظية.

فاللفظية: لفظ يلائم المشبه يذكر في الكلام؛ ليصرفه عن إرادة معناه الأصلي. مثال ذلك "في الأصلية" قولك: "كلمني بحر" فبحر مستعار للرجل العالم أو الكريم "استعارة أصلية" وقرينتها لفظ "كلمني"؛ لأن البحر الحقيقي لا يتكلم. ومثالها "في التبعية" قولك: "قتل علي خصمه بحادّ لسانه" استعار القتل للإيذاء الشديد بجامع الألم الأليم، ثم اشتق من القتل بمعنى الإيذاء الشديد "قتل" بمعنى آذى إيذاء شديدًا، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة قولك: "بحاد لسانه" إذ ليس اللسان أداة قتل، وكل من القرينتين ملائم للمشبه "كما رأيت".

وغير اللفظية: أمر خارج من اللفظ، يصرف الكلام عن إرادة معناه الحقيقي كدلالة الحال، أو استحالة المعنى. فمثال ما قرينته حالية: "أرى قمرًا" والسامع يرى فتاة حسناء مقبلة "فالقمر" مستعار للفتاة الجميلة "استعارة أصلية" وقرينتها دلالة الحال.

ومثال ما قرينته الاستحالة قوله تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} شبه كثرة الماء كثرة جاوزت الحد بالطغيان بجامع تجاوز الحد في كلٍّ. ثم استعير الطغيان للكثرة، واشتق منه "طغى" بمعنى كثر حتى جاوز الحد "استعارة تبعية" والقرينة استحالة صدور الطغيان من الماء، إذ هو من شأن الإنسان، وكقول الشاعر:

جمع الحق لنا في إمام ... قتل البخل وأحيا السماحا

استعير القتل للمحو والإزالة، واستعير الإحياء للإكثار. ثم اشتق من القتل "قتل" بمعنى أزال، ومن الإحياء "أحيا" بمعنى أكثر، على سبيل الاستعارة التبعية، والقرينة استحالة وقوع القتل على البخل والإحياء على السماح.

والقرينة إما أمر واحد أو متعدد. فالأول كما في قولنا: "رأيت بين الناس أسدًا" استعير لفظ "أسد" للرجل الجريء، والقرينة أمر واحد هو قولنا:

"بين الناس" لأن الأسد الحقيقي لا يرى بينهم؛ إذ هو حيوان غير مستأنس، وكقولهم: نطقت الحال بكذا فهو استعارة تبعية، قرينتها شيء واحد كذلك هو استحالة قيام النطق بالحال، والثاني كقول الشاعر:

فإن تعافوا العدل والإيمانا ... فإن في أيماننا نيرانا١

يقول: إن كرهتم الإنصاف، وإقرار الأمور في نصابها، وأبيتم التصديق بما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم– قهرناكم عليها بما في أيدينا من سيوف تلمع كمشعل النيران، استعير لفظ "النيران" للسيوف "استعارة أصلية" والقرينة على أن المراد بالنيران السيوف هي كل من "العدل والإيمان" باعتبار تعلق العيافة أي: الكراهة بهما،

ووجه كون ذلك قرينة على أن المراد "السيوف" هو أن الذي يدعو إلى العدل والإيمان آخذ بالشريعة، وهي إنما تحمل من يخالف على الطاعة بحدّ السيف لا بالإحراق، وكقولهم:

رويدك، قد طغى حبي ودمعي ... وبات القلب يحترق اشتياقا

استعير الطغيان للكثرة "كما تقدم" استعارة تبعية، والقرينة هي كل من الحب والدمع، باعتبار تعلق الطغيان بهما تعلق استحالة.

وقد تكون القرينة معاني ملتئمة، أي: مرتبطًا بعضها ببعض، بحيث يكون المجموع قرينة، لا كل واحد منها كما في قول البحتري:

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على أرؤس الأقران خمس سحائب[2]

شبه أنامل يد الممدوح بالسحائب في عموم العطايا، ثم استعار لفظ "السحائب" لأنامل يده، وجعل القرينة على الاستعارة مجموع أشياء؛ فذكر أن هناك صاعقة، وأنها ساقطة من حد سيفه، منقلبة على رءوس الأقران، ثم ذكر عدد أصابع اليد،

---

١ "تعافوا" من عاف الشيء يعافه، إذا كرهه ومجّه، "الإيمان" الأول بكسر الهمزة: التصديق، والأيمان الثاني بفتح الهمزة: جمع يمين، والمراد اليد اليمنى.

٢ الصاعقة في الأصل: نار سماوية تهلك من تصيبه، والنصل: حد السيف، وتنكفي: تنقلب، والأقران جمع قرن بكسر القاف وهو المماثل والنظير.

وهو "خمس" فاتضح من مجموع ذلك كله أنه أراد بالسحائب أصابع اليد؛ لما بينها وبين السحائب من جامع النفع، وعموم العطاء.

قد يقال: إن قوله: "وصاعقة من نصله" كافٍ في الدلالة على الاستعارة، وكذا قوله: "على أرؤس الأقران"، وكذلك تحديد العدد بالخمس، فالقرينة إذًا متعددة وليست معاني ملتئمة متضامنة كما قيل، ويجاب بأن الاستعارة لا يكتمل وضوحها إلا بهذه الأمور مجتمعة. وقد يجاب بأن المراد بالتئام المعاني ارتباطها، لا على وجه العطف المؤذن بالاستقلال.

تنبيه:

ما تقدم من أن القرينة قد تكون أكثر من أمر واحد كما في قول الشاعر المتقدم: "وإن تعافوا العدل" "البيت"

مبني على جواز تعدد القرينة، وهذا هو الرأي الأغلب؛ إذ لا مانع من اعتبار كل واحد قرينة على حدة.
وقال بعضهم: لا يجوز القرينة؛ لأن الصرف عن إرادة المعنى الحقيقي، إن كان بمجموع الأمور المذكورة، فالقرينة هي تلك الأمور مجتمعة، لا كل واحد منها، وإن كان أحدها كافيًا في الصرف على المعنى الأصلي، فلا حاجة لما عداه، فيعتبر تجريدًا؛ لأنه في التصريحية من ملائمات المشبه.

(١٢٠/١)

الاستعارة المكنية:

هي في اصطلاح جمهور البيانيين: لفظ المشبه به المستعار في النفس للمشبه، والمحذوف المدلول عليه بذكر لازمه كقول أبي ذؤيب الهذلي١:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع٢

---

١ اسمه خويلد بن خالد، أحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية.
٢ "أنشبت": علقت و"ألفيت": وجدت و"التميمة": خرزة تجعل معاذة، تعلق بعنق الصبيان؛ صونًا لهم عن العين أو الجن على زعمهم.

(١٢٠/١)

يقول الشاعر: إذا حان الأجل عجزت عنده الحيل، ولا مرد لقضاء الله.
وإجراؤها أن يقال: شبهت المنية بالأسد في اغتيال النفوس، ثم استعير في النفس لفظ الأسد "للمنية" بعد تناسي التشبيه، وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ثم قدر حذفه، ودل عليه بذكر لازمه وهو "الأظفار" على سبيل الاستعارة المكنية، وكقول الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

يقول: إذا حاطك الله بعنايته، وكلأك بعين رعايته كنت بمأمن من كل سوء، وفي حصانة من كل شر.
وإجراؤها بالقياس على ما تقدم أن يقال: شبهت العناية بإنسان في الانتفاع، ثم استعير في النفس لفظ "إنسان" للعناية بعد التناسي والادعاء المعروفين، ثم قدر حذفه، ودل عليه بذكر لازمه وهو "العيون" على سبيل الاستعارة المكنية، وكقول الشاعر المتقدم:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحًا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق

والاستعارة في لفظ "حالي" شبه الحال بإنسان ناطق في الدلالة على المقصود، ثم استعير في النفس لفظ "إنسان" للحال، بعد التناسي والادعاء، ثم دل عليه بعد تقدير حذفه بذكر لازمه، وهو "اللسان" على سبيل الاستعارة المكنية.

ففي هذه الأمثلة الثلاثة حذف لفظ المشبه به، وكني عن مدلوله بذكر لازمه، ثم أثبت هذا اللازم للمشبه المذكور، وكل ما كان من هذا القبيل ففيه استعارة مكنية.

"ففي المثال الأول" حذف لفظ المشبه به وهو "الأسد" وبقي المشبه وهو "المنية" وكني عن المشبه به بذكر لازمه وهو "الأظفار" ثم أثبت هذا اللازم للمنية، فقيل: "أظفارها".

"وفي المثال الثاني" حذف لفظ المشبه به، وهو "الإنسان وبقي المشبه" وهو

"العناية" وكني عن المشبه به بذكر لازمه وهو "العيون" ثم أثبت هذا اللازم للعناية فقيل: "عيونها".

"وفي المثال الثالث" حذف المشبه به وهو "الإنسان" وبقي المشبه وهو "الحال" وكني عن المشبه به بذكر لازمه وهو "اللسان". ثم أثبت هذا اللازم "للمشبه" فقيل: "لسان حالي". وهكذا، فالمذكور في المكنية من الطرفين هو المشبه دائمًا "عكس الاستعارة التصريحية".

والدليل على التشبيه حينئذ إثبات ذلك اللازم؛ لأن إثبات لازم الشيء لغيره إنما يدل على أن ذلك الغير مشبه بذلك الشيء، ومنزل منزلته، وإلا ما أثبت له لازمه وسميت الاستعارة المذكورة "مكنية" لأنه كني فيها عن المشبه به بذكر لازمه "كما عرفت".

تنبيه:

ينبغي أن يعلم أن اللازم المراد إثباته للمشبه يجب أن يكون به كمال وجه الشبه في المشبه به، أو أن يكون به قوامه ووجوده. فالأول كما في بيت الهذلي، فإن وجه الشبه فيه بين الأسد والمنية هو "الاغتيال" والاغتيال في الأسد يحصل بشيء آخر غير الأظفار "كأنياب" لكنه بالأظفار يكمل ويتم. الثاني كما في قول الشاعر الآخر: "فلسان حالي بالشكاية أنطق" فإن وجه الشبه بين الإنسان والحال هو "الدلالة" وهي لا تتحقق بدون إنسان ا. هـ.

قرينة المكنية:

هي إثبات لازم المشبه به المحذوف للمشبه المذكور، كإثبات الأظفار "للمنية" في بيت الهذلي المتقدم، فإن إثباتها لها قرينة على أنها مشبهة بما له أظفار "كالأسد"، وأن لفظ "الأسد" مستعار في النفس للمنية.

وإثبات هذا اللازم يسمى عندهم "استعارة تخييلية"، أما أنه استعارة فلأن اللازم المذكور –وهو الأمر المختص بالمشبه به– قد استعير "للمشبه" واستعمل معه، وأما أن الاستعارة تخييلية، فلأن ذلك اللازم لما نقل واستعمل مع المشبه خيل للسامع أن المشبه من جنس المشبه به، ومن هنا يتبين لك أمران:

(١٢٢/١)

الأول: أن قرينة المكنية استعارة تخييلية دائمًا، وأنهما متلازمان فلا توجد إحداهما بدون الأخرى؛ لأن المكنية لا بد لها من قرينة، وقرينة المكنية لا تكون إلا تخييلية "كما عرفت".

الثاني: أن طرفي الاستعارة التخييلية مستعملان في المعنى الحقيقي لهما "فالأظفار والمنية" كلاهما مستعمل في المعنى الموضوع له، والتجوز إنما هو في إثبات الأظفار للمنية، إذ إن المنية لا أظفار لها، فهو إثبات الشيء لغير ما هو له كما في إثبات الإنبات للربيع في نحو: أنبت الربيع الزرع، إذا صدر من الموحد فإن كلا من الإنبات والربيع مستعمل في حقيقته، والتجوز إنما هو في إثبات الإنبات للربيع[١].

---

١ تنقسم المكنية كالتصريحية إلى أصلية وتبعية، وإلى مرشحة ومجردة ومطلقة. فالأصلية كاستعارة اسم الجنس في نحو قول الشاعر: "وإذا العناية لاحظتك عيونها" فالمستعار هنا لفظ "إنسان" المحذوف وهو اسم جنس.

والمكنية التبعية كاستعارة اسم المشتق في قولك: يعجبني إراقة الضارب دم الباغي، وإجراؤها أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع الإيذاء الشديد، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل "قاتل" بمعنى ضارب ضربًا شديدًا، ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو "الإراقة" والقرينة إثبات الإراقة للضارب. والمكنية المرشحة نحو: شم علي رائحة العلم، شبه العلم بالمسك وحذف المشبه به ودل عليه بلازمه وهو "الرائحة" والقرينة إثبات الرائحة للعلم، وقوله: "شم" ترشيح للاستعارة؛ لأنه من ملائمات المسك. والمكنية المجردة كقول الشاعر:

نقريهم لهذميات نقد بها ... ما كان خاط عليهم كل زراد

"اللهذميات" جمع: لهذم كجعفر القاطع من الأسنة و"القد": القطع، و"الزراد": ناسج الزرد بفتح الراء، وهو

الدرع من الحديد، شبه اللهذميات بما يقدم للضيوف من الطعام، ثم حذف المشبه به ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو قوله: "نقريهم" فإن "القرى" تقديم الطعام وهو من ملائمات المشبه به، والقرينة إثبات القرى للهذميات، وقوله: "نقد" تجريد للاستعارة؛ لأنه من ملائمات المشبه. والمكنية المطلقة كما في قولهم: نطقت الحال بكذا، استعير الإنسان للحال ثم حذف ودل عليه "بنطق" والقرينة إثبات النطق لها.

(١٢٣/١)

تمرين:

١- عرف المجاز العقلي، ومثل له بمثالين من عندك أحدهما لإسناد الفعل، والآخر لإسناد ما هو بمعنى الفعل.

٢- بين علاقة المجاز العقلي في مثال من إنشائك، مع بيان القرينة.

٣- عرف قرينة المجاز العقلي، ثم ائت بمثال تكون قرينة المجاز العقلي فيه معنوية، وبآخر تكون القرينة فيه لفظية.

٤- عرف المجاز المفرد، وبين محترزات التعريف، ثم ائت له من إنشائك بمثالين مختلفي العلاقة.

٥- بين علاقة المجاز المفرد، ثم قسمه باعتبارها، عرف كل قسم، ثم أجر الاستعارة في قولك: لقيني قمر أمس، وبين أركانها فيه.

٦- اذكر ما يجب توفره من الشروط لتحقيق الاستعارة، وهل قولهم: رأيت بين برديه القمر من قبيل الاستعارة، مع ما تراه فيه من الجمع بين الطرفين، وهو ممتنع فيها؟ وجه ما تقول.

٧- لم اشترط في الاستعارة أن يكون المستعار منه كليًّا عامًّا؟ وكيف صحت في مثل "حاتم وباقل" مع تشخيصهما المانع من العموم مما وضح ذلك وضوحًا تامًّا؟

٨- قسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار، ثم ائت لكل قسم بمثال، وأجر الاستعارة فيه، ثم بين نوع الاستعارة وأجرها في قولنا: نحن في أمن، ودعة.

٩- قسم الاستعارة باعتبار ذكر الملائم وعدم ذكره، وعرف كل قسم مع التمثيل، ومن أي نوع قول القائل: بهربي در لم يثقب؟

١٠- أي الاستعارات أبلغ: المرشحة، أم المجردة، أم المطلقة؟ وما وجه الأبلغية؟ مثل لكل ما تقول، مع التوجيه.

(١٢٤/١)

١١- بين الاستعارة وقرينتها في قول الشاعر:

فإن تعافوا العدل والإيمانا ... فإن في أيماننا نيرانا

١٢- عرف الاستعارة المكنية، ومثل لها، مع إشرائها فيما تمثل به، وبين علة تسميتها "مكنية" ثم أجرها في قولك: عين الرعاية تلحظك.

١٣- يقولون: إن قرينة المكنية استعارة تخييلية، وإنهما متلازمان بين علة هذه التسمية، وسبب هذا التلازم.

١٤- بين في التشبيهات الآتية وجه الشبه، ثم حَوِّل كلا منها إلى استعارة تصريحية، مبينًا قرينتها:

١- فوق الأغصان بلابل تغرد كأنها القيان.

٢- النجوم في السماء كالدر المنثور.

٣-

قوم إذا نهضوا لنجدة صارخ ... وكبوا الجياد كأنهن رياح

٤-

وإن صخرًا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

٥-

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

١٥- بين في الاستعارات الآتية الجامع بين الطرفين، ثم حول كلا منها إلى تشبيه:

١- {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} .

٢- {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} .

٣- ما أروع النجم منثورًا على الأغصان.

٤- ما أجمل الخدود تختال على سيقانها.

٥- يابن الكواكب من أئمة هاشم.

٦- أخذت العلم عن بحر لا ساحل له.

٧-

بكت لؤلؤًا رطبًا ففاضت مدامعي عقيقًا١ ... فصار الكل في نحرها عقدا

١٦- بين نوع الاستعارة وقرينتها والجامع فيما يأتي:

١-

تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نئوم

٢-

ومن لم يعشق الدنيا قليل ... ولكن لا سبيل إلى الوصال

٣-

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجر أذيالها

---

١ معدن كريم أحمر اللون.

٤-

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

٥-

وإذا تباع كريمة أو تشترى ... فسواك بائعها وأنت المشتري

٦-

من كان مرعى عزمه وهمومه ... روض الأماني لم يزل مهزولا

٧-

عضنا الدهر بنابه ... ليت ما حل بنا به

٨-

بكت لؤلؤًا رطبًا ففاضت مدامعي ... عقيقًا فصار الكل في نحرها عقدا

٩-

أنفقت عمري في رضاك وليتني ... أعطي وصولًا١ بالذي منفق

الجواب على سؤال ١٤:

١- وجه الشبه حسن النغم، والاستعارة فيه أن يقال: فوق الأغصان قيان تغنين، والقرينة قوله: فوق الأغصان.

٢- وجه الشبه التألق، والاستعارة فيه أن يقال: في السماء الدر المنثور، والقرينة قوله: "في السماء".

٣- وجه الشبه السرعة، والاستعارة فيه أن يقال: ركبوا الرياح، والقرينة قوله: "ركبوا".

٤- وجه الشبه الوضوح والهداية، والاستعارة فيه أن يقال: راعني علم في رأسه نار، والقرينة حالية.

٥- وجه الشبه الهيئة الحاصلة من ظهور أجرام مشرقة، مستطيلة، متناسبة المقادير، متحركة بسرعة إلى جهات مختلفة، في جوانب شيء مظلم، والاستعارة فيه أن يقال: هالني ليل تهاوى كواكبه، والقرينة حالية.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه:

كأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض ... على الماء خانته فروج الأصابع

له خال على صفحات خد ... كنقطة عنبر في صحن مرمر

---

١ جمع وصل، وهو صك يؤخذ على المدين استيثاقًا.

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

وإذا أشار محدثًا فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

الجواب على السؤال ١٥:

١- الجامع بين الطرفين: أن كلا موصل إلى المطلوب، والتشبيه فيهما أن يقال: أهدنا دينًا قويمًا كالصراط المستقيم.

٢- الجامع بين الطرفين في الأول عدم الاهتداء، والتشبيه فيهما أن يقال: ليخرج الناس من الضلال الذي كالظلمات، والجامع بينهما في الثاني الهداية، والتشبيه فيهما أن يقال: إلى الإيمان الذي كالنور.

٣- الجامع بين الطرفين التألق والحسن، والتشبيه فيهما أن يقال: ما أروع الزهر منثورًا على الأغصان كالنجم.

٤- الجامع بين الطرفين الحمرة، والتشبيه فيهما أن يقال: ما أجمل الوردة تتوهج كخدود الملاح.

٥- الجامع بين الطرفين الرفعة والهداية، والتشبيه فيهما أن يقال: يابن الأئمة الذين هم كالكواكب.

٦- الجامع بينهما الإمداد والاتساع، والتشبيه فيهما أن يقال: أخذت العلم عن عالم أو كريم كالبحر، لا ساحل له.

٧- الجامع بينهما التألق والصفاء، والتشبيه فيهما أن يقال: بكت دمعًا كاللؤلؤ.

تمرين يجاب عليه قياسًا على ما سبق:

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على أرؤس الأقران خمس سحائب

فأمطرت لؤلؤًا من نرجس وسقت ... وردًا وعضت على العناب بالبرد

رأيت شمسًا "تريد إنسانًا مشرق الوجه" ونزلت على حاتم "تريد سمحًا جوادًا" رمتني بسهم ريشه الكحل. لدى أسد شاكي السلاح.

(١٢٧/١)

الجواب على السؤال ١٦:

١- في "تنام" استعارة تصريحية تبعية مرشحة؛ شبه التغافل بالنوم، والجامع عدم النفع، واستعير النوم للتغافل، واشتق منه "تنام" بمعنى تتغافل.

وفي "المنايا" استعارة مكنية أصلية، شبهت المنايا بالعدو، والجامع الكراهة والأذى، واستعير العدو للمنايا ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو "نفي النوم عنه" والقرينة إثبات هذا الفعل منفيًّا للمنايا. وقوله: "تنبه يا نئوم" ترشيح للاستعارة الأولى.

٢- في "يعشق" استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه الاشتغال بالدنيا بالعشق، والجامع التعلق والاهتمام في كل، واستعير العشق للاشتغال واشتق منه يعشق بمعنى يشتغل. ويصح أن يكون في لفظ "الدنيا" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبهت الدنيا بامرأة جميلة، والجامع الأخذ بمجامع القلوب ثم استعيرت المرأة للدنيا وحذفت ودل عليها بلازمها وهو "يعشق" والقرينة إثبات العشق الذي هو من ملائمات المرأة للدنيا، وقوله: "ولا سبيل إلى الوصال" ترشيح للاستعارتين.

٣- في "الخلافة" استعارة مكنية أصلية مرشحة شبهت الخلافة بامرأة حسناء، والجامع ميل النفس في كل، ثم استعيرت المرأة للخلافة وحذفت ودل عليها بذكر لازمها وهو "أتته" والقرينة إثبات الإتيان للخلافة وقوله: "منقادة" وتجرر أذيالها ترشيح.

٤- في "امتحن" استعارة تصريحية تبعية، شبه الاشتغال بالدنيا بالامتحان والجامع حصول التعب في كل، ثم استعير "الامتحان" للاشتغال واشتق منه "امتحن" بمعنى اشتغل، والقرينة استحالة وقوع الامتحان "بالمعنى المعروف" على الدنيا. ويصح أن يكون في لفظ "الدنيا" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبهت الدنيا بإنسان مخادع، والجامع عدم الثبات على حال، ثم استعير الإنسان للدنيا ثم حذف ورمز له بلازمه، وهو قوله: "امتحن" والقرينة إثبات الامتحان

(١٢٨/١)

الذي هو من ملائمات المشبه به للدنيا، وقوله: "تكشفت له عن عدو ... " إلخ ترشيح.

٥- في "تباع" أو "تشترى" استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه الاستبدال بالبيع أو الاشتراء، ثم استعير البيع أو الاشتراء للاستبدال، ثم اشتق منهما "تباع أو تشترى" بمعنى تستبدل. ويصح أن يكون في لفظ "كريمة" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبهت الخلة الكريمة بجوهرة، والجامع الحسن في كل ثم استعيرت الجوهرة للخلة الكريمة وحذفت ودل عليها بذكر لازمها وهو "البيع أو الاشتراء" والقرينة إثبات البيع أو الاشتراء اللذين هما من ملائمات الجواهر للخلة الكريمة، وقوله: "فسواك بائعها وأنت المشتري" ترشيح للاستعارة.

٦- في كل من "العزم والهموم" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شُبه كل منهما بماشية، والجامع قبول الانقياد ثم استعير لفظ "الماشية" لكل من العزم والهموم، ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو قوله: "مرعى" والقرينة إثبات المرعى للعزم والهموم، وقوله "لم يزل مهزولا" ترشيح لملاءمته للمشبه به وهو الماشية.

٧- في "عضنا" استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه إيلام حوادث الدهر بالعض، والجامع التأثير في كل، واستعير العض للإيلام، واشتق منه "عض" بمعنى آلم، والقرينة استحالة قيام العض بالزمان. ويصح أن يكون في لفظ "الدهر" استعارة مكنية أصلية مرشحة، شبه الدهر بحيوان مفترس، والجامع الأذى في كل، واستعير الحيوان للدهر، وحذف ودل عليه بلازمه وهو "العض" والقرينة إثبات العض الذي هو من ملائمات الحيوان للدهر، ولفظ "الناب" ترشيح للاستعارتين.

٨- في "اللؤلؤ" استعارة تصريحية أصلية مرشحة، شبه الدمع باللؤلؤ، والجامع الصفاء والتألق في كل ثم استعير اللؤلؤ للدمع، والقرينة قوله: "بكت" وقوله: "في نحرها عقدا" ترشيح لأنه يناسب المشبه به.

٩- في "أنفق" استعارة تصريحية تبعية مرشحة، شبه إفناء العمر بإنفاق المال

والجامع التصرف في كل، ثم استعير الإنفاق للإفناء واشتق منه "أنفق" بمعنى أفنى، والقرينة استحالة وقوع الإنفاق بالمعنى المعروف على العمر. ويصح أن يكون في لفظ "العمر" استعارة مكنية أصلية مرشحة شبه "العمر" بالمال، والجامع الانتفاع في كل، واستعير المال للعمر ثم حذف ودل عليه بلازمه وهو "أنفق" والقرينة إثبات الإنفاق الذي هو من ملائمات المال للعمر، وكل من "وصولا ومنفق" ترشيح للاستعارتين.

تمرين على هذا السؤال يطلب جوابه:

بين نوع الاستعارة وقرينتها والجامع فيما يأتي:

أصون عرضي بمالي، لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال

إذا المرء لم يبن افتخارًا لنفسه ... تضايق عنه ما بنته جدوده

ازرع جميلًا ولو في غير موضعه ... فلا يضيع جميل أينما زرعا

سقاه الردى سيف إذا سل أو مضت ... إليه ثنايا الموت من كل مرقب

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجذع ثاقبه

وما الموت بين الناس إلا مهند ... بكف المنايا والنفوس له غمد

لقد نبتت في القلب منك محبة ... كما نبتت في الراحتين الأصابع

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

إذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

يابن النجوم الغر من آل هاشم. رشفت الأدب من بحر لا يسبر غوره١. اكفهر٢ وجه السماء.. {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} . أنت في رغد٣ من العيش. الهجر أقتل لي مما أراقبه. إذا غرست جميلًا فاسقه غدقًا٤. رأيت بالمسجد بحرًا يعظ الناس. {يَنْقُضُونَ ١ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} . محمد قتل الإجرام، وأحيا السلام.

---

١ "السبر" امتحان عمق الشيء، و"الغور": القعر، والمعنى: لا يدرك عمقه.

٢ اغبر وتغير.

٣ في سعة وبسط.

٤ الغدق: الماء الكثير.

فصل في شرائط حسن الاستعارة:

تحسن الاستعارة في اعتبار البلغاء إذا توفرت الآتية بعد:

١- أن تراعى جهات حسن التشبيه؛ لأنها مبنية عليه فهي تابعة له في الحسن والقبح، فإن حسن حسنت، وإن قبح قبحت.

فمن جهات حسن التشبيه:

أن يكون وافيًا بالغرض منه، فإن كان الغرض منه -مثلًا- تزيين المشبه "كوجه أسود"، فشبه بمقلة الظبي ذات

السواد الجميل، ثم استعير له لفظها، فقيل: "رأيت مقلة ظبي"، وأريد ذلك الوجه الأسود حسنت الاستعارة لوفاء التشبيه بالغرض. فإذا شبه الوجه المذكور بالفحم لإفادة هذا الغرض ثم استعير له لفظه، فقيل: رأيت قطعة فحم، وأريد الوجه الأسود لم تحسن الاستعارة لعدم حسن التشبيه، إذ لم يف بالغرض المطلوب. وإن كان الغرض منه تشويه وجه أسود عليه آثار الجدري، فشبهه بحمأة[2] يابسة قد نقرتها الديكة، ثم استعير له لفظها، فقيل: رأيت حمأة منقورة، وأريد الوجه الأسود المجدور، حسنت الاستعارة لوفاء التشبيه بالغرض منه، ولو شبه الوجه المذكور لإفادة هذا الغرض بقطعة منقبة من معدن كريم أسود اللون، ثم استعير له لفظها فات الحسن.

وهكذا يقال في سائر أغراض التشبيه السابقة.

ومن جهات حسن التشبيه:

أن يكون وجه الشبه غير مبتذل بأن يكون غريبًا لطيفًا؛ لكثرة التفصيل فيه مثلًا كما سبق في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل، إذ قد اعتبر في الوجه: الاستدارة، والإشراق، والتموج، والحركة السريعة المتصلة، فإذا استعير لفظ "المرآة في كف الأشل" للشمس فقيل: رأيت مرآة في كف

---

١ نقض البناء: أزال لبناته، ونقض الحبل: فك طاقاته.

٢ الحمأة: الطين الأسود.

أشل" مرادًا به "الشمس" لقرينة حالية، حسنت الاستعارة لحسن التشبيه لما فيه من الدقة بكثرة الاعتبارات. فإذا كان وجه الشبه مبتذلًا كما في استعارة "الأسد" للرجل الجريء فات الحسن.

ويستثنى من جهات حسن التشبيه شيء واحد تحسن فيه الاستعارة، ولا يحسن التشبيه، وهو أن يقوى الشبه بين الطرفين جدا حتى يخيل لك أنهما متحدان كالشبه بين العلم والنور، أو بين الشبهة والظلمة، ففي مثل هذا تحسن الاستعارة، فتقول: في قلبي نور أي: علم، ولا يحسن التشبيه، فلا تقول: في قلبي علم كالنور كما يحسن أن تقول: في قلبي ظلمة أي: شبهة، ولا يحسن أن تقول: في قلبي شبهة كالظلمة.

وإنما قبح التشبيه في مثل هذا لقوة الشبه بين الطرفين حتى كأنهما شيء واحد، فإجراء التشبيه بينهما بمثابة تشبيه الشيء بنفسه، وحسنت فيه الاستعارة لاختفاء شبح التشبيه فيها لفظًا.

٢- أن يزداد بعدها عن الحقيقة بالترشيح؛ ولذلك كانت المرشحة أكثر قبولًا في ذوق البلغاء من أختيها: المجردة، والمطلقة.

٣- ألا يكون وجه الشبه خفيًّا جدًّا، فلا تحسن استعارة لفظ "أسد" للرجل الأبخر، وهو ذو الفم المنتن؛ لخفاء وجه الشبه، إذ إن انتقال الذهن من معنى الأسد إلى الرجل إنما يكون باعتبار المعنى المشهور في الأسد وهو "الجرأة" لا "البخر"، فاستعارة لفظ "الأسد" للأبخر حينئذ يعد إلغازًا وتعمية في المراد.

٤- ألا يشتم فيها رائحة التشبيه لفظًا، بألا يذكر في الكلام لفظ يدل على المشبه كما في قولنا: زارني قمر في منزلي، فليس في العبارة لفظ دال على المشبه. أما الاستعارة في قول الشاعر المتقدم:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

فقليلة الحسن لما فيها من إشمام رائحة التشبيه، بسبب ذكر لفظ دال على المشبه، وهو الضمير في قوله "غلالته" أو في "زر أزراره" وهذا يتنافى مع ما ترمي إليه

(١٣٢/١)

الاستعارة. بيان ذلك: أن الغرض من الاستعارة على ما تقدم: إظهار المبالغة في التشبيه بادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به، ومقتضى هذا: أن يستويا في وجه الشبه، وإشمام رائحة التشبيه بما ذكرنا يلفت الذهن إلى ما هو معلوم في أصل التشبيه من أن المشبه به أقوى في وجه الشبه من المشبه، وهذا يتعارض مع ما تقتضيه الاستعارة من دعوى التساوي بين الطرفين، وتناسي التشبيه فيهما.

هذا وحسن الاستعارة التخييلية تابع لحسن المكنية؛ لأنها تابعة لها في الوجود، فينبغي أن تتبعها في كل ما يعرض لها من حسن أو قبح.

(١٣٣/١)

المجاز المرسل

مدخل

...

المجاز المرسل:

سبق أن قسمنا المجاز المفرد باعتبار العلاقة إلى قسمين:

أحدهما: الاستعارة وهي مجاز علاقته المشابهة، وقد تقدم الكلام فيها.

والثاني: المجاز المرسل، وهو ما نحن بصدد الكلام فيه.

تعريفه: هو الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوعة له، كما في قولنا: "رعت الإبل الغيث" ففي "الغيث" مجاز مرسل؛ لأنه كلمة نقلت من معناها الأصلي وهو "الماء" إلى معنى آخر وهو "النبات" بقرينة "الرعي" فإن الغيث لا يرعى، وليست له العلاقة بين النبات والماء المشابهة كما ترى، إنما العلاقة بينهما هي: أن أحدهما سبب في الآخر، ولا شك أن الغيث سبب في النبات، وكفى هذه السببية علاقة تصحح استعمال الغيث في النبات.

وسمي مجازًا مرسلًا؛ لأنه أرسل أي: أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة، وأن له عدة علاقات سيأتي بيانها بعد، أو لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة، إذ ليست العلاقة بين المعنيين في المجاز المرسل المشابهة حتى يدعى اتحادهما.

قيل: إن ما عللوا به في تسمية القسم الأول "استعارة" من أن اللفظ منقول ومستعار من معناه الأصلي للمعنى المراد كالثوب المستعار من صاحبه لغيره، يصح التعليل به في المجاز المرسل، فإن اللفظ فيه أيضًا منقول ومستعار من معناه الأول لمعنى آخر، كلفظ "الغيث" المنقول من معنى "الماء" إلى معنى "النبات" ومقتضى هذا أن يسمى المجاز المرسل "استعارة".

أجيب: إن هذه التسمية مجرد اصطلاح؛ قصد بها التفرقة بين نوعين من المجاز، مختلفي العلاقة.

(١٣٣/١)

علاقة المجاز المرسل

...

علاقات المجاز المرسل:

للمجاز المرسل علاقات عدة، أشهرها وأكثرها استعمالًا ما يلي بعد:

١- السببية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سببًا في المعنى المراد كما تقدم في قولنا: "رعت الإبل الغيث" أي: النبات، ففي "الغيث" مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن المعنى الأصلي للغيث سبب في المعنى المراد الذي هو "النبات"، والقرينة قوله: "رعت" إذ إن الغيث لا يرعى.

٢- المسببية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سببًا عن المعنى المراد، كقولك: "أمطرت السماء نباتًا" أي: ماء "فالنبات" مجاز مرسل علاقته المسببية؛ لأن المعنى الأصلي "للنبات" مسبب عن المعنى المراد الذي هو "الماء"، والقرينة قوله: "أمطرت" إذ إن النبات لا يمطر.

٣- اللازمية١: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور لازمًا للمعنى المراد، أي: يلزم من وجود المعنى المراد

وجوده، كما تقول: بزغ الضوء، تريد "الشمس" فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية؛ لأن المعنى الأصلي للضوء لازم للمعنى المراد الذي هو "الشمس"، إذ يلزم من وجود الشمس وجود الضوء، والقرينة قوله: "بزغ" إذ إن البزوغ وصف لجرم الشمس، لا للضوء.

---

١ المراد باللزوم هنا عدم الانفكاك، لا مطلق ارتباط.

٤- الملزومية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور ملزومًا للمعنى المراد أي: يلزم من وجوده وجود المعنى المراد كما تقول: ملأت الشمس المكان، "فالشمس" مجاز مرسل علاقته الملزومية؛ لأن المعنى الأصلي للشمس ملزوم للمعنى المراد الذي هو "الضوء"، والقرينة قوله: "ملأت" فهو وصف للضوء لا للجرم المعروف كما لا يخفى.

٥- الكلية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور كلًّا متضمنًا للمعنى المراد، كقوله تعالى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ} أي: أناملهم، ففي {أَصَابِعَهُمْ} مجاز مرسل علاقته الكلية؛ لأن المعنى الأصلي للأصابع كل الأنامل، متضمن لها، والقرينة استحالة وضع الإصبع كلها في الأذن عادة.

٦- الجزئية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور جزءًا من المعنى المراد، كقوله تعالى: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} أي: عبد مؤمن ففي {رَقَبَةٍ} مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للرقبة جزء من العبد، والقرينة أن التحرير إنما يكون للذات كلها، لا لجزء منها؛ إذ إن العتق لا يتجزأ. وكقولهم: "بث الملك عيونه" أي: رقباءه جمع رقيب، وهو يرقب حركات العدو، ففي "العيون" مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للعين جزء من الرقيب، والقرينة استحالة بث العيون وحدها. وكقول معبد بن أوس المزني١ في ابن أخته:

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد٢ ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافية هجاني

يريد: "فلما قال قصيدة" ففي لفظ "قافية" مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للقافية جزء من القصيدة، والقرينة قوله: "هجاني" لأن الهجاء لا يتأتى من القافية وحدها، غير أنه يشترط لهذه العلاقة أحد أمور ثلاثة:

الأول: أن يكون انتفاء الجزء مستلزمًا لانتفاء الكل، كما في إطلاق الرقبة

١ هو شاعر مخضرم يحسن القول في باب الحكم، وفي الشعر الخلقي.
٢ يروى بالسين المهملة من التسديد في الرمي، أي: الإصابة فيه.

على الذات في المثال الأول، إذ ليس من شك اليقين أن إعدام الرقبة إعدام للذات، فلا يصح حينئذ إطلاق اليد أو الرجل أو الأذن على الإنسان مجازًا مرسلًا؛ لأنها إجراء لا يستلزم انتفاؤها انتفاء الإنسان عادة.
الثاني: أن يكون للجزء مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الكل، كما في إطلاق العين على الرقيب في المثال الثاني، فإن المعنى المقصود من الرقيب هو الاطلاع والتجسس، ولا شك أن للعين مزيد اختصاص في تحقق هذا المعنى؛ إذ بانعدامها ينعدم معنى الرقابة، فإطلاق الإذن مثلا على الرقيب مجازًا مرسلًا لا يحسن، إذ ليس لها مزيد اختصاص بالمعنى المقصود من الرقيب.
الثالث: أن يكون الجزء أشرف بقية الأجزاء، كما في إطلاق القافية على القصيدة في المثال الثالث؛ إذ لا ريب أن القافية هي الأساس الذي تبنى عليه القصيدة، فهي إذًا أشرف التفاعيل وأولاها بالاعتبار، فلا يجوز إطلاق أي جزء آخر من أجزاء البيت على القصيدة مجازًا مرسلًا، إذ ليس له من الاعتبار ما للقافية.
٧- الحالية: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور حالا في المعنى المراد، كقوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ} أي: ففي جنة الله، فقوله: {فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ} مجاز مرسل علاقته الحالية؛ إذ إن رحمة الله بمعنى نعمه وآلائه حالة في جنته، والقرينة استحالة ظرفية الرحمة بمعناها الحقيقي. ومثله قول الشاعر:
قل للجبان إذا تأخر سرجه ... هل أنت من شرك المنية ناجي؟
يريد: إذا تأخر فرسه، أي: تقاعس ورجع إلى خلف خوفًا وجبنًا، "فسرجه" مجاز مرسل علاقته الحالية؛ لأنه حال فوق ظهر الفرس.
٨- المحلية: هي أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور محلا للمعنى المراد، كقوله تعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} ١ أي: أهل النادي، ففي {نَادِيَهُ}

١ نادي القوم: مجتمعهم كالمنتدى.

مجاز مرسل علاقته المحلية؛ لأن المعنى الأصلي للفظ "النادي" محل للمعنى المراد الذي هو الأهل، والقرينة استحالة دعاء النادي بمعناه الحقيقي. وكقوله تعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} أي: أهل القرية "فالقرية" مجاز مرسل علاقته المحلية؛ لأن القرية بمعناها الحقيقي محل لساكنيها، والقرينة استحالة سؤال القرية بمعناها الأصلي أي: على أحد الاحتمالين في المثالين[1].

٩- الآلية: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور آلة، ووسيلة للمعنى المراد، كقوله تعالى: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} أي: ذكرًا صادقًا وثناء عطرًا فيمن يأتي بعدي من الأمم، ففي {لِسَانَ صِدْقٍ} مجاز مرسل علاقته الآلية؛ لأن اللسان بمعناه الأصلي آلة وواسطة للذكر الحسن الذي هو المعنى المراد، والقرينة: استحالة بقاء هذه الجارحة بمعناها الحقيقي فيمن يأتي من الأمم بعد. ومنه قول الشاعر: "أتاني لسان منك لا أستسيغه" أي: ذكر لا يسر، أطلق عليه اللسان مجازًا مرسلًا؛ لأنه آلة الذكر، وقرينته استحالة إتيان اللسان بمعناه الحقيقي.

١٠- اعتبار ما كان: وهو أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سابق الحصول على المعنى المراد، كقوله تعالى: {وَآتُوا الْيَتَامَى ٢ أَمْوَالَهُمْ} يريد البالغين، ففي لفظ {الْيَتَامَى} مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان؛ لأن المعنى الحقيقي "لليتيم" سابق الوجود على المعنى المراد، وهو "البالغ"، والقرينة على أن المراد باليتامى البالغون منهم الأمر بدفع الأموال لهم أي: تمكينهم منها بالتصرف فيها، ولا يكون ذلك إلا بعد البلوغ.

١١- اعتبار ما يكون: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مستقبل الحصول ظنًّا أو يقينًا. فالأول كقوله تعالى: {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} يريد "عنبًا" يئول عصيره إلى خمر، ففي قوله: {خَمْرًا} مجاز مرسل علاقته: اعتبار ما يكون، أي: ما يئول إليه عصيره فيما بعد من الاختمار، فالمعنى الحقيقي للخمر مستقبل الوقوع وإنما

---

١ والاحتمال الآخر أن يكون مجازًا بالحذف.

٢ اليتامى: جمع يتيم، وهو من الإنسان صغير فقد أباه، ومن الحيوان رضيع فقد أمه.

كان هذا المآل مظنونًا؛ لاحتمال أن يقوم حائل دون الاختمار، والقرينة على أن المراد العنب لفظ "الخمر" لأنها عصير والعصير لا يعصر، ومثل قوله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} أي: بطفل يئول إلى غلام. والثاني قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} يريد: إنك سوف تموت، وإنهم سوف يموتون، فالتعبير "بميت" مجاز

مرسل علاقته اعتبار ما يكون أي: ما سيئول إليه حالهم من المصير المحتوم، والقرينة على التجوز مقام الخطاب؛ لأن من مات فعلا لا يخاطب.

١٢- المجاورة: أن يكون الشيء مجاورًا لآخر في مكانه كإطلاق "الراوية" على القربة في قولك: "خلت الراوية من الماء" تريد: القربة، ومعنى الراوية في الأصل "الدابة" التي يستقى عليها، فالراوية حينئذ مجاز مرسل علاقته المجاورة؛ لمجاورة الدابة للقربة عند حملها، والقرينة لفظ "خلت" لأن الذي يخلو من الماء هو الوعاء، لا الحيوان. ومما علاقته المجاورة إطلاق العلم على الظن، أو العكس لتقاربهما في المعنى فهما متجاوران.

١٣- البدلية: وهو أن يكون الشيء بدلًا عن آخر، كإطلاق القضاء على الأداء في قوله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ} يريد: "فإذا أديتم"؛ لأن الإتيان بالصلاة في وقتها يسمى أداء لا قضاء، فالتعبير بالقضاء بدلا عن الأداء مجاز مرسل علاقته "البدلية" والقرينة مقام الخطاب؛ إذ إن الخطاب مع من يوفون الصلاة في أوقاتها، ومثل هذا يسمى عندهم أداء.

١٤- المبدلية: وهي أن يكون الشيء مبدلًا عنه آخر، كإطلاق الدم على الدية في قول شاعر يتبرم بعشرة زوجه ويتوعدها بالزواج عليها:

أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر[١]

يريد: أكلت "دية"، ففي قوله: "دما" مجاز مرسل علاقته "المبدلية"

---

١ راعه: أخافه، والضرة بفتح الضاد: إحدى الزوجتين أو الزوجات، والقرط: ما يعلق في شحمة الأذن، وبعيدة مهوى القرط: كناية عن طول عنقها.

فإن الدم مبدل منه الدية، والدية يأخذها ولي الدم بدلًا عنه، والقرينة قوله: "أكلت" لأن الدم المسفوك لا يؤكل.

١٥- العموم: وهو أن يكون اللفظ المذكور دالًا على العموم، شاملًا لكثيرين؛ كإطلاق لفظ {النَّاسَ} على محمد -صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} ففي {النَّاسَ} مجاز مرسل علاقته العموم، والقرينة حالية.

١٦- الخصوص: وهو أن يكون اللفظ المذكور دالًا على الخصوص، كإطلاق اسم أبي القبيلة "كتميم أو تغلب" على القبيلة قبل أن يغلب عليها.

١٧- التعلق الاشتقاقي: وهو أن يكون اللفظ مشتقًّا منه غيره، كإطلاق المصدر على اسم المفعول في قوله تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ} أي: مخلوقه، وقوله تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ} أي: معلومه، فكل من الخلق والعلم مجاز مرسل علاقته ما بين المصدر واسم المفعول من الربط الاشتقاقي.

١٨- التقييد والإطلاق: هو أن يكون الشيء مقيدًا، ثم يطلق عن قيده كما في إطلاق "المشفر" على شفة "زيد" مثلًا في قولك: "مشفر زيد يسيل دمًا" تريد شفته، فالمشفر "في الأصل" للبعير خاصة، ثم أطلق عن هذا القيد، وأريد به مطلق شفة، فصح إطلاقه على شفة زيد باعتبارها فردًا من أفراد هذا المطلق، فيكون مجازًا مرسلًا علاقته التقييد والإطلاق. ومثله إطلاق "المرسن" على أنف المرأة في قول الشاعر: "وفاحمًا ومرسنًا مرسجًا" فالمرسن في الأصل أنف البعير؛ لأنه موضع الرسن منه، ثم أطلق على قيده وأريد به مطلق أنف، فصح إطلاقه على أنف المرأة باعتباره أحد أفراد هذا المطلق، فهو مجاز مرسل علاقته التقييد والإطلاق[١].

ويصح في مثل هذين المثالين أن تكون العلاقة المشابهة؛ وحينئذ يكون

---

١ والمجاز المرسل في المثالين ذو مرتبة واحدة، فإذا أطلق المشفر على شفة زيد لا باعتبارها أحد أفراد مطلق شفة، بل باعتبارها خصوص شفة زيد، كان المجاز المرسل ذا مرتبتين، ومثل هذا يقال في المرسن وأشباهه.

اللفظ "استعارة" بأن تشبه شفة زيد بمشفر البعير في الغلظ والتدلي، ثم يستعار لها لفظ "مشفر" -ومثل هذا يقال في "المرسن"- فاللفظ الواحد قد يكون مجازًا مرسلًا واستعارة باعتبارين، فإن اعتبرت العلاقة بين الطرفين غير المشابهة كان اللفظ "مجازًا مرسلًا"، وإن اعتبرت العلاقة المشابهة كان اللفظ "استعارة"، والعبرة بقصد المتكلم وإرادته، فإن لم يعلم قصده بأن لم تقم قرينة عليه احتمل اللفظ الأمرين.

إلى غير ذلك من علاقات المجاز المرسل، فهي لا تقف عند هذا العدد، وإنما أحصينا لك أشهرها، وأكثرها استعمالًا.

تنبيهان:

الأول: اعلم أن القصد من العلاقة: أن يتحقق ارتباط بين الشيئين على أي وجه، فإطلاق الدال على المدلول مثلًا في قولك: "فهمت الألفاظ" أي: معانيها "مجاز مرسل" علاقته يصح أن تكون "المجاورة"، على اعتبار أن الدال وهو "اللفظ" مجاور للمدلول الذي هو "المعنى. ويجوز أن تكون العلاقة "المحلية" على اعتبار أن الدال محل للمدلول، إذ الألفاظ "كما يقولون" قوالب للمعاني، وإذًا فنوع العلاقة ليس وقفًا على ما ذكرنا، وإنما

يرشدك إليها الذوق، ويدلك عليها فهم الكلام.

الثاني: مما تقدم يعلم أن المراعى في علاقات المجاز المرسل جانب المعنى المنقول عنه اللفظ المذكور في الكلام، فإن كان المنقول عنه سببًا في المنقول إليه كانت العلاقة السببية، وإن كان مسببًا كانت العلاقة المسببية، وهكذا فالعلاقة في نحو "رعينا الغيث" السببية؛ لأن المعنى المنقول عنه لفظ "الغيث" سبب في المعنى المنقول إليه وهو "النبات"، والعلاقة في نحو: "أمطرت السماء نباتًا" المسببية؛ لأن المعنى المنقول عنه لفظ "النبات" مسبب عن المعنى المنقول إليه وهو "الغيث". وإنما روعي في العلاقة جانب المعنى المنقول

عنه اللفظ؛ لأنه الأصل فهو أولى بالمراعاة. وقيل: يراعى فيها جانب المعنى المنقول إليه؛ لأنه المراد، وبناء عليه تكون العلاقة في المثال الأول "المسببية" وفي المثال الثاني "السببية" عكس القول الأول. وقيل: يراعى الجانبان معًا، فينص حينئذ على الأمرين فيقال: علاقة المجاز السببية والمسببية، أو الحالية والمحلية، وهكذا، ففي المسألة أقوال أرجحها الأول.

تمرين:

١- عرف المجاز المرسل، ثم وضح التعريف بمثال تختاره من إنشائك، مع بيان علة تسميته "مرسلًا" ولِمَ لم يسم "استعارة" مع أن اللفظ فيه مستعار معناه الأصلي لمعنى آخر؟

٢- بين المجاز المرسل، ووضح علاقته وقرينته في العبارات والأبيات الآتية بعد:

١- عمت أياديك الورى.

٢- تبث الحكومة الأمن في أرجاء البلاد.

٣- شربت ماء النيل.

٤- شربت البن.

٥- غرست القطن في أرضنا.

٦- قرر المجلس الأعلى كذا وكذا.

٧- أقمنا في نعيم ورفاهية.

٨- {وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا} .

٩- {وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ} .

١٠- أرانا الله وجوهكم في خير.

١١- {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} .

١٢- تناولت من الطبيب الشفاء.

١٣-

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

١٤-

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأنني خير من تسعى له قدم

١٥-

تسيل على حد الظباة نفوسنا ... وليست على غير الظباة تسيل

الجواب على السؤال الثاني:

١- في "أياديك" مجاز مرسل علاقته السببية؛ إذ إن المراد بالأيادي العطايا

واليد الحقيقية سبب في إيصالها إلى مستحقها، والقرينة قوله: "عمت" إذ العموم لا يناسب اليد بمعناها الحقيقي.

٢- في "الأمن" مجاز مرسل علاقته المسببيه؛ إذ إن المراد: رجال الأمن وهو مسبب عنهم، والقرينة في قوله: "تبث" لأن الأمن بمعناه الحقيقي لا يبث، وإنما الذي يبث رجاله.

٣- في "ماء النيل" مجاز مرسل علاقته الكلية؛ إذ المراد بعض مائه والنيل كل لهذا الجزء المشروب، والقرينة قوله "شربت" لأن النيل لا يشرب كله.

٤- في البن مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان؛ إذ المراد القهوة، وهي كانت قبل ذلك بنًّا، والقرينة قوله: شربت؛ إذ إن البن بمعناه الحقيقي لا يشرب.

٥- في القطن مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون؛ إذ إن المراد الحب الذي سيئول قطنا فيما بعد في غالب الظن، والقرينة قوله: غرست لأن القطن بمعناه الأصلي لا يغرس، وإنما يجنى.

٦- في المجلس مجاز مرسل علاقته المحلية؛ إذ المراد رجال المجلس وهو محل لهم، والقرينة قوله: "قرر" لأن صدور القرار في المجلس بمعناه الحقيقي محال.

٧- في "نعيم ورفاهية" مجاز مرسل علاقته الحالية؛ إذ المراد المكان الحال فيه النعيم والرفاهية، والقرينة استحالة الإقامة في النعيم والرفاهية بمعناها الحقيقي.

٨- في {السَّمَاءَ} مجاز مرسل علاقته المحلية؛ إذ إن المراد الغيثُ، والسماء محل له، والقرينة قوله: {أَرْسَلْنَا} لأن لمرسل هو الماء لا السماء.

٩- في {الْأَنْهَارَ} مجاز مرسل علاقته المحلية أيضًا؛ إذ المراد الماء الذي يجري في الأنهار، والقرينة قوله: {تَجْرِي} لأن الجري من شئون المياه، لا من صفات الأنهار.

(١٤٢/١)

١٠- في وجوهكم مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ إذ المراد الأشخاص أنفسهم والوجه جزء الإنسان، والقرينة عقلية إذ لا معنى لأن يراد رؤية الوجه وحده.

١١- في {يَدُ اللَّهِ} مجاز مرسل علاقته السببية؛ إذ إن المراد القوة، واليد منشأ هذه القوة وأكثر ما يظهر سلطان القدرة في اليد؛ فيها الضرب، والبطش، والدفع، والقطع، والقرينة عقلية إذ لا معنى لوضع اليد الحقيقية فوق أخرى.

١٢- في الشفاء مجاز مرسل علاقته المسببية؛ إذ إن المراد الدواء، والشفاء مسبب عنه، والقرينة استحالة شرب الشفاء بمعناه الأصلي.

١٣- في القلوب مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ إذ المراد الذات، والقرينة قوله: "تستعبد" لأن الاستعباد إنما يكون اللذات، لا لأجزاء منها.

١٤- في "قدم" محاز مرسل علاقته الجزئية أيضًا؛ إذ إن المراد: "الإنسان الساعي" والقدم جزء منه، والقرينة قوله: "تسعى" لأن السعي من القدم وحدها محال.

١٥- في "نفوسنا" مجاز مرسل علاقته الكلية؛ إذ المراد: "دماؤها" والنفس كل يتضمن الدم وغيره، والقرينة قوله: "تسيل" لأن السيلان من صفات الدم.

تمرين يطلب جوابه على نحو ما تقدم:

وكنت إذا كف أتتك عديمة ... ترجي نوالًا من سحابك بلت

غرست الورد في البستان. "كذلك يعادي العلم من هو جاهل". قامت البلاد وقعدت لهذا النبأ. "تجري الرياح بما لا تشتهي السفن". فرجعوا إلى أنفسهم أي: آرائهم. حكمت المحكمة بكذا. شربنا الزبيب.

بلادي -وإن جارت علي- عزيزة ... وأهلي -وإن ضنوا علي- كرام

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم

أين الذي الهرمان من بنيانه ... ما قومه، ما يومه، ما المصرع؟

{وَجَاءَ رَبُّكَ} . {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} . {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} . {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ} .

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

فهمت الكتاب أبرّ الكتب ... فسمعا لأمر أمير العرب

(١/١٤٣)

المجاز المركب

الاستعارة التمثيلية

...

المجاز المركب:

قلنا: إن المجاز في اللفظ على نوعين: مفرد، ومركب، وقد فرغنا من الكلام في المفرد وهاك بيان المجاز المركب.

تعريفه: هو اللفظ المركب المستعمل في غير المعنى الذي وضع له؛ لعلاقة بين المعنى الأول والثاني، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول.

وينقسم باعتبار هذه العلاقة إلى قسمين: استعارة تمثيلية، ومجاز مرسل.

الاستعارة التمثيلية:

هي ما يكون كل من الطرفين فيها هيئة منتزعة من متعدد، والعلاقة بينهما المشابهة كما تقدم في التشبيهات المركبة أي: في الهيئات المنتزعة من متعدد، إذا استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه، كما في قوله تعالى: {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} وحقيقة الكلام: فتركوا الميثاق، ولم يعتدوا به إهمالًا لأمره، وتهوينًا من شأنه.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من أخذ عليهم الميثاق فأهملوه، ولم يراعوه بهيئة من كان معه شيء لا يهمه، ولا قيمة له عنده، فطرحه وراء ظهره، والجامع بينهما الهيئة الحاصلة من شيء يهمل احتقارًا لشأنه ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه، بعد تناسي التشبيه وادعاء الاتحاد على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية؛ لأن التاركين للميثاق لم يطرحوا شيئًا وراء الظهور حقيقة، فحالتهم على غير ما يفيده هذا التركيب وضعًا. وكقولهم في المتردد في أمره المتحير: أراك تقدم وجلًا، وتؤخر

(١/١٤٤)

أخرى[1]، وحقيقة الكلام: أراك متحيرًا في أمرك، مترددًا.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة المتردد في أمره بين الإقدام والإحجام بهيئة رجل قام ليذهب إلى جهة، فتارة يعقد النية على الذهاب فيقدم رجلًا، وتارة يعدل فيؤخرها ثانيًا، والجامع الهيئة الحاصلة من إقدام تارة، وإحجام أخرى ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد التناسي والادعاء على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية؛ إذ إن المتردد المذكور لا يقدم رجلًا ولا يؤخر أخرى، فحالته على غير ما يدل عليه المركب وضعًا.

وسميت الاستعارة في المركب "تمثيلية" لجريان التشبيه فيه بين الهيئات المركبة من متعدد كما في هذين المثالين، أو للتنويه بعظم شأنها كأن غيرها لا تمثيل فيه؛ ولذا كانت محط أنظار البلغاء، وموضع تقديرهم.

وإذا فشت الاستعارة التمثيلية، وكثر استعمالها سميت "مثلًا"، فالأمثال السائرة كلها من قبيل الاستعارة التمثيلية.

والمثل يراعى فيه المعنى الذي ورد فيه أولًا، فيخاطب به المفرد والمثنى والجمع، مذكرًا، أو مؤنثًا من غير تغيير في أصل العبارة؛ لأنه "كما قلنا" استعارة تمثيلية، والاستعارة يجب أن تكون لفظ المشبه به المستعمل في المشبه كما في مثال المتردد، فقد ورد في شخص معين ثم فشا استعماله حتى صار مثلًا يضرب لكل متحير في أمره، متردد فيه، مفردًا كان، أو مثنى، أو جمعًا، مذكرًا، أو مؤنثًا، فيقال لكل واحد ممن ذكر: أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، فينطق به كما ورد.

وأصل هذا المثل: أن الوليد بن يزيد لما بويع بالخلافة، وبلغه توقف مروان بن محمد في البيعة كتب له الوليد يقول: أما بعد: فإني أراك تقدم رجلًا وتؤخر

---

١ قوله: "تقدم رجلًا" أي: تارة، ومفعول "تؤخر" محذوف أي: تلك الرجل المقدمة "وأخرى" نعت "لتارة" المحذوفة، أي: تارة أخرى، وأصل الكلام: أراك تقدم رجلًا تارة، وتؤخرها تارة أخرى.

أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام.

ومثل المثال المذكور قولهم: "الصيف ضيعت اللبن" بكسر تاء الفاعل، فقد ورد في امرأة، ثم شاع استعماله وذاع، حتى صار مثلًا يضرب لمن فرط في تحصيل شيء وقت إمكان تحصيله، ثم طلبه في زمن يتعذر فيه تحصيله. وأصل هذا المثال: أن امرأة شابة كانت تحت شيخ طاعن ذي ثروة، فطلبت إليه الطلاق لضعفه

وكبره، وكان ذلك في زمن الصيف، فأجابها إلى ما طلبت وتزوجت بعده بشاب فقير، ثم احتاجت إلى اللبن فذهبت في فصل الشتاء إلى زوجها الأول تطلب منه لبنًا، فلم يجبها إلى طلبها، وقال لها هذا القول المأثور، فصار مثلًا.

وإجراء الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من فرط في شيء وقت إمكان تحصيله، ثم طلبه في وقت يتعذر الحصول عليه فيه، بهيئة امرأة تركت زوجها وعنده لبن، ثم أتت إليه بعد فراقها تطلب اللبن منه، والجامع الهيئة الحاصلة من التفريط في شيء وقت إمكانه، وطلبه وقت تعذره، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه، بعد التناسي والادعاء، على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية إذ إن حالة المقول فيه المثل على غير ما يدل عليه اللفظ وضعًا.

وكقولهم: أحشفًا وسوء كيلة[1]، يضرب لمن يظلم من وجهين. وأصل هذا المثل: أن رجلًا اشترى تمرًا من آخر، فإذا هو حشف وناقص الكيل، فقال المشتري ذلك. وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل باع لآخر تمرًا حشفًا، وكان مع ذلك يطفف المكيال، والجامع الهيئة الحاصلة من ظلم مزدوج، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه بعد التناسي والادعاء استعارة تمثيلية، والقرينة حالية؛ لأن حالة المقول فيه المثل تغاير ما يدل عليه اللفظ وضعًا كما ذكرنا. وكقول الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السحر والساحر

---

١ بكسر الكاف اسم بمعنى الكيل، وبفتح الكاف مصدر كال الشيء يكيله بمعنى: قدره بالمكيال.

هو مثل يضرب لمن تحل المشاكل بوجوده. وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت حال من تحل المشاكل بوجوده بحال نبي الله موسى –عليه السلام– مع سحرة فرعون بجامع حال الشيء يحسم عنده النزاع، ثم استعير ... إلخ، أو هو مثل يضرب لمن يتضاءل شأنه عند وجود من هو أجل شأنًا. وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت هيئة من يصغر شأنه عند وجود الأجل منه شأنًا بهيئة قوم فرعون، وقد أخفقوا في سحرهم عند مجيء موسى –عليه السلام– وإلقائه العصا، والجامع الهيئة الحاصلة من ضآلة شيء حقير بجانب شيء خطير، والقرينة حالية كسابقاتها، وقس على ذلك جميع الأمثال السائرة نثرًا ونظمًا.

المجاز المرسل المركب ١:

هو ما كانت العلاقة فيه غير المشابهة كما في الجمل الإخبارية المستعملة في الإنشاء لأغراض لم يوضع لها الخبر؛ كإظهار التحسر، أو الضعف، أو السرور، أو الشماتة، أو نحو ذلك.

فمثال الخبر المستعمل في إنشاء التحسر والتحزن قول الشاعر:

ذهب الصبا وتولت الأيام ... فعلى الصبا وعلى الزمان سلام

فهذا الخبر –وإن كان في أصل وضعه للإخبار– مستعمل في إنشاء التحسر على فقدان الشباب، وذهاب أيامه، والعلاقة فيه اللزوم؛ إذ يلزم من الإخبار بذهاب الصبا التحسر والتحزن عليه، والقرينة قوله: "فعلى الصبا وعلى الزمان سلام". ومثال الخبر المستعمل في إظهار الضعف قول الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} فزكريا –عليه السلام– لا يريد بهذا القول أن يخبر الله بحاله؛ إذ يعلم أن الله لا يخفى عليه خافية ولكنه قصد بهذا إظهار الضعف. وإنه بلغ من الوهن غاية لا أمل له بعده في الحياة، والعلاقة اللزوم كالذي قبله، والقرينة مقام الخطاب. ومثال الخبر المستعمل في إظهار السرور قولك لم يعلم بنجاحك

---

١ إنما أطلق عليه هذا الاسم قياسًا على المجاز المفرد، وإلا فإن العلماء لم يضعوا له اسما، بل إن أكثرهم لم يبحثوه بحثًا تفصيليًّا.

وأنت تعلم منه ذلك: "نجحت في الامتحان" فليس الغرض أن تفيده بنجاحك، وإنما تريد أن تظهر له سرورك بهذا النجاح، والعلاقة والقرينة كالذي قبله.

إلى غير ذلك من الأخبار التي لم يقصد بها الإفادة، غير أن العلماء أهملوا هذا القسم، ولم يبحثوه لتضارب الآراء فيه؛ لهذا لم نشأ الإطالة في البحث فيه.

تمرين:

١– عرف المجاز المركب وقسمه، ومثل لكل قسم.

٢– عرف الاستعارة التمثيلية، وبين لِمَ سميت تمثيلية، ومتى تسمى مثلًا؟ ثم أجر الاستعارة في قولهم: أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا١، وهو مثل يضرب لمن يعد ولا يفي بما يعد.

٣- أجر الاستعارة التمثيلية فيما يأتي على قياس ما سبق:

اليد لا تصفق وحدها "لمن يعجز عن القيام بعمل وحده". تجوع الحرة ولا تأكل بثديها "لمن يصون نفسه عن خسيس المكاسب".

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها ... عند التقلب في أنيابها العطب

"يضرب لمن يخدع الناس بلينه، ثم يعود عليه طبعه، فينقلب على من خدعه".

بالملح تصلح ما نخشى تغيره ... فكيف بالملح إن حلت به الغير؟

"يضرب لمن فسدت حاله ممن هو قدوة لغيره" كرجال العلم والدين. "إن المنبت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى" ٢ "يضرب لمن جاوز الحد في العمل". تلدغ العقرب وتصيء٣ "يضرب لمن يظلم ويتظلم". تسمع بالمعيدي٤ خير من أن تراه

"يضرب لمن منظره دون مخبره". رجع بخفي حنين٥ "لمن يعمل عملًا فيخيب فيه". رمية من غير رامٍ "لمن يصدر منه فعل حسن ليس له أهلًا".

---

١ "الطحن" بكسر الطاء: الدقيق.

٢ "المنبت" هو من أجهد دابته في السير فنفقت قبل الوصول، والمراد بالظهر: الدابة.

٣ يسيل ماؤها.

٤ هو مصغر معدي بتشديد الدال، والياء للنسبة إلى قبيلة "معد"، وهو رجل كان كريه المنظر حسن الصوت.

٥ رجل كان إسكافيا يصنع الأحذية

المبحث الخامس: في الكناية

مدخل

...

المبحث الخامس: في الكناية

تعريفها: هي في اللغة: أن تتكلم بالشيء، وتريد غيره، وهي مصدر كنيت بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به وبابه رمى يرمي. وورد "كنوت" بكذا عن كذا، من باب "دعا يدعو". وقد أنشد الجوهري:

وإني لأكنو عن قدور بغيرها ... وأعرب أحيانًا بها وأصارح

ومعناها اصطلاحًا: لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه الحقيقي، مع قرينة غير مانعة من إرادة هذا المعنى، كما تقول: محمد طويل النجاد١، فالمعنى الحقيقي لهذا اللفظ: هو أن نجاد محمد طويلة وليس هذا مرادًا، إنما المراد لازم هذا المعنى وهو أن محمدًا طويل القامة؛ إذ يلزم عادة من طول النجاد أن تكون القامة طويلة، ويصح مع هذا إرادة المعنى الحقيقي أيضًا بأن يراد المعنيان معًا –طول النجاد، وطول القامة– وبهذا:

تخالف الكناية المجاز؛ ذلك أن قرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقي "كما عرفت" من أن نحو: "كلمني أسد" لا يجوز أن يراد منه الحيوان المفترس؛ لأن فيه قرينة تمنع من ذلك، وهو "كلمني" إذ إن الكلام من شأن الإنسان لا من شأن الأسود، أما قرينة الكناية فغير مانعة "كما رأيت".

تنبيه:

ليس بلازم في الكناية أن يكون المعنى الحقيقي للفظ المكنى به متحققًا في الواقع؛ إذ يصح أن تقول: "فلان طويل النجاد" كناية عن طول القامة، وإن

---

١ ما يوضع على العاتق من حمائل السيف.

(١٤٩/١)

لم يكن له نجاد بل تصح الكناية حتى مع استحالة المعنى الحقيقي، كما في قولهم: "المجد بين برديه، والكرم تحت ردائه" كناية عن إثبات المجد والكرم للمدوح، فإن المعنى الحقيقي للفظ المذكور وهو حلول المجد بين البردين والكرم تحت الرداء مستحيل الحصول؛ إذ إن الحلول الحسي بين الأشياء أو تحتها من شأن الأجسام لا المعاني. وكما في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كناية عن الاستيلاء والسيطرة، فإن المعنى الحقيقي للاستواء هو "الجلوس" وذلك مستحيل على الله سبحانه. ومن هنا يعلم أن الشرط في الكناية جواز إرادة المعنى الحقيقي، لا إرادته بالفعل لامتناع إرادته فيما ذكرنا ا. هـ.

(١٥٠/١)

أقسام الكناية:

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام:

١– كناية يطلب بها صفة١.

٢- كناية يطلب بها موصوف.

٣- كناية يطلب بها نسبة صفة إلى موصوف.

فالأولى -وهي المطلوب بها صفة- ضابطها: أن يصرح بالموصوف وبالنسبة إليه، ولا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها كما في المثال السابق، وهو قولنا: "محمد طويل النجاد" كناية عن طول القامة، فقد صرح بالموصوف وهو "محمد"، وصرح بالنسبة وهي إسناد طول النجاد إليه ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها وهي "طول القامة"، ولكن ذكر مكانها صفة أخرى تستلزمها هي "طول النجاد"، كما سبق. وكقولهم: "عباس كثير الرماد" كناية عن جوده، فقد صرح في هذه الكناية بالموصوف، وهو "عباس" وصرح بالنسبة وهي إسناد كثرة الرماد إليه ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها، وهي "الجود"

---

١ المراد بالصفة هنا المعنى القائم بالغير كالجود، وطول القامة لا خصوص النعت النحوي.

ولكن ذكر مكانها صفة تستلزمها هي "كثرة الرماد" إذ يلزم من "كثرة الرماد" صفة الجود كما سيأتي قريبًا، وهكذا.

وهذه الكناية ضربان: قريبة وبعيدة.

فالقريبة: ما ينتقل الذهن منها إلى المقصود بلا واسطة بين المنتقل عنه، والمنتقل إليه كما في قولنا: "محمد طويل النجاد" فإن المطلوب بقولنا: "طويل النجاد" صفة هي طول القامة -كما بينا- وليس بين طول النجاد وطول القامة واسطة، وإنما ينتقل الذهن من طول النجاد إلى طول القامة مباشرة.

والقريبة نوعان: واضحة، وخفية.

فالواضحة: ما يفهم المقصود لأول وهلة كالمثال المذكور، فإن طول القامة يفهم من طول النجاد بلا حاجة إلى تأمل؛ لوضوح اللزوم بينهما كما عرفت، وقد تسمى إيماء وإشارة١.

والخفية: ما لا يفهم منها المقصود إلا مع شيء من التأمل والتفكير، كما في قولهم: "فلان عريض القفا" كناية عن أنه أبله، فإن عرض القفا بإفراط مما يستدل به على البلاهة إلا أن فهم البلاهة منه يتوقف على إعمال فكر وروية؛ لأن في اللزوم بين المعنيين نوع خفاء وقد تسمى رمزًا٢.

والبعيدة: ما ينتقل الذهن منها إلى المقصود بواسطة، كما في قولنا: "عباس كثير الرماد" كناية عن أنه جواد سمح، فالمطلوب بهذه الكناية صفة هي "الجود" وبين كثرة الرماد وصفة الجود وسائط عدة لا بد من مراعاتها

للوصول إلى هذه الصفة؛ فينتقل أولًا من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ، ومنها إلى كثرة الأكلة، ثم إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى "الجود" وقد تسمى تلويحًا٣.

---

١ لأن أصل الإشارة أن تكون حسية، وهي ظاهرة ومثلها الإيماء.

٢ لأن الرمز أن تشير إلى غيرك من قرب خفية.

٣ لأن التلويح أن تشير إلى غيرك من بعد.

والثانية –وهو المطلوب بها موصوف– ضابطها: أن تصرح بالصفة وبالنسبة، ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكن يذكر مكانه صفة تختص به كما في قولك: "فلان صفا لي مجمع لبه" أي: قلبه فقد صرح في هذه الكناية بالصفة، وهي "مجمع اللب" وصرح بالنسبة، وهي إسناد الصفاء إليها ولم يصرح بالموصوف المطلوب نسبة الصفاء إليه، وهو "القلب" ولكن ذكر مكانه وصف خاص به وهو مجمع اللب، فإن القلب "كما يقولون" موضع العقل والتفكير. ومنه قول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مخزم ... والطاعنين مجامع الأضغان١

يصف القوم بالبسالة، وحسن البلاء في الحروب، وأن سيوفهم لا تعرف غير المقاتل جفونًا، وقد كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن "القلوب" لاختصاص الوصف المذكور بها؛ إذ إن الضغن لا يكون في غير القلب.

وهذه الكناية أيضًا نوعان:

الأول: ما تكون الكناية فيه معنًى واحدًا، لا تعدد فيه كما تقدم في قولنا: "فلان صفا لبه" فإن مجمع اللب المكنى به عن القلب معنى واحد "كما ترى". والمراد بوحدة المعنى هنا ألا يكون من أجناس مختلفة، إن كان مثنى أو جمعًا، فمجامع الأضغان في قول الشاعر السابق –وإن كان جمعًا– هو معنى واحد من حيث إن مدلوله جنس واحد هو القلب، لا أجناس مختلفة.

الثاني: ما تكون الكناية فيه مجموع معانٍ مختلفة كما يقال في الكناية عن الإنسان: "زارني حي، مستوي القامة، عريض الأظافر" فالكناية مجموع هذه المعاني من الحياة، واستواء القامة، وعرض الأظافر، لا كل واحد منها، وهذه المعاني مجتمعة وصف خاص بالإنسان، لا يوجد في سواه.

---

١ "الأبيض": السيف، والمخزم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الزاي: القاطع، والضغن: الحقد.

والثالثة –وهي المطلوب بها نسبة– ضابطها: أن تصرح بالموصوف والصفة، ولا يصرح بالنسبة بينهما ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها، وهذه النسبة إما أن تكون إثباتًا أو نفيًا، فمثالها في الإثبات قولهم: "الكرم بين ثوبي محمد" كناية عن إثبات الكرم له، فقد صرح في هذه الكناية بالموصوف وهو "محمد" وصرح بالصفة وهي "الكرم" ولكن لم يصرح بنسبة الكرم إليه، وإنما ذكر مكانها نسبة أخرى هي نسبة الكرم إلى ثوبيه إثباتًا، وهي تستلزم نسبة الكرم إليه من حيث وجوده بين ثوبيه الخاصين به. ومنه قول الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج١

فإن إثبات هذه الأمور الثلاثة للقبة الخاصة بابن الحشرج يستلزم إثباتها له على نحو ما تقدم. ومثالها في النفي قول الشنفرى، يصف امرأة بالعفة:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حلت

فقد صرح بالموصوف، وهو الضمير في "بيتها" العائد على المرأة، وصرح بالصفة وهي "اللوم المنفي" في قوله: "بمنجاة من اللوم" ولم يصرح بنسبة نفي اللوم عنها، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى هي نفي اللوم عن بيت يحتويها، وذلك يستلزم نفي اللوم عنها.

تمرين:

١– عرف الكناية لغة واصطلاحًا، وبين الفرق بينها وبين المجاز.

٢– اذكر أقسام الكناية باعتبار المكنى عنها، وضابط كل منها مع التمثيل.

٣– عرف الكناية البعيدة، ومثل لها، وبين وجه البعد فيها.

---

١ هو عبد الله بن الحشرج، كان أميرًا على نيسابور، يدل على ذلك قوله: "في قبة" إذ يفهم منه أن الممدوح ممن تضرب له القباب، وذلك عنوان السيادة والإمارة.

٤– ائت بمثالين للكناية المطلوب بها صفة، وبمثلهما للكناية عن الموصوف، وبآخرين للكناية عن النسبة، ثم بين المكنى به، والمكنى عنه، ونوع الكناية في قول الشاعر:

وكلبك آنس بالزائرين ... من الأم بابنتها الزائرة

٥- وضح نوع الكناية فيما يأتي:

١-

أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

٢-

أوما رأيت المجد ألقى رحله ... في آل١ طلحة ثم لم يتحول

٣-

وما يك في من عيب فإني ... جبان الكلب مهزول الفصيل٢

٤-

لا ينزل المجد إلا في منازلنا ... كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

٥-

فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير

٦-

أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا٣

٧-

فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها٤ ... بحيث يكون اللب والرعب والحقد

٨- هو سمين رخو

٩- فلان يفترش الثرى، ويتوسد الجنادل٥.

١٠- فلان ملء إهابه٦ الكرم.

١١- فلان عريض الوسادة.

١٢- {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} ٧.

---

١ على حذف مضاف أي: في خيام آل طلحة.

٢ الفصيل: ولد الناقة.

٣ الروادف جمع: ردف بكسر سكون، وهو عجيزة المرأة، والثدي بضم الثاء مع التشديد وكسر الدال وتشديد الياء جمع: ثدي بفتح فسكون، والقمص بضم القاف والميم وسكن للضرورة جمع: قميص، وقد جمعت هذه الأشياء للمبالغة.

٤ حديد السهم، أو الرمح.

٥ الحجارة.

٦ الإهاب بكسر الهمزة: الجلد.

٧ الدسر بضمتين جمع: دسار، وهو حبل من ليف تشد به ألواح السفينة.

(١٥٤/١)

الجواب على السؤال الأخير:

١- في الشطر الثاني من البيت كناية يراد بها صفة هي طول الرقبة؛ إذ يلزم من مهوى القرط أن يكون العنق طويلًا، وهذه الكناية قريبة لعدم وجود الواسطة بين بعد المهوى وطول الرقبة، وواضحة لوضوح اللزوم بين المعنيين.

٢- في البيت كناية يراد بها نسبة هي ثبوت المجد لآل طلحة، ذلك أن إلقاء المجد رحلة في خيام آل طلحة، وعدم تحوله عنها يستلزم ثبوت المجد لهم دائمًا؛ لأن المجد وصف لا يصلح قيامه بالخيام والأخبية وليس في الخيام سواهم، فلزم ثبوته لهم وهي قريبة لعدم الواسطة بين النسبتين، وواضحة لوضوح اللزوم بينهما.

٣- في الشطر الثاني من البيت كنايتان يراد بهما صفة هي "الجود"، فقد كنى أولًا عن جوده "بجبن الكلب" إذ ينتقل الذهن من جبن الكلب واستئناسه بالناس، إلى كثرة مشاهدته لهم، ثم ينتقل من هذا، إلى كثرة من يقصدونه، ثم إلى كثرة قراه للأضياف، ومنه إلى أنه جواد سخي. وكنى ثانيًا عن جوده "بهزال الفصيل" إذ ينتقل الذهن من هزال الفصيل إلى فقدان لبن أمه بنحرها، أو بأخذ اللبن منها، ثم ينتقل من هذا إلى كثرة الآكلين أو الشاربين، ثم إلى كونه مضيافًا سخيًّا. والكنايتان بعيدتان لتعدد الوسائط بين المعنيين، وواضحتان لوضوح اللزوم بينهما.

٤- في الشطر الأول من البيت كناية يراد بها نسبة هي إثبات المجد لهم، ذلك أن نزول المجد في منازلهم الخاصة بهم، مقصورًا عليها لا يتعداها إلى غيرها، يستلزم ثبوت المجد لهم وقصره عليهم؛ إذ إن المجد صفة لا يصلح قيامها بالجدران والحوائط وليس في المنازل سواهم، فلزم أن تقوم الصفة بهم، والكانية قريبة لعدم الواسطة بين النسبتين، وواضحة لوضوح اللزوم بينهما.

٥- في الشطر الثاني من البيت كناية يراد بها نسبة هي ثبوت المجد للممدوح، ذلك أن حلول المجد بكل مكان يحل به الممدوح يستلزم ثبوت المجد له؛ لأن المجد "كما قلنا" وصف لا يصلح قيامه بالأماكن، فلزم ثبوته له وقيامه به، والكناية قريبة لعدم وجود الواسطة، وواضحة لوضوح اللزوم.

(١٥٥/١)

٦- في هذا البيت كناية عن عدة أوصاف في المرأة هي كبر عجيزتها، وعظم نهديها، وضمور بطنها، ودقة خصرها؛ ذلك أن منع عجيزتها ونهديها قمصها من أن تمس بطنها وظهرها يستلزم هذه الأوصاف المذكورة فصح أن يكون هذا المنع كناية عنها وهي كناية قريبة؛ لعدم وجود الواسطة، وواضحة لوضوح اللزوم بين هذا المنع وهذه الصفات.

٧- في الشطر الثاني من البيت كناية عن موصوف هو "القلب"؛ لأن القلب موطن الأشياء الثلاثة المذكورة، وكونه مواطنًا لها وصف خاص به، فصح أن يكون كناية عنه وهي قريبة واضحة.

٨- فيه كناية عن صفة هي الكسل وفقدان النشاط، ذلك أن بدانة الجسم ورخاوته تستدعيان الرغبة عن العمل، والزهادة فيه، وهذا هو عين الكسل، والكناية فيه قريبة واضحة لوضوح اللزوم بين البدانة والكسل.

٩- فيه كناية يراد بها صفة هي "الفقر"؛ لأن افتراش الثرى وتوسد الجنادل دليل فقدان ما يفترش ويتوسد، وهذا دليل ضيق ذات اليد وهي كناية بعيدة لوجود الواسطة، ولكنها واضحة اللزوم بين المعنيين.

١٠- كناية يراد بها نسبة هي إثبات الكرم للممدوح؛ لأن الكرم صفة لا يصلح إهاب الممدوح وعاء لها؛ فلزم ثبوت الكرم لذي الإهاب، وهي قريبة واضحة اللزوم.

١١- كناية يراد بها صفة هي "البله"؛ إذ يلزم من عرض الوسادة عرض القفا، وهو مما يستدل به على البلاهة، والكناية بعيدة لوجود الواسطة، وخفية لخفاء اللزوم بين عرض الوسادة والبلاهة.

١٢- كناية يراد بها موصوف هو "السفينة"؛ لأن مجموع الأمرين المذكورين وهما الألواح والدسر مشدودًا أحدهما بالآخر، وصف خاص بالسفن والكناية فيه واضحة.

(١٥٦/١)

تمرين يطلب جوابه قياسًا على ما سبق:

يكاد إذا ما أقبل الضيف مقبلًا ... يكلمه عن حبه وهو أعجم

لا أمتع العوذ١ بالفصال ... ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

أبين فما يزرن سوى كريم ... وحسبك أن يزرن أبا سعيد

نشتكي ما اشتكيت ما ألم الشو ... ق إليها والشوق حيث النحول

ضعيف العصا بادي العروق ترى له ... عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

متى تخلو تميم من كريم ... ومسلمة بن عمرو من تميم؟

فلان لا يضع العصا عن عاتقه. عباس طاهر الذيل. لبس الدهر لهم جلد النمر. {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا} . فلان رحب الصدر قوي الظهر.

نموذج في التطبيق على جميع ما مر من قواعد علم البيان:

وزاد بك الحسن البديع نضارة ... كأنك في وجه الملاحة خال

الجواب: شبه الممدوح بالخال، ووجه الشبه أن كلا يكسب صاحبه بهجة، والأداة "كأن" وهو تشبيه تحقيقي؛ لأن الوجه متحقق في الطرفين غير تمثيلي؛ لأن الوجه منتزع من شيء واحد، وهو مجمل لحذف وجه الشبه، ومرسل لذكر الأداة، والغرض بيان حال المشبه. وفي الملاحة استعارة مكنية شبهت الملاحة بحسناء بجامع ميل النفس إلى كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، ثم حذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو "وجه" على سبيل الاستعارة المكنية، وهي أصلية لأن اللفظ

---

١ العوذ بضم العين: الإبل الحديثات النتاج، جمع: عائذ كحائل وحول.

(١٥٧/١)

المستعار اسم جنس، وقرينتها إثبات الوجه للملاحة، وهذا الإثبات استعارة تخييلية، ودونك القياس على ذلك فيما يأتي من الأبيات:

كأن عيون النرجس الغض حولها ... مداهن در حشوهن عقيق

وفي يده الصمصام تحكي شباته ... نواجذ أفواه المنايا القواضب

هرب النوم عن جفوني فيها ... هرب الأمن من فؤاد الجبان

خير أبي حفص لعاب الليل ... يجري إلى الإخوان جري السيل

(١٥٨/١)

تتمة:

أطبق العلماء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الكناية أبلغ من التصريح، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه، ومن المجاز المرسل، والكناية.

أما وجه الأبلغية في المجاز والكناية؛ فلأنهما كدعوى الشيء ببينة، ذلك أنك حين تقول متجوزًا: "رأيت أسدًا

على المنبر" إنما تريد أن تقول: رأيت رجلًا جريئًا على المنبر، وهذه دعوى قام عليها دليلها وهو إثبات معنى الأسد له، إذ يلزم من كونه أسدًا أن يكون جريئًا للزوم الجراءة للأسد كما علمت، وأنك حين تقول مكنيًا: "محمد طويل النجاد" إنما تريد أن تقول: محمد طويل القامة، وهي دعوى قام عليها دليلها وهو اتصافه بطول النجاد، إذ يلزم من كونه طويل النجاد أن يكون طويل القامة، وكأنك قلت في الأول: رأيت رجلًا جريئًا على المنبر لأنه أسد، وقلت في الثاني: محمد طويل القامة؛ لأنه طويل النجاد.

أما الحقيقة في نحو: رأيت رجلًا مقدامًا على المنبر، والتصريح في نحو: محمد طويل القامة، فدعويان لم يقم عليهما دليل وما كان مؤيدًا بدليل أبلغ وآكد مما لم يدعم بدليل، فثبت أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح.

ووجه أبلغية الاستعارة على التشبيه هو أن الاستعارة نوع من المجاز، مبني على

دعوى اتحاد المشبه والمشبه به، والتشبيه نوع من الحقيقة بناء على الراجح، وقد ثبت لك أن المجاز أبلغ من الحقيقة.

ووجه أبلغيتها على المجاز المرسل ما فيها من دعوى الاتحاد معنى ولفظًا، أما في المعنى فلإدخال المشبه في جنس المشبه به، واعتباره فردًا من أفراده. وأما في اللفظ فلإطلاق لفظ المشبه به على المشبه، بخلاف المجاز المرسل نحو: أمطرت السماء نباتًا، ففيه دعوى الاتحاد لفظًا فقط، من حيث إطلاق اللفظ على المعنى الثاني، أما الاتحاد في المعنى فغير موجود فيه؛ إذ ليس بين الماء والنبات تشابه حتى يدعى اتحادهما.

ووجه أبلغيتها على الكناية من جهتين: الأولى: أن فيها جمعًا بين كناية واستعارة، من حيث إن فيها انتقالا من الملزوم "كالأسد" إلى اللازم "كالجريء" كما ينتقل في الكناية من طول النجاد "مثلًا" إلى طول القامة، ومن حيث إن فيها استعمال اللفظ في غير المعنى الموضوع له لعلاقة المشابهة. الثانية: أنها مجاز قطعًا بخلاف الكناية، فإن في مجازيتها خلافًا بين علماء البلاغة، مبسوطًا في محله، فارجع إليه "إن شئت".

تنبيه:

ليس معنى الأبلغية في هذه الثلاثة أنها تفيد زيادة في أصل المعنى لا يفيدها غيرها، إنما المراد أنها تفيد تأكيدًا لإثبات المعنى، لا يوجد في سواها، فليست فضيلة قولنا: "رأيت أسدًا" على قولنا: "رأيت رجلًا لا يتميز عن الأسد في إقدامه" من حيث إن الأول أفاد زيادة في مساواة الرجل للأسد في الإقدام، لم يفدها الثاني إذ إن التركيبين في ذلك سواء في إفادة معنى المساواة.

إنما مزية الأول على الثاني من حيث إن الأول أفاد تأكيدًا وتقريرًا لإثبات معنى المساواة، دون الثاني؛ لما في الأول من دعوى الاتحاد والتعبير عن المشبه بلفظ المشبه به، ودلالة الاتحاد على المساواة "كما في التركيب الأول" أبلغ من التنصيص على المساواة "كما في التركيب الثاني" يدرك ذلك صاحب الذوق السليم.

(١٥٩/١)

هذا: والاستعارة التمثيلية أبلغ أنواع الاستعارة؛ لأنها إنما تكون في الهيئات المنتزعة من أمور متعددة، فهي كثيرة الاعتبارات والملاحظات لا يوفق فيها إلا من أُوتي حسن روية وبعد نظر، ويليها في الأبلغية المكنية؛ لاشتمالها على المجاز العقلي في قرينتها، أما الاستعارة التصريحية ففي المرتبة الثالثة.

تمرين:

بين أنواع التشبيه والمجاز المرسل والاستعارة والكناية فيما يأتي:

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} . {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} .

القضاة دعائم العدل، وبأيديهم أزمة الفصل والفضل. قال الحريري: لبثنا في الانتظار إلى أن هرم النهار، وكاد جرف١ اليوم ينهار. وقال أيضًا: ولما قوض٢ الليل خيامه، ورفع الصبح أعلامه كان كذا وكذا.

والطل٣ في سلك الغصون كلؤلؤ ... رطب يصافحه النسيم فيسقط

له راحة ينهل جودًا بنانها ... ووجه إذا قابلته يتهلل٤

إذا أنشب الدهر ظفرًا ونابًا ... وصال على الحر منا ونابا

صبرنا ولم نشك أحداثه ... لأنا نعاف التشكي ونابى٥

وقفت وما بالموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

ودبت له في موطن الحلم علة ... لها كالصلال الرقش شر دبيب٦

---

١ ما تجرفه السيول من الأرض.

٢ قاض البناء وقوضه: هدمه.

٣ المطر الضعيف والندى.

٤ يتلألأ بشرا.

٥ أصله نأبى مضارع أبى، سهلت همزته.

٦ الصلال جمع: صل، وهو بالكسر ضرب من الحيات، لا نجاة من لدغه، والرقش جمع: رقشاء، وهي ذات نقط سود في بياض.

(١٦٠/١)

وقيل في وصف السماء: أيقظتني ليلة دواعي الهموم، فنظرت نظرة في النجوم فإذا السماء روضة زاهرة، أو صرح أضواؤه مسفرة، أو غدير تطفو عليه القواقع، أو بنفسج نور أقاحه لامع، أو جمر في خلال رماد، كما قال الشاعر:

بساط زمرد بسطت عليه ... دنانير تخالطها دراهم

ونهر المجرة١ يجري في سندسها، ويسري ليسقي ذوابل نرجسها، فبينما أسرع في درر الدراري٢ نظري وأروض في رياضها جواد فكري، إذ هب نسيم السحر يروي عن أهل نجد أطيب الخبر، ثم تبسم الفجر ضاحكًا، واقتنص بازي الضوء غراب الظلام، وفض٣ كافور النور مسك الختام.

---

١ بياض يبدو في السماء يشبه الهنر.

٢ الدراري: النجوم.

٣ بمعنى فك.

(١٦١/١)

علم البديع

مدخل

...

علم البديع:

قلنا فيما سبق: إن أول من اخترع هذا العلم، وسماه بهذا الاسم عبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ، وإنه جمع منه سبعة عشر نوعًا، وقال: "ما جمع قبلي فنون البلاغة أحد، ولا سبقني إليه مؤلف، ومن أراد أن يقتصر على ما اخترعناه فليفعل، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره".

وقلنا: إن مجموع ما جمعه هو ومعاصره قدامة بن جعفر ثلاثون نوعًا، ثم اقتدى بهما كثير من ذوي الفضل كأبي

هلال العسكري، وابن رشيق، إلى أن جاء صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ فنظم فيه قصيدة ميمية في مديح النبي –صلى الله عليه وسلم– جمع فيها ما نيف على المائة والخمسين نوعًا، وذكر اسم كل نوع بجانب

كل بيت، وجعل البيت شاهدًا له، ثم جاء بعده "الموصلي" وعارضه بقصيدة على غرار قصيدته، ثم جاء "الحموي" وعارضه كذلك، غير أنه التزم تسمية النوع في البيت. وهكذا طفق العلماء يؤلفون في هذا العلم القصائد والأراجيز، حتى نيف الأنواع على المائة والستين، بل على أكثر من ذلك، نقتصر منها على المهم المتداول حسبما يتسع له المقام.

توضيح الفرق بين علم البديع، وعلمي المعاني والبيان:

اعلم: أن الفرق بينهما هو أن علمي المعاني والبيان يبحثان في صلب المعنى المراد، غير أن الأول منهما يبحثه من حيث مطابقته لمقتضى الحال، أي: أن يكون الكلام موافقًا مدلوله لما تقتضيه الحال التي وقع فيها، وقد تقدم لك بيانه عند البحث في بلاغة الكلام، وأن الثاني يبحثه من حيث تأديته بطرق مختلفة في الوضوح، وقد سبق البحث فيه عند الكلام في تعريف علم البيان.

أما علم البديع:

فيبحث المعنى أو اللفظ، من حيث تزيينه وتدبيجه، وإلباسه ثوبًا من البهجة والبهاء، يسترق القلب ويستأثر اللب كما ستعرف بعد. ومن هنا يعلم أن أثر علمي المعاني والبيان في تحسين الكلام "ذاتي" في صميم المعنى، وأن أثر علم البديع فيه "عرضي" أي: بعد أن يكون الكلام مطابقًا لمقتضى الحال، واضح الدلالة على المعنى المراد.

فعلم البديع من علمي المعاني والبيان حينئذ بمثابة الطلاء الرائع من البناء الفخم، أو بمنزلة القلادة الثمينة من جيد الحسناء، فإن لم يكن الكلام مطابقا لمقتضى الحال، ولا واضح الدلالة على المعنى المراد كان البديع بمثابة الدر يعلق بأعناق الخنازير. إذا علمت هذا فاعلم أن:

علم البديع:

هو ما يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المعنى المراد.

وتقسيم وجوه التحسين: تنقسم المحسنات البديعية قسمين: معنوية، ولفظية:

فالمعنوية: هي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى المعنى أصالة، وهو –إن تبعه تحسين اللفظ– غير مقصود.

واللفظية: هي التي يكون التحسين بها راجعًا إلى اللفظ أصالة، وهو –وإن تبعه تحسين المعنى– ولكنه أيضًا غير مقصود.

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات لا سيما اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن، إلا إذا طلبها المعنى بحيث لا يجد الشاعر، أو الناثر مندوحة عنها؛ لذلك لا يحمل الاسترسال فيها، والولع بها لأن المعاني لا تدين للألفاظ في كل موضع، ولا تنقاد لها في كل حين.

(١٦٣/١)

المحسنات المعنوية:

١– المطابقة [١]:

هي أن يجمع في كلام واحد بين معنى، ومقابلة، أو ضده، وتكون بلفظين من نوع واحد كأن يكونا "اسمين" كقوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} فالجمع بين "الأيقاظ والرقود" مطابقة لأن اليقظة ضد الرقود وكلاهما من نوع الاسم كما ترى، أو "فعلين" كقوله تعالى: {لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى} فالجمع بين {يَمُوتُ} و {يَحْيَى} مطابقة؛ لأن الموت ضد الحياة وكلاهما من نوع الفعل، أو "حرفين" نحو قوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} فالجمع بين "اللام وعلى" مطابقة؛ لأن في "اللام" معنى المنفعة، وفي "على" معنى المضرة وهما متضادان.

وتكون المطابقة بلفظين من نوعين مختلفين، كقوله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} فالجمع بين {مَيْتًا} و"أحييناه" مطابقة؛ لأن معناهما متضادان، غير أن الأول منهما من نوع الاسم، والآخر من نوع الفعل.

---

١ وتسمى الطباق أيضًا.

(١٦٣/١)

ثم إن المعنيين المتقابلين إما أن يتفقا في الإيجاب أو السلب كما مر، وإما أن يختلفا كما في قوله تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فالجمع بين {لا يَعْلَمُونَ} ، و {يَعْلَمُونَ} مطابقة؛

لأن المعنيين تقابلا بالإيجاب والسلب. ومثله قوله تعالى: {فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ} وسمي هذا النوع طباق السلب؛ لاختلاف المعنيين إيجابًا وسلبًا.

والتقابل بين المعنيين إما واضح بين كما مر، وإما خفي نوع خفاء، نحو قوله تعالى: {أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا} فإن صريح قوله: {فَأُدْخِلُوا نَارًا} لا يقابل معنى "الإغراق" ولكنه يستلزم ما يقابله، وهو "الإحراق" فكأنه قال: أغرقوا فأحرقوا؛ لهذا كان في التقابل بينهما بعض خفاء. ومثله قوله تعالى: {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} فإن الرحمة تستلزم اللين المقابل للشدة.

٢- المقابلة: وهي أن يؤتى بمعنيين غير متقابلين، أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل كلا على الترتيب اللفظي.

وتكون المقابلة بين معنيين كقوله تعالى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} أتي بالضحك والقلة، ثم بما يقابلهما من البكاء والكثرة على الترتيب، ولا شك أن ليس بين الضحك والقلة، ولا بين البكاء والكثرة تقابل.

وتكوين بين ثلاثة، كقول الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

أتي بالحسن، والدين، والغنى المفهوم من "الدنيا" ثم أتي بما يقابلها من القبح، والكفر، والإفلاس على الترتيب.

ومثله قوله تعالى: {يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} .

وتكون بين أربعة كقوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} .

أتي أولًا بالإعطاء، والاتقاء، والتصديق، واليسر، ثم أتي بما يقابلها على الترتيب من البخل، والاستغناء، والتكذيب، والعسر. ووجه مقابلة "استغنى لاتقى" أن معنى "استغنى" زهد فيما عند الله، فلم يراقبه، أو معناه: استغنى بمتاع الدنيا عن نعيم الجنة، فلم يتق الله في عمله، وإذًا ففي مقابلة "استغنى لاتقى" نوع خفاء.

وتكون بين خمسة، كقوله المتنبي:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي ... وأنثني وبياض الصبح يغري بي

أتي بالزيارة، والسواد، والليل، والشفاعة له، ثم أتي بما يقابلها على الترتيب من الانثناء، والبياض، والصبح، والإغراء به.

وتكون بين ستة، كما تراه واضحًا في قول الشاعر:

على رأس عبد تاج عز يزينه ... وفي رجل حر قيد ذل يشينه

والمقابلة فيه واضحة أتم وضوح، كما ترى.

تنبيه:

اعلم أن المقابلة نوع من المطابقة من حيث إن فيهما جمعا بين متقابلين، غير أن الشرط في المقابلة أن يكون التقابل فيها بين معنيين على الأقل وبين ما يقابلهما، ويكون بين أكثر من ذلك كما رأيت، بخلاف المطابقة فإنما تكون بين معنى واحد ومقابله كما عرفت ا. هـ.

٣- المشاكلة:

هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير، كقوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} فالجزاء على السيئة في الحقيقة ليس بسيئة، وإنما هو "عقوبة" يراد بها الإصلاح، فالمعنى حينئذ: وجزاء سيئة عقوبة تعادلها، فتعبيره عن العقوبة بلفظ {سَيِّئَةٌ} مشاكلة؛ لوقوعه في صحبة ذلك اللفظ. ومثله قول الشاعر:

قالوا: اقترح شيئًا نجد لك طبخه ... قلت: اطبخوا لي جبة وقميصا

فتعبيره عن خياطة الجبة بالطبخ مشاكلة؛ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام.

٤- الاستخدام:

هو أن يذكر لفظ بمعنى، ويعاد عليه ضمير بمعنى آخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غش ما يراد بأولهما. فالأول كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

ذكر لفظ "السماء" بمعنى الغيث ثم أعاد عليه الضمير في "رعيناه" بمعنى "النبات". والثاني كقول الشاعر:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هموا ... شبوه بين جوانحي وضلوعي

يدعو الشاعر لأحبته الساكنين هذا المكان بالسقيا، وإن أحرقوا قلبه بنار الجوى، "والغضا": شجر شديد الاشتعال وقد أعاد عليه ضميرين؛ أولهما مجرور بالإضافة في "الساكنيه" وأريد به المكان، وثانيهما منصوب على المفعولية في "شبوه" وأريد به النار المشتعلة من شجر الغضا.

٥- التورية ١:

هي أن يذكر لفظ له معنيان، أحدهما قريب أي: دلالة اللفظ عليه ظاهرة؛ لكثرة استعماله فيه، والثاني بعيد أي: دلالة اللفظ عليه خفية لقلة استعماله فيه، ويراد المعنى البعيد اعتمادًا على قرينة، كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} فلفظ {اسْتَوَى} له معنيان: قريب وهو الاستقرار في مكان، وبعيد وهو الاستيلاء على الشيء بالقهر والغلبة، والمراد منه في الآية المعنى البعيد، والقرينة على إرادته استحالة المعنى القريب على الله تعالى. ويسمى هذا النوع إيهامًا؛ لأن المتبادر إلى الذهن عند إطلاق اللفظ معناه القريب، فيتوهم السامع لأول وهلة أن المتكلم يريده، وهو ليس بمراد.

---

١ هي مصدر ورى عن كذا بتشديد الراء أي: أراده وأظهر غيره، فالتورية من معانيها ستر المعنى البعيد بالقريب.

والتورية قسمان: مجردة ومرشحة.

فالمجردة: هي التي لم تقترن بشيء يلائم المعنى القريب كالآية المتقدمة، فإن المعنى القريب "لاستوى" الاستقرار في مكان ولم يذكر شيء يلائم هذا المعنى.

والمرشحة: هي التي ذكر فيها شيء يلائم المعنى القريب، سواء ذكر الملائم قبلها أو بعدها. فمثال ذكره قبلها قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} فاليد تطلق على الجارحة وهو المعنى القريب، وتطلق على القدرة وهو المعنى البعيد المقصود بقرينة استحالة المعنى القريب على الله، وقد ذكر قبلها ما يلائم المعنى القريب، وهو قوله: {بَنَيْنَاهَا} لأن البناء إنما يكون باليد بمعنى الجارحة. ومثال ذكر الملائم بعدها قول الشاعر:

مذ همت من وجدي في خالها ... ولم أصل منه إلى اللثم

قالت: قفوا واستمعوا ما جرى ... خالي قد هام به عمي

"فالخال" يطلق على خال النسب وهو المعنى القريب، ويطلق على الخال الذي يكون في الخد وهو المعنى البعيد المقصود، وقد ذكر بعده ما يلائم معناه القريب، وهو قوله: "عمي".

اللف والنشر:

هو أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاده من غير تعيين؛ اتكالًا على أن السامع يرد إلى كلٍّ ما يليق به لوضوح الحال.

وهو قسمان: مفصل، ومجمل.

فالمفصل: أن يذكر المتعدد على سبيل التفصيل لفًّا، ثم يذكر ما لكل واحد نشرًا، سواء كان النشر على ترتيب اللف، أو على غير ترتيبه.

فالأول: كقوله تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} فقد ذكر المتعدد مفصلًا وهو {اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} ثم ذكر ما لليل

(١٦٧/١)

من السكون فيه؛ لأنه وقت نوم وراحة، وما للنهار من ابتغاء الرزق؛ لأنه وقت كد وعمل، والنشر فيه على ترتيب اللف، فالأول للأول والثاني للثاني. وكقول الشاعر:

ألست أنت الذي من ورد نعمته ... وورد راحته أجني وأغترف

فقد ذكر متعددًا على سبيل التفصيل، وهو ورد نعمته بفتح الواو وورد راحته بكسر الواو، ثم ذكر ما للأول من "الجني" وما للثاني من "الاغتراف" والنشر على ترتيب اللف كما ترى.

والثاني: وهو ما يكون النشر فيه على غير ترتيب اللف، يكون على صورتين:

الأولى: أن يكون النشر على عكس اللف، كقول الشاعر:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن ... وغزال، لحظًا، وقدًّا، وردفا

فهو كما ترى معكوس، فاللحظ للغزال، والقد للغصن، والردف للحقف وهو "الرمل المتراكم".

الثانية: أن يكون النشر مختلطًا كقوله: هو شمس وأسد وبحر جودًا وبهاء وجرأة، فالجود للبحر والبهاء للشمس والجرأة للأسد.

والمجمل: أن يذكر المتعدد على سبيل الإجمال، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاده، كقوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} .

فقد ذكر المتعدد مجملًا، وهو "الواو" في "قالوا" إذ هي عبارة عن اليهود والنصارى، ثم ذكر ما يخص كلا من الفريقين في قوله: {إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فكل أمة منهما تكفر الأخرى.

(١٦٨/١)

التوجيه ويسمى "الإيهام": وهو أن يؤتى بكلام يحتمل على السواء معنيين متباينين، أو مضادين كهجاء ومديح ليصل القائل إلى غرضه بما لا يؤخذ عليه. مثاله ما حكي عن محمد بن حزم: أنه هنأ الحسن بن سهل مع من هنأ بتزويج ابنته "بوران" للخليفة المأمون، فأثابهم وحرمه، فكتب إليه يقول: إن أنت تماديت في حرماني قلت

فيك بيتًا لا يعرف أمدح هو أو هجاء؟ فاستحضره وسأله عما كان منه فأقر، فقال الحسن: لا أعطيك، أوتفعل؟ فقال ابن حزم:

بارك الله للحسن ... ولبوران في الختن

يا إمام الهدى ظفر ... ت ولكن ببنت من؟

فلم يدر "ببنت من" في العظمة وعلو الشأن، أم في الدناءة والضعة، فاستحسن الحسن منه ذلك، وسأله: أمن مبتكراتك؟ فقال: لا، بل نقلته من شعر بشار بن برد، وكان كثير العبث بهذا النوع.

ومما يروى عنه في ذلك: أنه كلف خياطًا أعور العين يسمى "عمرًا" أن يخيط له قباء فقال له الخياط مازحًا: لأخيطنه، فلا تدري أهو جبة أم قباء؟ فقال له بشار: إذًا أنظم فيك شعرًا، لا يدري من سمعه: أدعوت لك أم عليك؟ فلما خاطه له على الصورة التي وعده بها، قال بشار:

خاط لي عمرو قباء ... ليت عينيه سواء[1]

قل لمن يعرف هذا ... أمديح أم هجاء

هكذا أخفى الشاعر مراده فلم يدر: أطلب أن تسوى العوراء بالصحيحة، فيكون دعاء له بالإبصار الكامل أم طلب أن تسوى الصحيحة بالعوراء، فيكون دعاء عليه بالعمى الكامل؟

٨- الاقتباس:

هو أن يضمن الكلام -نثرًا كان أو نظمًا- شيئًا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، ويحسن أن يمهد للمقتبس، بحيث يكون مندمجًا

---

١ روي أن اسم الخياط "زيد"، والقباء بفتح القاف: ضرب من الثياب.

في الكلام اندماجًا تامًّا. وأحسنه: ما كان في معاني الوعظ، والتذكير والزهد، وكل ما يراد به إصلاح الحال، وهو ضربان:

١- ما لا ينتقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي، كقول الحريري:

"فلم يك إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب"، وكقول الشاعر:

إن كنت أزمعت على هجرنا ... من غير ما جرم "فصبر جميل"

وإن تبدلت بنا غيرنا ... "فحسبنا الله ونعم الوكيل"

٢- ما ينتقل فيه المقتبس من معناه الأصلي، كقول ابن الرومي الشاعر العباسي:

لئن أخطأت في مدح ... لك ما أخطأت في منعي

لقد أنزلت حاجاتي ... بواد غير ذي زرع

فإن معنى "الوادي غير ذي الزرع" المقتبس من القرآن الكريم: المكان الجدب، لا ماء فيه ولا نبات، فنقله الشاعر من هذا المعنى إلى جانب لا خير فيه.

هذا، ولا يضر يسير التغيير لضرورة الشعر، كما تراه في قول الشاعر:

قد كان ما خفت أن يكونا ... إنا إلى الله راجعونا

ونصه في القرآن: {وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} . وكما تراه في قول الصاحب في الاقتباس من الحديث الشريف:

قال لي: إن رقيبي ... سيئ الخلق فداره

قلت: دعيني وجهك ... الجنة حفت بالمكاره

ونص الحديث هكذا: "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات".

٩- الجمع: هو أن يجمع بين شيئين فأكثر في حكم واحد، كقوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} جمع بين "المال والبنين" في حكم واحد هو أنهما زينة الحياة وبهجتها. وكقول ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجون نجوم

جمع بين هذه الأشياء الثلاثة في حكم واحد هو تألقها كالنجوم، يهتدى بها في دياجير الأحداث والمحن.

١٠- التفريق:

هو أن يفرق المتكلم بين أمرين متدرجين تحت جنس واحد، كقول الشاعر:

ما نوال الغمام وقت ربيع ... كنوال الأمير وقت سخاء

فنوال الأمير بدرة عين١ ... ونوال الغمام قطرة ماء

فالأمران هما "النوالان" وقد اندرجا تحت جنس واحد، وهو "العطاء" ففرق الشاعر بينهما في المنزلة، إذ جعل نوال الأمير فوق نوال الغمام، من حيث إن الأول يحل منفعة عن الثاني، وكقول الآخر:

من قاس جدواك بالغمام فما ... أنصف في الحكم بين مثلين

أنت إذا جدت ضاحك أبدًا ... وهو إذا جاد دامع العين

فرق بين الجمودين، مستندًا في التفريق إلى ما ابتدعه من هذا التعليل الجميل.

١١- التقسيم:

هو أن يذكر متعدد، ثم يضاف إلى كل من آحاده ما يخصه على التعيين، وبهذا القيد يفترق عن اللف والنشر إذ لا تعيين فيه، بل هو موكول إلى الأفهام كما ذكرنا. مثال التقسيم قول الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتد٢

هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد

ذكر متعددًا وهو "العير والوتد" ثم أضاف إلى الأول "الربط على الخسف" وهو الذل، وأضاف إلى الثاني "الشج بلا هوادة".

١٢- المبالغة:

هي أن يدعى بلوغ وصف في الشدة، أو الضعف حدًّا يستحيل، أو يبعد.

---

١ البدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم.

٢ الأذلان: مثنى الأذل، وهو المهين الحقير، والعير: الحمار، والوتد ككتف: ما يسمر في الأرض من الخشب، والرمة بضم الراء: قطعة من الحبل.

وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: تبليغ، وإغراق، وغلو.

فالتبليغ: ما يكون المدعى فيه ممكنًا عقلًا، وعادة كقول امرئ القيس:

فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكًا فلم ينضح بماء فيغسل١

يريد "بالثور": الذكر من بقر الوحش، و"بالنعجة": الأنثى منه. وصف الشاعر فرسًا له، فادعى أنه أدرك ثورًا وبقرة وحشيين في شوط واحد ولم يعرق، وهذا أمر يجيزه العقل، ولا تحيله العادة، وإن كان حصوله في غاية الندرة.

والإغراق: ما يكون المدعى فيه ممكنًا عقلًا، لا عادة كقول أبي الطيب:

روح تردد في مثل الخلال٢ إذا ... أطارت الريح عنها الثوب لم تبن

كفى بجسمي نحولا أنني رجل ... لولا مخاطبتي إياك لم ترني

فيجوز عقلًا أن يصل الشخص في النحف والهزال إلى هذه الحال، وإن امتنع ذلك في العادة.

وأحسنه: ما اقترن به ما يقربه إلى الإمكان من نحو: "لو" و"لولا" و"كاد" و"خيل إلي" و"شبه لي" وما أشبه

ذلك، والبيت المذكور من هذا القبيل لاشتماله على لفظ "لولا". والتبليغ والإغراق مقبولان؛ لعدم ظهور الكذب الموجب للرد فيهما.

والغلو: ما يكون المدعى فيه غير ممكن، لا عقلًا ولا عادة، وهو ضربان: مقبول ومردود.

فالمقبول أنواع ثلاثة:

الأول: ما اقترن به ما يقربه إلى الإمكان من نحو: {يَكَادُ} في قوله تعالى: {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} فليس معقولًا ولا معتادًا أن

---

١ عادى عداء: والى موالاة بين الصيدين، يصرع أحدهما أثر الآخر، و"دراكًا": متتابعًا، والنضح: الرشح.

٢ جمع خل بالفتح، وهو الثوب الخلق.

يضيء زيت من غير أن تمسه نار، ولكن الذي قربه إلى الإمكان، وجعل الذهن يستسيغه لفظ {يَكَادُ} الذي أفاد أن المدعى لم يكن، ولكنه قارب أن يكون مبالغة، ومن هنا كان الغلو مقبولًا.

الثاني: ما تضمن حسن تخييل، كقول المتنبي يصف خيلًا:

عقدت سنابكها عليها عثيرًا ... لو تبتغي عنقًا عليه لأمكنا١

ادعى الشاعر أن الغبار المثار فوق الرءوس من سنابك الخيل قد تراكم وتكاثف، بحيث صار أرضًا في استطاعة الخيل "لو أرادت" أن تسير عليه كما تسير على الأرض، وهذا "كما ترى" ممتنع عقلًا وعادة، ولكن الذي جعله مقبولًا مستساغًا أنه تضمن تخيلا حسنا، نشأ من ادعاء كثرة الغبار، وتكاثفه حتى صار بمثابة الأرض المعلقة في الهواء إلى ما اقترن به مما قربه إلى الإمكان، وهو لفظ "لو" الدالة على أن مدعاه لم يكن. ومنه قول المعري يصف سيفًا:

يذيب الرعب منه كل عضب ... فلولا الغمد يمسكه لسالا

الثالث: ما خرج مخرج الخلاعة والمجون، كقول الشاعر:

أسكر بالأمس إن عزمت على الشر ... ب غدا إن ذا من العجب

ادعى أن شغفه بالشراب وصل إلى درجة أن يسكر بالأمس، عند عزمه على الشرب غدا. ولا شك أن ذلك محال عقلًا وعادة، ولكن لما أتى بالكلام على سبيل الهزل والمجون كان الغلو مقبولًا. وكقول الآخر:

ومر بفكري خاطرًا فجرحته ... ولم أر خلقًا يجرحه الفكر

ادعى أن فكره جرح محبوبه وهو أمر محال الحصول في العقل والعادة، لكن خروج الكلام مخرج الخلاعة والتظرف جعله مقبولًا مساغًا.

والمردود ما ليس ممكنًا لا عقلًا، ولا عادة ولم يكن أحد الأنواع

---

١ السنابك: الحوافر، والعثير بكسر فسكون ففتح: الغبار، والعنق بفتح العين والنون: السريع، وضمير "عليها" للخيل.

السابقة، كقول أبي نواس الحسن بن هانئ يمدح هارون الرشيد:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق

يمدح الخليفة بأنه أخاف الكفار جميعًا، من وجد منهم ومن لم يوجد. وقد بالغ في إخافته أهل الشرك حتى جعله موضع خشية ورهبة للنطف التي لم توجد بعد، ومعلوم بالبداهة أن خوف النطف الموجودة محال عقلًا وعادة؛ لعدم قيام الحياة بها، فما بالك بنطف لم تخلق أصلًا، فمثل هذا غلو مردود لعدم اشتماله على شيء من موجبات القبول المتقدمة.

١٣- حسن التعليل:

هو أن يدعى لوصف "على جهة التظرف" علة مناسبة ليست له في الواقع، وهذا الوصف لا يخلو حاله من أمرين:

١- أن يكون ثابتًا، فيقصد بيان علته.

٢- أن يكون غير ثابت، فيراد إثباته بعلة مدعاة.

والأول إما ألا يظهر له في العادة علة، وإما أن تظهر له علة غير المدعاة. مثال الأول قول أبي هلال العسكري:

زعم البنفسج أنه كعذاره ... حسنًا فسلوا من قفاه لسانه

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف وصف ثابت لا علة له، وقد عالله الشاعر بما ليس علة له في الواقع وهو أنه سل لسانه من قفاه، إذ زعم أنه يشبه عذار الحبيب في الحسن كذبًا وافتراء. ومثال للثاني قول أبي الطيب المتنبي:

ما به قتل١ أعاديه ولكن ... يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

يقول: ليس هناك ما يحمله على قتل أعدائه والفتك بهم؛ لتمكنه منهم بقوة سلطانه، ولكن الذي يحمله على ذلك تحقيق ما ترجوه جماعة الذئاب من إطعامه إياهم لحوم الأعداء، وأنه لا يريد أن يخيب رجاءها فيه. فقتل

---

١ "ما" نافية، أي: ليس بالممدوح حنق أوجب قتل أعاديه.

أعاديه وصف ثابت وعلته عادة دفع مضرتهم، وخلو المملكة من منازعاتهم، ولكن الشاعر علله على سبيل التظرف بعلة أخرى ليست له في الواقع، وهي ما ذكرناه من أنه يريد أن يحقق ما ترجوه الذئاب من اتساع الرزق على يديه، بلحوم من يفتك بهم من الأعداء.

والثاني، وهو الوصف غير الثابت المراد إثباته: إما ممكن، أو غير ممكن. فمثال الوصف الممكن قول مسلم بن الوليد:

يا واشيا حسنت فينا إساءته ... نجي حذارك إنساني من الغرق

فاستحسان إساءة الواشي وصف غير ثابت عادة؛ إذ لا يستحسن الناس إساءة الوشاة، ولكنه ممكن الحصول وقد أريد إثباته، فعلله الشاعر بعلة تقتضي وقوعه في زعمه، وهي حذاره من أن يفطن الواشي، ويشعر بما عنده فيشمت به، ولأجل ذلك امتنع من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق. ومثال الوصف غير الممكن قول الشاعر:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ... لما رأيت عليها عقد منتطق١

فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ثابتة، وغير ممكنة أيضًا؛ لأن النية إنما تكون ممن له إدراك، وقد قصد إثباتها بالعلة المذكورة، وهي كونها منتطقة، أي: شادة النطاق في وسطها، كما يفعله الخادم عادة.

١٤- ائتلاف اللفظ مع المعنى:

هو أن تكون الألفاظ على وفق المعاني، فتختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الكزة الشديدة للمعنى الضخم، كالفخر والحماسة، وكالوعيد والتهديد، وتختار الألفاظ اللينة العود، الناعمة الملمس للمعنى الوديع الهادئ كالغزل، والاستعطاف، والاعتذار، ونحو ذلك من المعاني العاطفية.

فالأول كقول بشار بن برد في الحماسة والفخر:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما

١ الانتطاق: شد المنطقة في الوسط.

إذا ما أعرنا سيدًا من قبيلة ... ذُرَا منبر صلى علينا وسلما

والثاني كقول أبي العتاهية في الاستعطاف:

تذكر أمين الله حقي وحرمتي ... وما كنت توليني لعلك تذكر

فمن لي بالعين التي كنت دائمًا ... إلي بها في سالف الدهر تنظر؟

وهكذا: لكل مقام مقال، ولكل موقف مجال.

١٥- حسن الابتداء:

هو أن يكون الكلام بارع المطلع أي: لمبدئه روعة تستهوي اللب، وتستخف السمع، وذلك بأن يكون عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى؛ لأن الكلام المبتدأ به أول ما يقرع السمع، أو يقع عليه النظر، فإذا كان على هذه الصفات المذكورة وقع من قلب السامع أو القارئ موقعه من الحسن، فأقبل عليه واهتم له، ووعاه إلى نهايته وإن لم يكن لباقيه من الجودة ما لأوله. فإذا لم يكن مستهل الكلام على ما ذكرنا صدفت عنه النفس ونفرت، وإن كان باقيه رائع الحسن.

وأحسنه ما اشتمل على إشارة لطيفة إلى المقصود، ويسمى ذلك "براعة استهلال" كقول المتنبي في تهنئة سيف الدولة بإبلاله مما ألم به:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزل عنك إلى أعدائك الألم

وكقول أشجع السلمي يهنئ ببناء قصر:

قصر عليك تحية وسلام ... خلعت١ عليك جمالها الأيام

وكقول أبي تمام في مطلع قصيدة رثاء:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وينبغي أن يتجنب في مطالع المديح والتهاني ما يتطير منه، كقول ابن مقاتل الضرير في مطلع قصيدة يمدح فيها الداعي العلوي:

١ ضمن "خلع" معنى طرح، فعداه للمفعول الثاني "بعلى" والمعنى: أن الأيام نزعت جمالها، وطرحته على ذلك القصر.

"موعد أحبابك بالفرقة١ غد"

وعند إنشادها تطير العلوي وقال: بل موعد أحبابك يا أعمى، ولك المثل السوء. وروي أن ابن مقاتل هذا دخل على العلوي المذكور في يوم المهرجان٢ فأنشده:

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... غرة الداعي ويوم المهرجان

فتطير به الداعي العلوي، وأمر بإلقائه على وجهه وضربه خمسين عصا، وقال: إصلاح أدبه خير من إثابته.

١٦- حسن الختام:

أن يكون الكلام بارع المقطع أي: في ختامه روعة تهتز لها النفس، ويطرب لها السمع؛ ذلك أن ختام الكلام هو آخر ما تعيه الأذن، ويرتسم في الخيال، فإن كان حسنًا هفت إليه النفس، واستلذه السمع، وقد يكون جابرًا لما عساه قد وقع من نقص أو تقصير، فإن لم يكن الانتهاء حسنًا رائعًا كان الأمر على العكس من صدوف النفس ونفورها، واستكراه السمع ومجه، وقد ينسي ذلك ما تقدم من محاسن الكلام، فيعود السامع أو القارئ على مجموعه بالذم وإن كان حسنًا.

وصفوة القول: أن ما يختم به الكلام بمثابة الطعام، يؤتى به في ختام الأطعمة، فإن كان حلوًا لذيذًا أنسى مرارة أو ملوحة ما قبله، وإن كان مرًّا أو مالحًا أنسى حلاوة أو عذوبة ما قبله.

ومثال ما في ختامه روعة قول أبي نواس في المدح:

وإني جدير "إذ بلغتك" بالمنى ... وأنت بما أملت منك جدير

فإن تولني منك الجميل فأهله ... وإلا فإني عاذر وشكور

وأروعه، ما آذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوف إلى ما وراءه، ويسمى ذلك "براعة المقطع" كقول أبي العلاء:

---

١ بضم الفاء وسكون الراء اسم موضع، ولكن لما كان يوهم معنى الفراق كان موضع تطير وشؤم.

٢ يوم المهرجان أول يوم من فصل الخريف، وهو عندهم يوم فرح وسرور.

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامل

وكقول ابن حجة:

عليك سلام نشره كلما بدا ... به يتغالى الطيب والمسك يختم

وكقولي في مدحة يوم عيد:

يا ناظم النجم كن "عوني" فقد عطلت ... أجياد غيدي وإن أبدعت تقليدي

ويا ملوك القوافي أستميحكم ... عفو الكرام فهذا كل مجهودي

تمرين:

١- تكلم باختصار عن تاريخ علم البديع.

٢- وضح الفرق بين هذه العلوم الثلاثة: البيان، والمعاني، والبديع.

٣- عرف علم البديع وقسم وجوه الحسن فيه، وبين كل قسم مع التمثيل.

٤- بين أنواع المحسنات البديعية فيما يأتي:

١- {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} .

٢-

حملناهم طرًّا على الدهم بعدما ... خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

٣- {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} .

٤- {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} .

٥-

إن الشباب والفراغ والجدة[1] ... مفسدة للمرء أي مفسدة

٦-

حسبت جماله بدرًا منيرًا ... وأين البدر من ذاك الجمال؟!

٧-

فما هو إلا الوحي أو حد مرهف ... تميل ظباه أخدعي كل مائل[2]

فهذا دواء الداء من كل عالم ... وهذا دواء الداء من كل جاهل

---

١ الاستغناء.

٢ "المرهف": السيف القاطع، و"ظباه" جمع: ظبة، وهي حد السيف، والأخدعان: تثنية أخدع، وهو مجرى من مجاري الدم، إذا قطع مات صاحبه.

(١٧٨/١)

-٨

فتى تم فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

-٩

فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيه ووجنتيه وريقه

١٠- قال الله تعالى: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} .

-١١

أيها السائل قوما ... ما لهم في الخير مذهب

اترك الناس جميعًا ... "وإلى ربك فارغب"

-١٢

تكاد قسيه من غير رام ... تمكن في قلوبهم النبالا

-١٣

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

-١٤

وكنا إذا الجبار صعر خده ... ضربناه حتى تستقيم الأخادع

-١٥

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا ... وطالع السعد في أفق العلا صعدا

-١٦

وإني محب لطه ومن ... يحب النبي فحاشا يضام

نبي كريم رءوف رحيم ... عليه الصلاة وأزكى السلام

(١٧٩/١)

المحسنات اللفظية:

منها: ١- الجناس ويقال له: المجانسة والتجانس، ولا يحسن في الكلام إلا إذا وافق مصنوعه مطبوعه، فينبغي أن ترسل المعاني على سجيتها لتكتسي من الألفاظ ما يزينها، فيكون ذلك أدعى لميل النفس، وأملك لزمام السمع.

تعريفه: أن يتفق اللفظان في وجه من الوجوه الآتية بعد مع اختلاف المعنى، وهو نوعان: تام وغير تام.

الجناس التام: هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء: في نوع الحروف، وعددها، وهيئتها، وترتيبها.

كقوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} فلفظتا "ساعة" في الآية قد اتفقتا في هذه الأشياء المذكورة، مع اختلافهما في المعنى؛ إذ قد أريد بالساعة في الأول "القيامة"، وفي الثاني: "الساعة الزمنية".

(١٧٩/١)

وهو أنواع ثلاثة: مماثل، ومستوفي، ومركب.

فالمماثل١: أن يتفق اللفظان في نوع الكلمة، بأن يكونا اسمين، أو فعلين، أو حرفين.

فالاسمان كالآية المتقدمة، فإن لفظي الساعة فيها من نوع الاسم، وكقول أبي تمام:

فأصبحت غرر الأيام مشرقة ... بالنصر تضحك من أيامك الغرر

"فالغرر" الأولى بمعنى البياض والإشراق، والثانية بمعنى الكرم والشرف، وكلتاهما من نوع الاسم، وكقول الشاعر:

حدق الآجال آجال ... والهوى للمرء قتال

"فالآجال" الأولى جمع: إجل بكسر فسكون، وهو القطيع من بقر الوحش، والثانية جمع: أجل بفتح الهمزة والجيم، وهو أمد العمر، وكلتاهما أيضًا من نوع الاسم.

والفعلان كقولك: فلان يجيد أمرين: يضرب في البيداء فلا يضل، ويضرب في الهيجاء فلا يكل. "فيضرب" الأول بمعنى قطع المسافة، والثاني بمعنى الحمل على الأعداء، وكلاهما من نوع الفعل.

والحرفان كقولك: تذرع بالصبر تظفر به، فالباء الأولى للتعدية والثانية للتسمية، وكلاهما من نوع الحرف.

والمستوفي٢: أن يختلف اللفظان في نوع الكلمة، بأن يكون أحدهما اسمًا والآخر فعلًا، أو أحدهما حرفًا والآخر اسمًا أو فعلًا.

فمثال الاسم مع الفعل قول أبي تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيا لدى يحيى بن عبد الله

---

١ سمي هكذا؛ لاتحاد نوع الحرف فيه.

٢ سمي بذلك؛ لاستيفاء كل من اللفظين أوصاف الآخر، وإن اختلفا في النوع.

(١٨٠/١)

"فيحيا" الأول فعل مضارع، والثاني اسم علم على الممدوح، وكقول بعضهم:

إذا رماك الدهر في معشر ... قد أجمع الناس على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

والشاهد في البيت الثاني، فإن كلا من "دارهم وأرضهم" في الأول فعل أمر، وفي الثاني اسم.

ومثال الاسم مع الحرف قولهم: "رب رجل شرب رب رجل آخر" "فرب" الأولى حرف جر والثانية اسم للعصير المستخرج من العنب.

ومثال الفعل مع الحرف قولك: علا محمد –عليه الصلاة والسلام– على جميع الأنام "فعلا" الأول فعل ماضٍ بمعنى ارتفع، والثاني حرف جر.

والمركب: أن يكون كلا اللفظين أو أحدهما مركبًا.

فالأول –وهو ما يكون اللفظان مركبين– كقول الشاعر:

فلم تضع الأعادي قدر شاني ... ولا قالوا: فلان قد رشاني

فاللفظ الأول مركب من القدر والشأن، والثاني مركب من "قد" الحرفية ومن الفعل المشتق من الرشوة، ويسمى هذا النوع جناسًا ملفقًا.

والثاني –وهو ما يكون أحد اللفظين فيه مركبًا– أنواع ثلاثة: مرفو، ومتشابه، ومفروق.

فالمرفو١: ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمة، وجزء كلمة كقولهم: "أهذا مصاب أم طعم صاب" فاللفظ الأول مفرد؛ إذ هو "اسم مفعول" من "أصاب" والثاني مركب من كلمة هي لفظ "صاب" بمعنى العلقم وجزء كلمة وهو "الميم" من طعم.

والمتشابه٢: ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمتين، مع اتفاق اللفظين في الخط كقول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذا هبة ... فدعه فدولته ذاهبة

---

١ سمي "مرفوا" أخذا من قولهم: رفأ الثوب، إذا جمع ما تمزق منه بالخياطة، وكأننا أخذنا الميم من "طعم" ورفأنا بها "صاب" فصارت: "مصاب".

٢ سمي بذلك؛ لتشابه اللفظين في الخط.

فاللفظ الأول مركب من كلمتين هما: "ذا" و"هبة" بمعنى صاحب عطية أي: كريم، والثاني مفرد، وهو اسم فاعل من الذهاب وقد اتفق اللفظان في الخط "كما ترى"، وكقولهم: يا مغرور أمسك، وقس يومك بأمسك، فاللفظ الأول مفرد، وهو فعل أمر مشتق من الإمساك، بمعنى الكف عن الشيء، والثاني مركب من كلمتين هما: أمس وكاف الخطاب وقد اتفقا في الخط أيضًا.

والمفروق١: ما كان اللفظ المركب فيه مركبًا من كلمتين، مع اختلاف اللفظين في الخط كقول الشاعر:

لا تعرضن على الرواة قصيدة ... ما لم تكن بالغت في تهذيبها

فإذا عرضت الشعر غير مهذب ... عدوه منك وساوسا تهذي بها

فاللفظ الأول مفرد وهو مصدر "هذب" بالتضعيف، والضمير المضاف إليه بمثابة الجزء منه، والثاني مركب من كلمتين هما: "تهذي" و"بها" من الهذيان وهو الاختلاط في القول، وقد اختلف اللفظان في الخط كما ترى.

الجناس غير التام: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأشياء الأربعة السابقة، وهو على أربعة أحوال؛ لأن الاختلاف إما في نوع الحروف، أو في عددها، أو في هيئتها، أو في ترتيبها.

الاختلاف في النوع: إذا اختلف اللفظان في نوع الحروف كان الجناس على نوعين: مضارع، ولاحق.

فالمضارع٢: ما كان فيه الحرفان اللذان وقع بينهما الاختلاف متقاربين في المخرج، سواء أكانا في أول اللفظ، أو في وسطه، أو آخره.

فالأول نحو قولهم: بيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس٣، فالدال

---

١ سمي بذلك؛ لافتراق اللفظين في الخط.

٢ سمي بذلك؛ لمضارعة المباين من اللفظين لصاحبه في المخرج.

٣ الدامس: الشديد الظلمة، والطامس: المطموس، وهو الذي لا يتبين فيه أثر يهتدى به.

في "دامس" والطاء في "طامس" مختلفان في النوع، إلا أنهما متقاربان في المخرج؛ لأنهما خارجان من اللسان.

والثاني كقوله تعالى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} فالهاء والهمزة مختلفان في النوع، إلا أنهما متقاربان في المخرج؛ إذ هما حلقيان.

والثالث كقوله صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقود في نواصيها الخير" فبين اللام والراء اختلاف في النوع، وتقارب في المخرج "لخروجهما من اللسان".

واللاحق[1]: ما كان فيه الحرفان المختلفان متباعدين في المخرج، سواء أكانا في أول اللفظ، أو في وسطه، أو في آخره كذلك.

فالأول نحو قوله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} فالهاء واللام متباعدتان في المخرج، فالأولى حلقية، والثانية لسانية.

والثاني نحو قوله تعالى: {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} فبين الهاء في "شهيد" والدال في "شديد" تباعد في المخرج؛ إذ الأولى حلقية والثانية لسانية.

والثالث نحو قول أبي عبادة البحتري، أحد شعراء الدولة العباسية:

ألمن فات من تلاق تلاف ... أم لشاك من الصبابة شاف؟

والشاهد في "تلاق وتلاف" فإن القاف والفاء فيهما متباعدتان في المخرج كما ترى.

تنبيه: يشترط في اللفظين المختلفين في نوع الحروف ألا يقع الاختلاف في أكثر من حرف واحد، وإلا لم يبق بينهما تجانس لفظي "كنصر ونكل".

الاختلاف في العدد: إذا اختلف اللفظان في عدد الحروف، بأن يكون عدد أحد اللفظين زائدًا سمي "الجناس الناقص" لنقصان أحد اللفظين عن الآخر، وهو على أنواع: مطرف، ومكتنف، ومذيل.

فالمطرف: ما كان فيه الزيادة في أول اللفظ، كما في قوله تعالى: {وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} بزيادة الميم في أول اللفظ الثاني.

---

[1] سمي بذلك؛ لأن أحد اللفظين ملحق بالآخر في الجناس، باعتبار معظم الحروف.

والمكتنف: ما كان فيه الزيادة في وسط اللفظ نحو قولهم: جدي جهدي، بفتح الجيم فيهما وزيادة الهاء وسطا في الثاني.

والمذيل: ما كان فيه الزيادة في آخر اللفظ كقول أبي تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم ... تصول بأسياف قواض قواضب[1]

فقد زيد ميم في "عواصم" وباء في "قواضب" وكلتا الزيادتين في الآخر، وكقول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

إن البكاء هو الشفا ... ء من الجوى بين الجوانح

فبين الجوى والجوانح جناس مذيل؛ لأن الثاني زاد عن الأول بحرفين في آخره.

الاختلاف في الهيئة: إذا اختلف اللفظان في هيئة الحروف، كان الجناس على نوعين: محرف، ومصحف.

فالمحرف[2]: ما اختلف فيه اللفظان في الحركات والسكنات، نحو قولهم: جبة البرد جنة البرد، فبين البرد والبرد جناس محرف؛ لاختلافهما في الهيئة، إذ إن الأول بضم الباء وهو ضرب من الثياب، والثاني بفتحها وهو ضد الحر، وكقولهم: الجاهل إما مفرط أو مفرط؛ فالأول اسم فاعل من الإفراط وهو تجاوز الحد، والثاني اسم فاعل من التفريط وهو التقصير.

والمصحف[3]: ما اختلف فيه اللفظان نقطًا بحيث لو زال إعجام أحدهما، أو كليهما لم يتميز أحدهما عن الآخر، كقول أبي نواس:

من بحر شعرك أغترف ... ويفيض علمك أعترف

فبين "أغترف وأعترف" جناس مصحف، إذ ليس بينهما خلاف إلا بالنقط بحيث لو تجرد كلاهما عنه، لم يتميز أحدهما عن الآخر.

---

١ عواص جمع: عاصية من العصيان، وعواصم جمع: عاصمة من العصمة، أي: عاصيات على أعدائهم عاصمات لأوليائهم، وقواض جمع: قاضية من القضاء وهو الإهلاك، وقواضب جمع: قاضبة من القضب، وهو القطع أي: مهلكة قاطعة.

٢ سمي بذلك؛ لانحراف إحدى الهيئتين عن الأخرى.

٣ سمي بذلك؛ لتشابه اللفظين في الخط، من التصحيف وهو التشابه خطا.

الاختلاف في الترتيب: إذا اختلف اللفظان في ترتيب الحروف سمي "جناس القلب" وهو على أربعة أنواع: قلب كل، قلب بعض، مجنح، مستو.

فالقلب الكلي: ما انعكس فيه الترتيب كقولهم: حسامه فتح لأوليائه وحتف لأعدائه، فبين "فتح وحتف" جناس قلب كلي؛ لانعكاس الترتيب فيهما انعكاسًا كليًّا إذ إن "حتف" مقلوب "فتح".

والقلب الجزئي: ما انعكس فيه الترتيب بعضًا نحو: "اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا" فانعكاس الترتيب فيه ليس في جميع الحروف كما ترى.

والمجنح[1]: ما كان فيه أحد اللفظين اللذين وقع بينهما القلب في أول البيت والآخر في آخره، كأنه ذو جناحين كقول الشاعر:

قد لاح أنوار الهدى ... في كفه في كل حال

فاللفظ الأول وهو "لاح" وقع في أول المصراع الأول، والثاني وهو لفظ "حال" وقع في آخر المصراع الثاني.

والمستوي[2]: ما كان اللفظ فيه بحيث لو عكس، وبدئ بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير نحو: "كل في فلك" فإنك لو عكست هذا التركيب، فبدأت من الكاف في "فلك" كان هو بعينه، ولبعض الأدباء رسالة كبيرة في هذا النوع من البديع.

٢- رد العجز على الصدر، ويكون في النثر، وفي النظم.

فهو في النثر: أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المجانسين في اللفظ دون المعنى، أو الملحقين بالمتجانسين، وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق، في أول الفقرة، والآخر في آخرها.

---

١ سمي بذلك؛ لأن اللفظين اللذين وقع بينهما القلب بمنزلة جناحين للبيت، وهو كما قيل خاص بالشعر.

٢ سمي بذلك؛ لاستواء التركيب قبل العكس وبعده.

فمثال المكررين قوله تعالى: {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} فقد جعل أحد اللفظين المكررين، أي: المتفقين لفظا ومعنى في أول الفقرة، والثاني في آخرها كما تراه في الآية الكريمة.

ومثال المتجانسين قوله: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، فالأول مأخوذ من السؤال، والثاني من السيلان.

ومثال الملحقين بالمتجانسين اشتقاقًا قوله تعالى: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} فاللفظان المذكوران يجمعهما مصدر واحد هو الغفران.

ومثال الملحقين بالمتجانسين بشبه اشتقاق قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ} فبين {قَالَ} و {الْقَالِينَ} شبه اشتقاق، من حيث الحروف الأصول، وهي "القاف واللام" وإلا فإن مصدر {قَالَ} القول، ومصدر {الْقَالِينَ} القلى أي: البغض، فالمصدران مختلفان مدلولًا.

وهو في النظم: أن يكون أحد اللفظين الموصوفين بأحد الأوصاف السابقة في آخر البيت، والآخر إما في صدر المصراع الأول، أو في حشوه، أو في آخره، أو في صدر المصراع الثاني.

فالمثال الأول للمكررين قول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعي الندى بسريع

فالمكرر الآخر في صدر المصراع الأول. والمثال الثاني لهما قول الشاعر:

تمتع من "شميم" عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار١

فالمكرر الآخر في حشو المصراع الأول. والمثال الثالث لهما أيضًا قول الشاعر:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرمًا ... فما زلت بالبيض القواضب مغرما٢

---

١ النجد هنا: ما ارتفع من بلاد العرب، والعرار: وردة ناعمة طيبة الرائحة.

٢ الكواعب جمع: كاعب، وهي الجارية حين يبدو ثديها للنهود، والبيض القواضب: السيوف القواطع.

فالمكرر الآخر في آخر المصراع الأول. والمثال الرابع قول الشاعر:

وإن لم يكن إلا معرج ساعة ... قليلًا فإني نافع لي قليلها١

فالمكرر الآخر في أول المصراع الثاني كما ترى.

والمثال الأول للمتجانسين قول الشاعر:

دعاني من ملامكما سفاها٢ ... فداعي الشوق قبلكما دعاني

فالمتجانس الآخر في صدر المصراع الأول، وهو بمعنى "اتركاني" والذي في آخر البيت بمعنى الدعاء. وهكذا يمثل للملحقين بالمتجانسين اشتقاقًا، أو شبه اشتقاق، غير أنه لم يحضرنا أمثلة لهما في النظم.

٣- العكس: هو أن يقدم جزء من الكلام على آخر، ثم يعكس فيؤخر ما قدم، ويقدم ما أخر كما تقول: قول الإمام إمام القول، فقد قدم القول على الإمام ثم عكس، فقدم الإمام بعد تأخيره، وأخر القول بعد تقديمه، ويقع العكس على وجوه:

أحدها: أن يقع بين أحد طرفي جملة، وما أضيف إليه ذلك الطرف، كما تقدم في المثال السابق فإن لفظ "قول" أحد طرفي الجملة المذكورة لأنه المبتدأ، ولفظ "الإمام" مضاف إليه ذلك الطرف قد وقع العكس بينهما، فقدم أولًا القول على الإمام، ثم عكس فقدم الإمام على القول، ومثله قولهم: عادات السادات سادات العادات، ويقال فيه ما قيل في الأول. يريد أن يقول: إن الأمور المعتادة للأشراف والأكابر أفضل وأشرف من الأمور المعتادة لغيرهم من الناس.

---

١ اسم يكن عائد على الإلمام المفهوم من البيت قبله، وهو قوله: "ألما على الدار التي لو وجدتها ... إلخ" و"معرج" خبرها وهو اسم مفعول بمعنى المصدر، أي: وإن لم يكن الإلمام إلا تعريج ساعة، والمراد بالتعريج الإقامة، و"قليلا" صفة مؤكدة لمعنى القلة، إلا تعريجا قليلًا في ساعة.

٢ بفتح السين منصوب على التمييز من السفه، وهو خفة العقل.

ثانيها: أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} فالحي والميت متعلقان "بيخرج" في الجملتين، وقد قدم أولًا الحي على الميت، ثم عكس فقدم الميت على الحي.

ثالثها: أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى: {لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} فاللفظان هما: ضمير الذكور وضمير الإناث، وهما واقعان في طرفي كل جملة من هاتين الجملتين، وقد قدم في الجملة الأولى ضمير الإناث على ضمير الذكور، ثم عكس وقدم في الجملة الثانية ضمير الذكور على ضمير الإناث.

٤- السجع:

هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، والفاصلة: هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى، وتسمى كل واحدة من هاتين الجملتين "قرينة" لمقارنتها لأخرى كما تسمى "فقرة".

وهو على ثلاثة أنواع: مطرف، ومرصع، ومتواز.

فالمطرف١: ما اختلف فيه الفاصلتان وزنا، كقوله تعالى: {مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} ف {وَقَارًا} فاصلة القرينة الأولى؛ لأنها الكلمة الأخيرة منها، و {أَطْوَارًا} فاصلة القرينة الثانية وقد اختلفتا في الوزن؛ لأن ثاني {وَقَارًا} متحرك وثاني {أَطْوَارًا} ساكن.

والمرصع٢: ما كان فيه ألفاظ إحدى القرينتين كلها، أو جلها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى في الوزن والتقفية٣ كما في قول الحريري: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

فجميع ما في القرينة الثانية موافق لما يقابله من الأولى وزنًا وتقفية، "فيطبع" موازن "ليقرع" والقافية فيهما العين، والأسجاع موازن للأسماع والقافية فيهما العين أيضًا و"جواهر" موازن "لزواجر"

---

١ سمي "مطرفًا"؛ لأن ما وقع به التوافق إنما هو الطرف، وهو الحرف الأخير.
٢ سمي كذلك؛ تشبيها له بالعقد تجعل فيه إحدى اللؤلؤتين في مقابلة الأخرى.
٣ هي الاتفاق على الحرف الأخير.

والقافية فيهما الراء، و"لفظه" موازن "لوعظه" والقافية فيهما الظاء ولو أبدل لفظ الأسماع "بالآذان" كان مثلًا لما يكون أكثر ما في القرينة الثانية موافقًا لما يقابله من الأولى.

والمتوازي١: ما لم يكن جميع ما في القرينة، ولا أكثره مثل ما يقابله من الأخرى. وهذا صادق بأمور ثلاثة:

١- أن يكون الاختلاف في الوزن والتقفية معًا.

٢- أن يكون الاختلاف في التقفية دون الوزن.

٣- أن يكون الاختلاف بالعكس.

فمثال الأول: قوله تعالى: {فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} فالقرينتان: هما {سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ} و {وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} ولفظ {فِيهَا} لا اعتبار له لعدم وجود ما يقابله فـ {سُرُرٌ} وهو نصف القرينة الأولى يقابله {وَأَكْوَابٌ} من القرينة الأخرى، وقد اختلفتا وزنًا وتقفية.

ومثال الثاني قولهم: حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت٢ "فحصل" في القرينة الأولى على زنة "هلك" في القرينة الثانية، ولكنهما اختلفتا تقفيه؛ إذ إن قافية الكلمة الأولى هي "اللام" وقافية الثانية "الكاف" وكذا يقال في: الناطق والحاسد.

ومثال الثالث قوله تعالى: {وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا} فقد اختلف "المرسلات والعاصفات" في الوزن، فالأولى على زنة "مفعلات" والثانية على زنة "فاعلات" ولكنهما توافقتا في التقفية؛ إذ إن قافيتهما معًا "التاء".

---

١ سمي بذلك لتوازن الفاصلتين، أي: توافقهما وزنا وتقفية دون رعاية غيرهما، ويكفي في التسمية أدنى اعتبار.
٢ الناطق: الرقيق، والصامت كالخيل ونحوها من سائر الحيوان.

وأحسن السجع: ما تساوت قرائنه في عدد الكلمات، كما في قوله تعالى: {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} ١ فهذه قرائن ثلاث متساوية في أن كلًّا مركب من كلمتين. ويليه ما طالت قرينته الثانية أو الثالثة، فالأولى كما في قوله تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} فهاتان قرينتان ثانيتهما أكثر عددا من الأولى، والثانية كقوله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} فقوله: {ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} قرينة ثالثة، وهي أطول من سابقتيها، كما هو ظاهر.

ولا يحسن أن يؤتى بالقرينة الثانية أو الثالثة أقصر مما سبقتها؛ لأن السجع قد استوفى أمده في الأول، فإذا جاء الثاني أقصر بقي الإنسان عند سماعه بمثابة من يريد الانتهاء إلى غاية، فيعثر دونها.

٥- الازدواج: هو تجانس اللفظين المتجاورين كقوله تعالى: {مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} ونحو: من جد وجد ومن لج ولج، وما أشبه ذلك.

٦- لزوم ما لا يلزم: وهو أن يلتزم الناظم أو الناثر قبل الروي نظمًا، أو قبل الحرف الأخير في الفاصلة نثرًا ما ليس بلازم، كالتزام حرف وحركة، أو كالتزام أحدهما بحيث يتم النظم، أو السجع بدونه.

فمما التزم فيه الحرف والحركة معًا قول الطغرائي٢ في لاميته المشهورة:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وكقوله تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ} .

فحرف الروي٣ في البيت هو اللام، وقد جيء قبله بطاء مفتوحة في المصراعين، وهو ليس بلازم والحرف المقابل للروي في الآية هو "الراء" وقد جيء قبله بهاء مفتوحة في الفقرتين، وهو ليس بلازم كذلك؛ إذ يتم النظم في الأول، والسجع في الثاني بدونهما.

---

١ السدر: شجر النبق، و {مَخْضُودٍ} : مقطوع الشوك، والطلح: نوع ضخم من الشجر.

٢ هو شاعر جليل أصبهاني الأصل، برع في الكتابة والشعر حتى كان أوحد زمانه.

٣ هو الحرف الذي بني عليه القصيدة في آخر البيت، وتنسب إليه، فيقال: قصيدة ميمية، أو لامية، وهكذا.

ومما التزم فيه الحركة فقط قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمأل

فقد التزم الفتح فقط في الحرف الذي قبل الروي، وهو ليس بلازم.

ولأبي العلاء المعري الباع الطويل في هذا النوع، وها هي ذي لزومياته شاهد صدق على ذلك.

تمرين يطلب جوابه:

بين أنواع المحسنات اللفظية فيما يأتي:

١-

لو زارنا طيف ذات الحال أحيانًا ... ونحن في حفرة الأحداث أحيانا

٢-

عضنا الدهر بنابه ... ليت ما حل بنا به

لا يوالي الدهر إلا ... خاملًا ليس بنابه

٣-

والمكر مهما اسطعت لا تأته ... لنقتني السؤدد والمكرمة

٤-

فهمت كتابك يا سيدي ... فهمت ولا عجب أن أهيما

٥- رحبة رحبة.

٦- قال الحريري: فمحرابي أحرى بي وأسمالي١ أسمى٢ لي.

٧- البرايا أهداف البلايا.

٨- بذلت الجهد لحافظ العهد.

٩- قال البحتري:

لئن صدفت عنا فربت أنفس ... صواد إلى تلك الوجوه الصوادف٣

وكم سبقت منه إلى عوارف ... ثنائي على تلك العوارف وارف

١٠- البدعة شرك الشرك.

١١- قال تعالى: {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} .

١٢-

ممنعة منعمة رداح ... يكلف لفظها الطير الوقوعا

١٣- جئت من حلب ببلح

١٤- حر الكلام كلام الحر

---

١ جمع سمل، على زنة حذر: الثوب الخلق.

٢ من السمو.

٣ الصوادي جمع صادية وهي العطشى، والصوادف جمع صادفة وهي المعرضة.

(١٩١/١)

١٥-

فيا سعد حدثنا بأخبار من مضى ... فأنت خبير بالأحاديث يا سعد

١٦-

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم؟

١٧- {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} .

١٨- من علم سلم.

١٩-

سأشكر عمرًا ما تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن١ وإن هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي٢ من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

تمرين آخر يطلب جوابه:

لا خاب من استخار، ولا ندم من استشار. ما مات من أحيا علمًا، ولا افتقر من ملك حلمًا. سر بى فسر بى طلقوا وطني. الشرط أملك عليك أم لك؟ فلان طويل النجاد، وطلاع النجاد.

وقلت للائمي: أقصر فإني ... سأختار المقام على المقام

في الحديث: "عليكم بالأبكار؛ فإنهن أشد حبًّا وأقل خبًّا".

وخز الأسنة والخضوع لناقص ... أمران في رأي النهى مران

والرأي فيما دونه الأمران أن ... تختار وقع أسنة المران

وكم غرر من بره ولطائف ... لشكري على تلك اللطائف طائف

فإن حلوا فليس لهم مقر ... وإن رحلوا فليس لهم مفر

كلكم قد أخذ الجام ولا جام لنا ... ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا؟

فكم لجباه الراغبين لديه من ... مجال سجود في مجالس جود

آس أرملا إذا عسرا ... وارع إذا المرء أسا

قال بعضهم: غرك عزك، فصار قصار ذلك ذلك، فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدى.

فالهم ألهمنا الهداية، ووفقنا إلى الصواب، وجنبنا فاحش الفعل قولًا وعملًا، و {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} .

---

١ لم تقطع.

٢ الخلة بفتح الخاء: الحاجة.

أسئلة لامتحانات رسمية:

نصوص امتحانات سابقة للنقل من الأولى إلى الثانية:

الدور الأول لسنة ١٣٥٥هـ دراسية:

١- اشرح المعاني الاصطلاحية للألفاظ الآتية مع التمثيل:

بلاغة الكلام، التشبيه الملفوف، تشبيه التسوية، التشبيه المرسل، الاستعارة التخييلية، كناية النسبة، الرجوع، حسن التعليل.

٢- اشرح أربعة من الأغراض التي تقصد من التشبيه، ومثل لكل غرض.

٣- بين ما في البيتين الآتيين من البديع:

ألا بأبينا جعفر وبأمنا ... نقول إذا الهيجاء سار لواؤها

ولا عيب فيه غير ما خوف قومه ... على نفسه ألا يطول بقاؤها

ثم تكلم من علم البيان على ما تحته خط في الأبيات الآتية:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا ... جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا

فكابروا المجد حتى مل أكثرهم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

٤- مثل من إنشائك لكل ما يأتي:

مجاز مركب، استعارة مطلقة، كناية يراد بها صفة، تشبيه المشبه فيه حسي والمشبه به عقلي.

الدور الأول لسنة ١٣٦٠هـ دراسية:

القواعد:

١- اشرح المعاني الاصطلاحية للألفاظ الآتية:

ضعف التأليف، التعقيد المعنوي، الاستعارة بالكناية، الاستعارة التمثيلية.

٢- يقولون: إن التشبيه يتفاوت في المبالغة قوة وضعفًا باعتبار ذكر الأركان وتركها. اشرح ذلك مع التوضيح بالأمثلة.

(١٩٣/١)

٣- أجب على ما يأتي:

أ- افرق بين المجاز المرسل والاستعارة، ومثل لكل منهما.

ب- متى يعتبر الترشيح والتجريد في الاستعارة؟ بين ذلك في مثالين تأتي بهما.

ج- لِمَ كان المجاز أبلغ من الحقيقة؟ اشرح ذلك في مثال من عندك.

التطبيق:

١- بين نوع كل استعارة وقرينتها في كل مما يأتي:

أ- شر الناس من يهدم دينه ليبني دنياه.

ب-

شراء النفوس بالإحسان ... خير من بيعها بالعدوان

ج- أولى الناس بزمام الحكم من يبسط جناح رحمته على الرعية.

٢- ما نوع الكناية فيما يأتي:

أ- قالت أعرابية لبعض الولاة: أشكو إليك قلة الجرذان.

ب-

ودبت له في موطن الحلم علة ... لها كالصلال الرقش شر دبيب

ج- قولهم في مدح الشخص: المجد ملء إهابه.

د- وقولهم: فتى ذكره على مشرق الشمس والمغرب.

٣- بين ما في الأبيات الآتية من أنواع البديع:

أ-

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن ... إلى رد أمر الله فيه سبيل

ب-

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

ج-

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

ومولع بفخاخ ... يمدها وشباك

قالت لي العين ماذا ... تصيد قلت كراكي

الدور الثاني لسنة ١٣٦٠هـ دراسية:

القواعد:

١- افرق بين الحال ومقتضى الحال، وخاطب من ينكر كرمك بعبارة تطابق مقتضى الحال، مع بيان ذلك فيها، ثم بين على أي شيء يتوقف حصول البلاغة؟

(١٩٤/١)

٢- عرف كلا من الاستعارة المرشحة والمطلقة والمجردة، ورتبها بحسب تفاوتها في المبالغة، مع التمثيل والتوجيه لما تذكر.

٣- أجب على ما يأتي:

أ- لماذا لا تجري الاستعارة في علم الشخص؟ وهل ذلك مطرد؟

ب- اشرح أغراض التشبيه التي تعود على المشبه به، مع التمثيل.

التطبيق:

١- بين نوع المجاز فيما تحته خط مما يأتي، وأجر الاستعارة فيما فيه استعارة:

أ-

كفى بالمرء عيبًا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

ب-

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

جـ- {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} .

د- حفر محمد علي ترعة المحمودية.

هـ- سكنت القاهرة.

٢- مثل من إنشائك لما يأتي: استعارة مكنية، مجاز مرسل علاقته السببية، استعارة تبعية في مشتق، وجه شبه عقلي، تشبيه ملفوف.

٣- اذكر ما في الأمثلة الآتية من أنواع البديع:

أ-

لا يذكر الرمل إلا حن مغترب ... له إلى الرمل أوطار وأوطان

ب-

أرى بدر السماء يلوح حينا ... ويبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك لأنه لما تبدى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا

ج-

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب ... تحرك يقظان التراب ونائمه

د-

ألست أنت الذي من ورد نعمته ... وورد راحته أجني وأغترف؟

الدور الأول لسنة ١٢٦١هـ دراسية:

١- اشرح المعاني الاصطلاحية للألفاظ الآتية، مع التمثيل:

فصاحة الكلمة، التعقيد اللفظي، بلاغة الكلام، الحقيقة العقلية، التوجيه، الاقتباس. "٦-٤٠"

٢- عرف الاستعارة، واذكر ما لا بد منه فيها. ثم بين متى تأتي في علم الشخص، ومتى يمتنع تأتيها فيه ومثل لما تقول. "٨-٤٠"

٣- ما هي القرينة؟ ولم انقسم اللفظ المستعمل في غير ما وضع له بسببها إلى مجاز وكناية؟ ثم لم كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه؟ وما معنى هذه الأبلغية؟ "٥-٤٠"

٤- أجب على ما يأتي:

أ- متى تكون الاستعارة أصلية، ومتى تكون تبعية؟

ب- متى يكون المجاز المركب استعارة تمثيلية، ومتى يسمى مثلًا؟

ج- لم كانت الاستعارة المرشحة أبلغ من غيرها؟ "٥-٤٠"

التطبيق:

١- أ- ميز المؤكد من المرسل في التشبيهات الآتية، واذكر الغرض من كل تشبيه:

والغيث منهل يسح كأنه ... دمع المودع إثر إلف سائر

تصوغ لنا أيدي الربيع حدائقا ... كعقد عقيق بين سمط لآلي

أنت نجم في رفعة وضياء ... تجليك العيون شرقًا وغربا

"٣-٤٠"

٢- بين نوع الكناية في هذه الأمثلة:

ضربت العظمة سرادقها على محمد، فلان يفترش الغبراء، ويلتحف السماء.

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم

"٣-٤٠"

٣- هات مثالًا لكل مما يأتي:

استعارة مكنية. مجاز مرسل علاقته المسببية، وآخر علاقته المحلية. ثلاثة تشبيهات: "الأول" وجهه مركب حسي و"الثاني" الغرض منه الاستطراف و"الثالث" مجمل خفي الوجه. "٦-٤٠"

(١٩٦/١)

ب- سَمِّ النوع البديعي في كل واحد من الأمثلة الآتية:

١- في الحديث: "خير المال عين ساهرة لعين نائمة".

٢-

وكنا متى يغز النبي قبيلة ... نصل جانبيه بالقنا والقنابل

٣-

أقول وقد شنوا إلى الحرب غارة ... دعوني فإني آكل الخبز بالجبن

٤-

لم يزل جوده يجور على الما ... ل إلى أن كسا النضار اصفرار

"٤-٤٠"

الدور الأول لسنة ١٣٦٢هـ دراسية:

١- عرف وجه الشبه وافرق بين وجه الشبه الواحد والمركب والمتعدد مع التمثيل، وهل كلما كان الطرفان حسيين وجب أن يكون وجه الشبه كذلك؟ وضح هذا، ممثلًا له.

٢- أ- عرف المجاز المرسل؛ وافرق بينه وبين الاستعارة، ومثل لهما.

ب- متى يجوز جريان الاستعارة في علم الشخص، مع التمثيل والتوجيه.

٣- وازن بين الاستعارة المطلقة، والمرشحة، والمجردة، ورتبها بحسب تفاوتها قوة وضعفًا، مع التمثيل.

التطبيق:

أ- اجعل التشبيهات الآتية استعارات تصريحية: "فوق الأشجار بلابل تغرد كأنها القيان، النجوم في السماء كالدر المثنور".

ب- بين نوع المجاز والكناية فيما يأتي:

فلان طاهر الذيل وملء إهابه الكرم. أنا ساكن الإسكندرية صيفًا.

الدور الأول لسنة ١٣٦٣هـ دراسية:

القواعد:

١- فصل القول في بيان الأمور التي إذا خلصت منها الكلمة تحقق لها وصف الفصاحة، مع التمثيل، ثم اذكر تعريف البلاغة في الكلام، وطبق التعريف على مثال من إنشائك، مبينًا فيه الحال ومقتضاه. "١٠-٤٠"

٢- اذكر أغراض التشبيه، وبين ما يعود منها على المشبه، وما يعود على المشبه به، مع التمثيل. "٧-٤٠"

٣- عرف الاستعارة التمثيلية وأجرها في قوله تعالى: {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} يريد: الميثاق، ولماذا خصت باسم التمثيلية؟ ثم بين محسنات الاستعارة، وما الذي قلل من حسنها في قول الشاعر:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر؟

وكيف صحت الاستعارة في هذا البيت، والطرفان مذكوران فيه، والاستعارة لا يجمع فيها بين الطرفين؟ "١٣-٤٠"

التطبيق:

١- بين نوع الاستعارة في الأمثلة الآتية:

"إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى". {مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} . أخبرني وجهك بصدقك. "٦-٤٠"

٢- اذكر النوع البديعي في قول الله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} وبين موضعه في الآية، ثم

اشرح معناه. "٤-٤٠"

الدور الثاني لسنة ١٣٦٣هـ دراسية:

القواعد:

١- عرف التشبيه، وهل هو من قبيل الحقيقة أو المجاز؟ وجه ما تقول، وما الذي تدخل عليه الأداة من الطرفين؟ وما المراد بوجه الشبه؟ ثم فرق بين التمثيل وغيره، ومثل لجميع ما تذكر. "٧-٤٠"

٢- اشرح الأمور التي إذا خلص منها الكلام كان فصيحًا، ومثل لما تذكر. "٨-٤٠"

٣- وضح الفرق بين الاستعارة والمجاز المرسل، وفي أي نوع من الاستعارة يذكر اسم المستعار منه، وفي أي نوع لا يذكر؟ وما الذي يدل عليه عند عدم ذكره؟ وما معنى الترشيح والتجريد في الاستعارة؟ بين ما تذكر بالمثال. "٦-٤٠"

(١٩٨/١)

٤- عرف الكناية ومثل لها، وبين نوعها في المثال التي تذكره، ولماذا كانت أبلغ من التصريح؟ "٤-٤٠"

التطبيق:

١- مثل لما يأتي: تشبيه تسوية، تشبيه أحد طرفيه مركب والآخر مفرد، استعارة في علم الشخص ثم أجرها فيه. "٥-٤٠"

٢- بين النوع البديعي في قول الشاعر:

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره ... متيم لج في الأشواق خاطره

وفي قول الآخر:

على أنني راض بأن أحمل الهوى ... وأخرج منه لا علي ولا ليا

٣- ما الذي أخل بالفصاحة في قول الشاعر:

بثينة شأنها سلبت فؤادي ... بلا ذنب أتيت به سلاما؟

وما الوضع الفصيح لهذا الكلام؟

الدور الأول لسنة ١٣٦٤هـ دراسية:

القواعد:

١- اشرح الفرق بين التعقيد اللفظي والمعنوي، ومثل لكل منهما، وبين من أي النوعين قول الشاعر:

فأصبحت بعد خط بهجتها ... كأن قفرًا رسومها قلما

وكيف ترتب هذا الكلام ليكون فصيحًا؟ "٨-٤٠"

٢- متى يكون وجه الشبه قريبًا مبتذلًا؟ ومتى يكون بعيدًا غريبًا؟ وما سبب قربه وابتذاله، وبعده وغرابته؟ بين ذلك مع التمثيل. "٨-٤٠"

٣- عرف الاستعارة المكنية عند الجمهور، ومثل لها، وهل هي والتخييلية متلازمتان؟ ولماذا؟ ثم أجر الاستعارة في قول الشاعر:

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... ثم فالمخاوف كلهن أمان

"٨-٤٠"

التطبيق:

١- بين النوع البديعي، وموضعه في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} .

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، وعصية عصت الله ورسوله".

وقال الشاعر:

بروحي جيرة أبقوا دموعي ... وقد رحلوا بقلبي واصطباري

كأنا للمجاورة اقتسمنا ... فقلبي جارهم والدمع جاري

"٦-٤٠"

٢- بين نوع المجاز، وعلاقته في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} .

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأمهات المؤمنين: "أطولكن يدًا أسرعكن لحوقًا بي".

وقال الشاعر:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأنني خير من تسعى له قدم

"٦-٤٠"

٣- بين نوع الكناية في المثالين الآتيين:

قال الله تعالى: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} .

وقال الشاعر:

ودبت له في موطن الحلم علة ... لها كالصلال الرقش شر دبيب

(٢٠٠/١)

الدور الثاني لسنة ١٣٦٤هـ دراسية:

القواعد:

١- اشرح المعاني الاصطلاحية للألفاظ الآتية، ومثل لها:

ضعف التأليف. الحال. تشبيه التسوية. حسن التعليل. "٨-٤٠"

٢- افرق بين التشبيه المجمل والمفصل، وبين أنواع المجمل مع التمثيل لكل نوع منها، ومن أي نوع قولهم في تشبيه الكلام الفصيح: "هو كالعسل في الحلاوة" ولماذا؟

٣- عرف الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة، وهل يجتمعان؟ مع التمثيل لكل ما تذكر. "٨-٤٠"

التطبيق:

١- أ- بين نوع الكناية في المثالين الآتيين:

قال الله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} .

وقال الشاعر:

فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يسير الجود حيث يسير

ب- بين نوع المجاز وعلاقته فيما يأتي: قال الله تعالى: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ} .

وقال الشاعر:

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

وقال آخر:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

ج- مثل من إنشائك لما يأتي:

تشبيه جمع، مجاز مرسل علاقته المسببية، استعارة مكنية، كناية أريد بها صفة، مقابلة، ازدواج، مجاز عقلي. "١٤-٤٠"

(٢٠١/١)

الدور الأول لسنة ١٣٦٥هـ دراسية:

القواعد:

١- عرف بلاغة الكلام، واشرح التعريف شرحًا وافيًا مع التمثيل، ثم بين النسبة بين الفصاحة والبلاغة، وما منشأ تفاوت مراتب البلاغة؟ مع توضيح ذلك بالمثال. "١٠-٢٠"

٢- بأي أنواع الدلالات تتحقق فائدة علم البيان، ولماذا؟ وما وجه ذكر مبحث التشبيه في هذا العلم؟ وهل هو من قبيل الحقيقة أو المجاز؟ وجه ما تقول. "٨-٤٠"

٣- عرف المجاز المفرد، وقسمه، وبين معنى كل قسم مع التمثيل، ثم بين وجه التقسيم، وبماذا تخرج الغلط والكذب من المجاز؟ وما الفرق بين الكناية والمجاز؟ وضح ذلك في مثال. "١١-٤٠"

التطبيق:

١- بين طرفي التشبيه ووجهه، والغرض منه، في قول الفرزدق:

تفاريق شيب في الشباب لوامع ... وما حسن ليل ليس فيه نجوم

"٤-٤٠"

٢- بين نوع الاستعارة وطريقة إجرائها في قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} . "٣-٤٠"

٣- مثل لما يأتي:

استعارة مكنية، كناية عن موصوف، تشبيه تمثيل، تورية. "٤-٤٠"

الدور الثاني لسنة ١٣٦٥هـ دراسية:

القواعد:

١- اشرح معاني الألفاظ الآتية، ومثل لها:

فصاحة المفرد، التشبيه الملفوف، تشبيه التسوية، الاستعارة المرشحة، كناية النسبة. "١٠-٤٠"

٢- متى تعود فائدة التشبيه على المشبه به؟ ومتى يعدل عن التشبيه إلى التشابه؟ ومتى يكفي مجرد الادعاء في تحقيق التشبيه؟ ومتى لا يكفي؟ بين جميع ذلك بالأمثلة. "٨-٤٠"

٣- عرف الاستعارة، واذكر أركانها، وبين الأمور التي يجب تحققها فيها مع التمثيل، وهل هي من المجاز اللغوي والعقلي؟ وجه ما تقول. "١١-٤٠"

التطبيق:

١- بين نوع الكناية فيما يأتي:

يقولون في الشيب: رغوة الشباب، وفي المرأة المترفة: نئوم الضحى. ويقولون: فلان عانق المجد.

٢- بين نوع الاستعارة، وطريقة إجرائها في قول الشاعر:

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ... ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

وما فائدة قوله: ريشه الكحل؟ "٤-٤٠"

٣- مثل لما يأتي:

مجاز مركب، تشبيه مفصل، مجاز مرسل علاقته المسببية، استعارة تبعية في اسم الفاعل. "٤-٤٠"

الدور الأول لسنة ١٣٦٦هـ دراسية:

القواعد:

١- اشرح معنى التعقيد، وقسمه، وبين كل قسم مع التمثيل، مع بيان وجه التعقيد فيما تذكر من المثل. "١٠-٤٠"

٢- عرف وجه الشبه، وبين التحقيقي منه وغيره، واذكر الفرق بين المركب والمتعدد منه، مع التمثيل لكل ما تقول. "٩-٤٠"

٣ عرف الاستعارة التصريحية وقسمها باعتبار اللفظ المستعار، ومثل لكل قسم، وأجرها في قول الشاعر:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق

"٩-٤٠"

التطبيق:

١- بين المشبه والمشبه به ووجه الشبه والغرض فيما يأتي:

كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدي من شدة الخفقان

"٤-٤٠"

٢- مثل لما يأتي:

تشبيه مجمل. مجاز مركب. مشاكلة. "٣-٤٠"

الدور الثاني لسنة ١٣٦٦هـ دراسية:

القواعد:

١- بين معنى مخالفة القياس، واذكر معنى التنافر وما يعول عليه في معرفته.

وضح ما تقول بالأمثلة، واشرح السبب الذي أخل بالفصاحة في البيت الآتي:

إلى ملك ما أمه من محارب ... أبوه ولا كانت كليب تصاهره

"١٠-٤٠"

٢- اذكر أقسام التشبيه من جهة إفراد طرفيه وتركيبهما، وبين معنى التقييد والفرق بينه وبين التركيب، مع التمثيل لكل ما تقول. "١٠-٤٠"

٣- قسم الاستعارة التصريحية باعتبار ذكر الملائم، واشرح كل قسم مع التمثيل، ووازن بين الأقسام من جهة المبالغة. "٩-٤٠"

التطبيق:

قال الشاعر:

١-

كأن الشموع وقد أوقدت ... فأخرجن من كل رمح سنانا

أصابع أعدائك الخائفين ... تضرعن يطلبن منك الأمانا

بين طرفي التشبيه، وهل هما من قبيل المفرد أو المركب؟ واذكر وجه الشبه. "٤-٤٠"

٢- اشرح الكناية في البيت الآتي، وبين المطلوب منها ونوعها:

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حلت

"٣-٤٠"

٣- مثل لما يأتي:

تشبيه الغرض منه بيان الإمكان، مجاز مرسل علاقته السببية، كناية المطلوب بها نسبة، مقابلة.

الدور الأول لسنة ١٣٦٨هـ دراسية:

القواعد:

١- ما بلاغة الكلام؟ وما الحال؟ وما مقتضى الحال؟ اذكر مثلًا توضح به الحال، ومقتضى الحال، وبم يرتفع قدر الكلام ويعلو شأنه؟ ولم كان القرآن في أقصى درجات البلاغة؟ "٧-٤٠"

٢- اذكر الفرق بين التشبيه الملفوف، والمفروق مع التمثيل، والفرق بين تشبيه التسوية، وتشبيه الجمع مع التمثيل. "٨-٤٠"

٣- عرف الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية عند الجمهور، وبينهما في قول الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

وأجر الاستعارة بالكناية فيه، وبين لما سميت التخييلية استعارة، ولم سميت تخييلية؟ ولم كانت التخييلية والمكنية متلازمتين عند الجمهور؟ "١٠-٤٠"

التطبيق:

١- بين المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، والأداة في قول الشاعر:

العمر مثل الضيف أو ... كالطيف ليس له إقامة

"٣-٤٠"

٢- كون ثلاثة تشبيهات من إنشائك، يكون وجه الشبه في الأول واحدًا، وفي الثاني مركبًا، وفي الثالث متعددًا. "٥-٤٠"

(٢٠٥/١)

٣- قال ابن نباتة السعدي في وصف مهر أغر:

وأدهم يستمد الليل منه ... وتطلع بين عينيه الثريا

في الشطر الثاني من هذا البيت استعارة، فبينها وبين قرينتها ثم أجرها. "٤-٤٠"

٤- بين ما في هذه الأبيات من البديع:

وخز الأسنة والخضوع لناقص ... أمران في رأي النهى مران

والرأي فيما دونه الأمران أن ... تختار وقع أسنة المران

وقال ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والأخريات نجوم

"٣-٤٠"

(٢٠٦/١)

موضوعات الكتاب:

٣ مقدمة
٧ كلمة موجزة في تاريخ علوم البلاغة
٩ وجه الحاجة إلى دراستها
١٠ معنى الفصاحة والبلاغة
١٠ فصاحة الكلمة
٢٠ فصاحة الكلام
٢٧ فصاحة المتكلم
٣٠ بلاغة الكلام
٣٣ بلاغة المتكلم
٣٤ تتمة في معرفة العيوب المخلة بالفصاحة والبلاغة
٣٨ علم البيان
٤١ مبحث الدلالة
٤٧ تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز وكناية
٤٨ مبحث التشبيه: تعريفه، أركانه
٤٩ التقسيم الأول للطرفين
٥١ التقسيم الثاني للطرفين
٥٤ التقسيم الثالث للطرفين
٦١ مبحث وجه الشبه
٦١ التقسيم الأول لوجه الشبه
٦١ التقسيم الثاني لوجه الشبه
٦٣ التقسيم الثالث لوجه الشبه
٦٦ التقسيم الرابع لوجه الشبه
٦٨ التقسيم الخامس لوجه الشبه
٧٠ التقسيم السادس لوجه الشبه
٧٧ مبحث الأداة

٨٧ تقسيم التشبيه باعتبار الأداة
٨٧ مبحث أغراض التشبيه
٨٧ تقسيم التشبيه باعتبار الغرض
٩٣ فصل في بيان مراتب التشبيه
٩٥ خاتمة في استعمال صيغة التشابه بدل صيغة التشبيه
٩٧ الاختلاف في صيغة التشبيه
٩٧ مبحث الحقيقة والمجاز
٩٩ أقسام الحقيقة العقلية
١٠١ المجاز العقلي
١٠٣ علاقته وقرينته
١٠٥ المجاز المفرد
١٠٦ الاستعارة
١٠٦ ما لا بد منه لتحقيقها
١١٠ الاستعارة التصريحية وتقسيمها باعتبار الطرفين واللفظ المستعار
١١١ الاستعارة في الفعل
١١٢ الاستعارة في المشتقات
١١٤ الاستعارة في الحرف
١١٦ تقسيمها إلى مرشحة ومجردة ومطلقة
١١٩ موازنة بين هذه الثلاثة

---

١١٩ قرينة الاستعارة التصريحية
١٢٢ الاستعارة المكنية
١٢٢ قرينة المكنية
١٣١ فصل في شرائط حسن الاستعارة
١٣٣ المجاز المرسل

١٣٤ علاقات المجاز المرسل
١٤٤ المجاز المركب
١٤٤ الاستعارة التمثيلية
١٤٩ مبحث الكناية
١٥٠ أقسام الكناية
١٥٨ تتمة في أبلغية المجاز والاستعارة والكناية
١٦١ علم البديع
١٦٣ المحسنات المعنوية، المطابقة
١٦٤ المقابلة
١٦٥ المشاكلة، الاستخدام
١٦٦ التورية
١٦٧ اللف والنشر
١٧٩ التوجيه
١٧٩ الاقتباس
١٨٠ الجمع، التفريق
١٨٣ التقسيم، المبالغة
١٨٤ حسن التعليل
١٨٥ ائتلاف اللفظ مع المعنى
١٨٦ حسن الابتداء
١٧٩ حسن الختام
١٨١ المحسنات اللفظية، الجناس
١٨٥ رد العجز على الصدر
١٨٧ العكس
١٨٨ السجع
١٩٠ الازدواج، لزوم ما لا يلزم
١٩٣ أسئلة لامتحانات رسمية

المجلد الثاني

علم المعاني

مدخل

...

علم المعاني:

تعريفه:

هو أصول وقواعد، يعرف بها، كيف يطابق الكلام مقتضى الحال.

والمراد بالأصول والقواعد: المسائل الكلية لهذا العلم، كقولهم: المنكر يلقى إليه الكلام مؤكدًا، وخالي الذهن يلقى إليه الكلام خلوا من التأكيد، والذكي يلقى إليه الكلام موجزًا، والغبي يلقى إليه الكلام مطنبًا، وهكذا.

والحال –أي المقام الذي ورد فيه الكلام– هي الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد في كلامه شيئًا خاصًا، زائدًا على أصل المعنى.

ومقتضى الحال هو ذلك الشيء الخاص الذي ورد في كلام المتكلم.

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، هي اشتماله على ذلك الشيء الخاص، مثال ذلك: أن يقال لمنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم: "إن محمدًا لرسول الله" فإنكار المخاطب لهذه الرسالة "خال"، لأنه أمر يحمل المتكلم على أن يورد في كلامه شيئًا خاصًا هو "التأكيد" محوًا لهذا الإنكار، كما في المثال المذكور، والتأكيد "كما ترى" أمر زائد على أصل المعنى الذي هو ثبوت الرسالة لمحمد، وصورة التأكيد التي وردت في الكلام هي "مقتضى الحال" إذ إن الحال اقتضتها ودعت إليها، واشتمال الكلام على هذه الصورة هي مطابقة لمقتضى الحال.

ومثل الإنكار "المدح" فهو حال تدعو المتكلم إلى أن يورد كلامه على صورة الإطناب، لأن مقام المدح يقتضي الإطالة في القول، والبسط فيه.

كذلك ذكاء المخاطب حال تدعو المتكلم لأنه يورد كلامه على صورة الإيجاز، لأن مقام الذكاء يقتضي الاختصار في القول، وكل من صورتي الإطناب والإيجاز مقتضى الحال، واشتمال الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة لهذا المقتضى ... وهكذا يقال في كل حال من أحوال الخطاب[1] "كالعهد" المقتضي لأن يؤتي بالشيء معرفا "بأل".

و"كالاهتمام" المقتضي لأن يؤتى بالشيء مقدمًا ... إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه بعد.

---

[1] هناك رأي آخر هو أن مقتضى الحال: الكلام الكلي المشتمل على التأكيد مثلا أو الإطناب أو الإيجاز،

وليس هو التأكيد نفسه أو الإطناب أو الإيجاز كما هو الرأي الأول، فالإنكار مثلًا حال، والمقتضى: مطلق كلام مؤكد بأي نوع من أنواع التأكيد، وقولنا للمنكر: "إن محمدًا لكاتب" فرد من أفراد هذا المطلق المؤكد، ومعنى مطابقة هذا القول لمقتضى الحال حينئذ: أنه مدرج تحت الكلام المطلق وفرد من أفراده، فالفرق بين الرأيين واضح.

(٥/٢)

تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

مدخل

...

تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء:

ينقسم الكلام إلى قسمين: خبر، وإنشاء.

فالخبر: قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي هو ما يصح أن يقال لقائله: أنه صادق فيه أو كاذب، بأن يكون القول مطابقًا للواقع، أو غير مطابق –أو هو قول لا يتوقف تحقق مدلوله على النطق به– فقولك: "علي شجاع" خبر، لأنه يحتمل أن يكون علي شجاعًا في الواقع، فيكون الخبر صادقًا وألا يكون شجاعًا، فيكون الخبر كاذبًا –أو لأن مدلوله– وهو ثبوت الشجاعة له– حاصل سواء نطقت بهذا الخبر أو لا.

والإنشاء: قول لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا، أي لا يجوز أن يقال لقائله: أنه صادق فيها أو كاذب إذ لا واقع للقول حتى يطابقه أو لا يطابق –أو هو قول يتوقف تحقق مدلوله على النطق به فقولك: "اكتب يا علي" إنشاء مدلوله طلب الكتابة منه، ولا يتعلق بهذا الطلب صدق ولا كذب– كما يتوقف تحقق مدلوله على النطق بهذا المطلب، وسيأتي البحث فيه قريبًا.

تنبيه:

اعلم أن احتمال الخبر للصدق والكذب منظور فيه إلى ذات الجملة الخبرية، بغض النظر عن المخبر أو الواقع إذ لو نظرنا إلى ذلك لوجدنا بعض الأخبار مقطوعًا بصدقه، لا يحتمل كذبًا، وبعضها مقطوعًا بكذبه: لا يحتمل صدقًا –فالأول كأخبار الله تعالى: وأقوال أنبيائه– وكالبديهيات مثل "الكل أعظم من الجزء" و"الواحد نصف الاثنين" ونحو "السماء فوقنا" "والأرض تحتنا" وغير ذلك مما لا يحتمل كذبًا، والثاني كأقوال مسيلمة الكذاب، ونحو قولك "الجهل نافع". و"العلم ليس بنافع" وما أشبه ذلك: مما لا يحتمل الصدق، فلأجل جعل هذه

الأقوال من أفراد الخبر المحتمل للصدق والكذب، ينبغي أن ينظر فيها إلى ذات الجملة الخبرية، وأن يقطع النظر عن المخبر أو عن الواقع، لهذا زيد قوله "لذاته" في التعريف الأول للخبر.

صدق الخبر وكذبه:

الخبر الصادق ما طابق مضمونه الواقع، والكاذب ما لم يطابق مضمونه الواقع.

بيان ذلك: أن لصيغة الخبر نسبتين: نسبة مفهومة من الكلام، وتسمي "نسبة كلامية"، ونسبة مفهومة من الخارج والواقع، وتسمى "نسبة خارجية أو واقعية" فإذا قلت مثلًا: "محمود مسافر" فإن ثبوت الصفر له المفهوم من هذه الصيغة نسبة كلامية. وهذا الثبوت المفهوم من الواقع والخارج نسبة خارجية أو واقعية.

إذا علمت هذا: فأعلم أن صدق الخبر وكذبه يدوران حول هاتين النسبتين فإن توافقت النسبتان ثبوتًا بأن قلت: "محمود" وهو في الواقع كذلك، أو توافقتا سلبًا بأن قلت: "محمود ليس مسافرًا" وهو في الواقع كذلك كان الخبر صادقًا، وإن لم تتوافق النسبتان بأن قلت: "محمود مسافر" وهو في الواقع غير مسافر، أو العكس كان الخبر كاذبًا.

فالخبر إذًا محصور في الصدق والكذب، ولا ثالث لهما، وهذا هو رأي الجمهور وهو المعول عليه، وفي المسألة آراء أخرى لا يتسع لها المقام.

الإسناد الخبري:

هو ضم كلمة، أو ما يجري مجراها إلى أخرى، أو ما يجري مجراها على وجه يفيد الحكم بمفهوم أحداهما على مفهوم الأخرى –ثبوتًا أو نفيًا– ويسمى المحكوم به "مسندًا" والمحكوم عليه "مسندًا إليه"، وتسمى النسبة بينهما "إسنادًا"، فقولك: "حسان شاعر" أو "حسان غير شجاع" إسناد خبري إذ قد ضم فيه كلمة "شاعر" في المثال الأول "وغير شجاع" في المثال الثاني إلى أخرى "حسان" فيهما على وجه يفيد الحكم بمفهوم "الشاعرية" في الأول "وعدم الشجاعة" في الثاني على مفهوم "حسان" ثبوتًا كما في المثال الأول، ونفيًا كما في المثال الثاني.

والمراد، بما يجري مجرى الكلمة: الجملة الواقعة في موقع المفرد –مبتدأ كان، أو خبرًا، أو فاعلًا، أو نائب فاعل– وبهذا تكون صور طرفي الإسناد أربعًا:

الأولى: أن يكون الطرفان مفردين حقيقة نحو: "علي شجاع"، "وانتصر خالد" و"أبرم الأمر" فالطرفان في هذه المثل مفردان حقيقة.

الثانية: أن يكونا جملتين نحو "لا إله إلا الله ينجو قائلها من عذاب الله".

الثالثة: أن يكون المسند إليه مفردًا حقيقة، والمسند جملة، نحو: حسان سلق الأعداء بحاد لسانه، ونحو: "خالد هزم الجيش بقوة جنانه".

الرابعة: أن يكون المسند إليه جملة، والمسند مفردًا حقيقة: نحو، لا إله إلا الله كلمة النجاة من عذاب الله".

تنبيه:

الطرفان هما المسند والمسند إليه ولكل منهما مواضع يعرف بها، وإليك بيانها.

فمواضع المسند إليه هي: الفاعل، ونائب الفاعل، والمبتدأ الذي له خبر وما أصله المبتدأ كأسماء الأدوات الناسخة، والأمثلة غير خافية.

ومواضع المسند هي: الفعل التام واسم الفعل، والمبتدأ المكتفي بمرفوعه عن الخبر نحو: "أراغب" من قوله تعالى: {أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ} ؟ وما أصله خبر المبتدأ كأخبار الأدوات الناسخة، والمصدر النائب عن فعل الأمر كلفظ "سعيًا" من قولك: "سعيًا في الخير" ولا تخفى عليك أمثلة ما لم تمثل له. ا. هـ.

ما يقصده المخبر بخبره:

إذا قصدت أن تخبر إنسانًا بخبر ما، فلا يخلو حال المخاطب من أحد أمرين، لا ثالث لهما.

١- أن يكون جاهلًا بمضمون الخبر المراد إلقاؤه إليه.

٢- أن يكون عالمًا به قبل الإخبار.

فإن كان الأول: كان قصدك بهذا الخبر: أن تفيد مخاطبك مضمونه، وتعلمه به كما إذا قلت مخاطبًا إنسانًا يجهل قدوم أبيه:

"قدم أبوك من سفره" فأنت بهذا الخبر تريد أن تفيد مخاطبك الحكم الذي تضمنته هذه العبارة، "وهو قدوم أبيه" ويسمى هذا الحكم حينئذ "فائدة الخبر" لأنه معنى مستفاد منه.

وإن كان الثاني: كان قصدك بهذا الخبر: أن يفيد المخاطب أنك عالم بمضمونه كما في المثال المذكور إذا خاطبت به إنسانًا يعلم قدوم أبيه. وأنت تعلم منه ذلك، فأنت لا تريد بهذا الخبر -والحالة هذه- أن تفيده الحكم الذي تضمنه لأنه عالم به، وإنما تريد: أن تفيده أنك أيضًا عالم بقدوم أبيه، لأن هذا هو الذي يجهله المخاطب،

ويسمى علمك به "لازم الفائدة" أي الأمر الذي يستلزمه حكم الخبر وفائدته، إذ كل من أفدته خبرًا أفدته أنك عالم به من غير عكس[1] أي ليس كل من أفدته أنك عالم بالحكم الذي تضمنه الخبر أفدته هذا الحكم لجواز أن يكون عالمًا به قبل الإخبار؛ لهذا كان الحكم الذي تضمنه الخبر هو "الملزوم" وعلمك بهذا الحكم هو "اللازم".

تنبيه:

علم مما تقدم أن القصد من إلقاء الخبر؛ أما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الجملة الخبرية، أو إفادة أن المتكلم عالم بهذا الحكم، وهذا هو الغالب في استعمال الخبر.

وقد يكون الحامل على الإخبار بواعث أخرى، نذكر منها ما يلي:

١- التوبيخ: كقولك للعاثر في وضح النهار "الشمس طالعة" فغير معقول أنك تريد إفادته طلوع الشمس، أو إفادته أنك عالم به، فإن ذلك مما لا يخفى على أحد، فلا بد إذًا أن يكون الحامل لك على هذا الإخبار غرضًا آخر، هو توبيخه على عثرته، مع طلوع الشمس، ووضوح النهار.

٢- إظهار الفرح: كقولك: "نجحت في الامتحان" لمن يعلم ذلك، فليس الغرض الإفادة، بل الغرض إظهار السرور بالنجاح.

٣- إظهار الضعف: كقول زكريا عليه السلام يخاطب ربه:

---

١ أي فليس التلازم بين ذات الخبر وذات العلم، إذ لا تجزم بينهما فقد يتحقق الحكم ولا يعتقده المتكلم، وإنما التلازم بينهما باعتبار الإقامة بمعنى أن إفادة الأول ملزومة لإفادة الثاني.

{رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا} فزكريا عليه السلام لا يريد بهذا القول: أن يخبر الله تعالى بحاله، إذ يعلم أن الله لا يخفى عليه شيء، ولكنه قصد مجرد إظهار الضعف، وأنه بلغ من الوهن غاية لا أمل له بعدها في الحياة.

٤- إظهار التحسر على فوات مأمول: كقول أم مريم عليهما السلام: {رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى} فهي تعلم يقينًا أن الله تعالى عالم بالذي وضعت، ولكنها تتحسر إذ ولدت أنثى، وكانت تود لو كان المولود ذكرًا؛ ليكون وقفًا على خدمة بيت المقدس ... إلى غير ذلك من الأخبار الذي لا يقصد بها الإفادة كما هو الأصل فيها.

اختبار– تمرين

...

اختبار:

١– عرف علم المعاني، ووضح أجزاء التعريف، ثم ايت بمثال من عندك، وبين فيه الحال ومقتضاه، ومطابقة الحال لهذا المقتضى.

٢– اذكر الفرق بين الخبر والإنشاء، ثم بين كيف كان كلام الله تعالى من قبيل الإخبار، مع أنه لا يحتمل كذبًا.

٣– بين معنى صدق الخبر وكذبه، ووضح ذلك بمثال تختاره.

٤– عرف الإسناد الخبري، ثم وضح التعريف بمثال من إنشائك وبين المراد بقوله: "أو ما يجري مجراها".

٥– بين الغرض الأصلي من إلقاء الخبر، ثم اذكر غرضين من الأغراض التي يخرج فيها الخبر عن موضعه.

تمرين:

بين المسند والمسند إليه والغرض من الخبر فيما هو آت:

انصرف الطلاب للمذاكرة، "لمن لا يعلم ذلك". أنت نجحت في الامتحان، "لمن لا يعلم ذلك". الربا حرام، "والخطاب لمسلم يتعامل بالربا". إني فقير إلى عفوك. جاء الحق وزهق الباطل. لفاعل الخير الجزاء الأوفى. الموت حوض وكل الناس وارده. {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} .

هذا أمك، "لمن يعتدى عليها بالأذى". {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} .

{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} . أنت خرجت عن حدك. إن القوم لئام. زارنا الغيث. "ذهب الشباب فما له من عودة".

تمرين يطلب جوابه:

بين المسند والمسند إليه والغرض من الخبر فيما يأتي:

ظهرت نتيجة الامتحان، "لمن يعلم ذلك". احترام الأب واجب. أنت تحفظ الحديث. كل امرئ سوف يلقى جزاء ما قدمت يداه. جاء الهناء وولى الشفاء. {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} . {وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} . فاز المجد. ذهب عنا الحزن. وافانا الحبيب، "لمن يعلم ذلك". {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون} . ما أنت بالرجل الذي يعول عليه. فرطت وهذه نتيجة التفريط. ظلمت نفسك باتباع هواك. {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُوم}

. {لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} . {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} . لا دين لمن لا مروءة له. ثمرة العلم العمل.

إلهي عبدك العاصي أتاكا ... مقرًّا بالذنوب وقد دعاكا

ذهب الصبا وتولت الأيام ... فعلى الصبا وعلى الزمان سلام

(١٢/٢)

أَضْرُبُ الخَبَرِ:

تقدم أن قلنا: أن الغرض من الإخبار في أصل وضعه أحد أمرين:

الأول: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الخبر إن كان جاهلا به.

الثاني: إفادته أن المتكلم عالم بالحكم إن كان المخاطب عالمًا به.

فينبغي إذا للمتكلم أن يكون كلامه على قدر الحاجة، لا يزيد ولا ينقص في عبارته حذرًا عن اللغو، فيضع نفسه من المخاطب موضع الطبيب الماهر من المريض: يشخص حاله، ويعطيها ما يلائمها.

والمخاطب إزاء هذه الحال أنواع ثلاثة:

١- أن يكون خالي الذهن من الحكم المراد إفادته إياه، بمعنى: أنه لم يسبق له علم بمضمون الخبر قبل إلقائه إليه. ومثل هذا المخاطب يلقى إليه الخبر خلوا من التأكيد، لعدم الحاجة إليه، لتمكن معنى الخبر في ذهنه إذ وجده خاليًا، وخلو الذهن عن الشيء يوجب استقراره فيه، على حد قول الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

فإن كان للإنسان أخ تقدم إلى الامتحان، ففاز فيه على أقرانه، ولم يصل إلى علمه نبأ فوزه فأردت إخباره بذلك قلت هكذا: "فاز أخوك في

(١٢/٢)

الامتحان وسبق نظراءه، بلا حاجة إلى تأكيد الخبر١، ويسمى هذا الضرب "ابتدائيًّا" لأنه لم يسبق بطلب ولا إنكار.

٢- أن يكون مترددًا في الحكم المراد إفادته إياه، طالبا وقوفه على حقيقة الأمر إذ إن المتردد في الشيء يكون عادة متشوقًا إليه، طالبًا معرفته ليزول تردده، ويستقر على أحد الأمرين المتردد بينهما. ومثل هذا المخاطب يستحسن أن يؤكد له الخبر محوًا لهذا التردد، وتمكينًا للحكم في ذهنه، سواء استوى لديه طرفا الإثبات والنفي،

أو كان لأحدهما أرجحية على الآخر. هذا هو مذهب الجمهور٢.

فإذا كان المخاطب في المثال السابق مترددًا بين فوز أخيه، وعدم فوزه، بأن بلغه نبأ فوزه ممن لا يثق بخبره مثلًا، حسن منك أن تؤكد له الخبر ليطمئن إلى أحد الأمرين، فتقول له: "إن أخاك فائز في الامتحان على أنداده".

ويسمى هذا الضرب "طلبيًّا" لأنه مسبوق بطلب، إذ إن المخاطب، المتردد طالب بلسان حاله وقوفه على جلية الأمر، كما قلنا.

٣- أن يكون منكرًا للحكم المراد إخباره به، معتقدًا غيره. ومثل هذا المخاطب يجب تأكيد الخبر له تأكيدا يتناسب مع إنكاره قوة وضعفًا٣ فإن كان المخاطب منكرًا لفوز أخيه معتقدًا إخفاقه لسبب ما وجب عليك أن تؤكد له الخبر لتمحو إنكاره، فتقول له: "إن أخاك لفائز على أقرانه" فإن لم يقتنع، وأصر على إنكاره زدته تأكيدًا

---

١ التأكيد المحظور هنا هو المنصب على النسبة، أما التأكيد الموجه إلى الطرفين كالتأكيد اللفظي أو المعنوي، فلا مانع منه على قائم أو على نفسه قائم.

٢ للإمام عبد القاهر رأي آخر؛ هو أن المستحسن له التأكيد عنده هو المتردد الذي يرجح أحد الأمرين المتردد بينهما، فكأنه يسكن الأمن الآخر ولتحويله عن هذا الأمر الراجح عنده كان في حاجة إلى التأكيد هي أشبه بحاجة المنكر إليه. بخلاف الشاك الذي استوى عنده الأمران فإن أدنى أخبار يمحو شكه ويزيل تردده، فلا داعي لتأكيد الحكم له، وشأنه في ذلك شأن خالي الذهن، وهو عندي رأي حسن.

٣ مؤكدات الحكم كثيرة هنا "إن" المكسورة الهمزة، والقسم، ونون التوكيد، ولام الابتداء، واسمية الجملة، وحروف التنبيه، وضمير الفصل، وأداة الحصر، و"قد" التي للتحقيق، وغير ذلك.

حتى يمحى هذا الإنكار، ومنه قوله تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام إذا كذبوا في المرة الأولى: {إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ} مؤكدًا بأن وإسمية الجملة١، وإذ كذبوا في المرة الثانية {قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ} مؤكدًا بالقسم، وإن، واللام، وإسمية الجملة لإمعان المخاطبين في الإنكار، إذ قالوا: {مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ} .

ثم إن الجري على هذا النحو في الخطاب: من خلو الكلام عن التأكيد لخالي الذهن، واستحسان التأكيد للمتردد، ووجوبه للمنكر، هو ما يتطلبه ظاهر حال المخاطب، وحينئذ ينبغي للمتكلم أن يراعي في خطابه ما

يبدو من حال مخاطبه ليكون كلامه مطابقًا، ويسمى الجري على هذا النحو إخراجًا للكلام على مقتضى ظواهر الحال.

إذا علمت هذا فاعلم أن المتكلم قد يغض النظر عن ظاهر حال المخاطب ويعتبر فيه أمرًا آخر غير ما يبدو له لسبب ما، ويخاطبه على هذا الاعتبار، والجري على هذا النحو يسمى.

---

١ أي اعتبار دلالتها على الثبوت والدوام، غير أن التأكيد بها موقوف القصد والاعتبار. وقيل: إنما تكون مؤكدة إذا انضم إليها مؤكد آخر.

(١٤/٢)

إخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر:

وذلك إنما يكون حيث ينزل الشيء منزلة غيره، فمن ذلك:

١- تنزيل العالم بالحكم منزلة الجاهل به لعدم جريه على مقتضى علمه، فإن من لا يعمل بعلمه هو والجاهل سواء كقولك للمسلم التارك للصلاة: الصلاة واجبة فهو قطعًا يعلم وجوبها، فالإخبار حينئذ خروج بالكلام عن مقتضى الظاهر، إذ مقتضى الظاهر: الكف عن إخباره لعلمه بالحكم، لكن نزل علمه به منزلة الجهل به لعدم جريه على موجب علمه إذ لو كان عالمًا بوجوب الصلاة ما تركها.

٢- تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد وحينئذ: يؤكد له القول كما يؤكد للمتردد، مثاله: أن يأتي إليك رجل يتشفع في ابن لك غضبت عليه فتقول له: "لا تحدثني في شأن هذا الولد العاق، إنه محروم من عطفي" فقولك: "إنه محروم" خبر ألقي لخالي الذهن مؤكدًا تنزيلًا له منزلة المتردد في الحكم.

(١٤/٢)

فخلو الذهن ظاهر حال المخاطب، وهو يقتضي أن يلقى إليه الخبر خلوا من التأكيد، لكن المتكلم صرف النظر عن هذا الظاهر، واعتبر في المخاطب أمرًا آخر هو "التردد"، وخاطبه على هذا الاعتبار، وذلك خروج بالكلام عن مقتضى الظاهر.

غير أن تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد مشروط بأن يقدم له كلام يلوح بالخبر ويشير إليه، كما في المثال المذكور. فإن قوله: "لا تحدثني في شأن هذا الولد العاق" يشعر المخاطب بجنس الحكم، وهو أن المتشفع فيه

قد استحق العقاب، وصار المخاطب بهذا الكلام في مقام المتردد في نوع هذا العقاب أهو ضرب، أم طرد، أم حرمان، أم غير ذلك من أنواع العقاب؟ وكأنه يطلب معرفته، ومنه قوله تعالى مخاطبًا نوحًا عليه السلام: {وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} ، فقوله: {وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا} مشعر بأن سيحل بقومه العقاب، فصار نوح عليه السلام في مقام المتردد في نوع هذا العقاب، لهذا خاطبه تعالى خطاب المتردد.

٢- تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، وحينئذ يؤكد له الكلام كما يؤكد للمنكر حقيقة كما إذا كان المخاطب مسلمًا تاركًا للصلاة، معاقرًا للخمر، فقوله له مؤكدًا: أن الصلاة لواجبة، أو أن الخمر لحرام، فالمخاطب بحكم إسلامه يعلم قطعًا بوجوب الصلاة، كما يعلم بحرمة الخمر، ولا ينكر ذلك، وكان مقتضى هذا ألا يؤكد له القول، لكن تركه للصلاة، أو معاقرته للخمر جعله في منزلة المنكر لذلك، إذ لو كان يؤمن بوجوب الصلاة، أو بحرمة الخمر ما ترك الصلاة أو ما عاقر الخمر، لهذا خوطب خطاب المنكر خروجًا بالكلام عن مقتضى ظاهر حاله، ومنه قول الشاعر:

جاء شقيق عارضًا رمحه ... أن بنى عمك١ فيهم رماح

فشقيق هذا لا ينكر أن في بني عمه رماحًا، بل إنه ليعلم ذلك بحكم الجوار أو بحكم الخصومة القائمة بين الفريقين، لكن مجيؤه على هذه الصورة واضعًا رمحه عرضًا، من غير تهيؤ واستعداد، شأن المدل بنفسه، المعجب بقوته جعله في منزلة المنكر أن في بني عمه سلاحًا يذودون به بغي المعتدين، إذ لو كان معترفًا بذلك لجاء على هيئة المستعد للقائهم.

---

١ إنما سماهم بني عمك باعتبار أنهم جميعًا من فضيلة العرب، وإن تعددت قبائلهم ولا يبعد أن يكون بين القبيلتين وشائج قربى.

المتهيئ لقتالهم"١.

فعدم الإنكار فيما مثلنا ظاهر حال المخاطب، وهو يقتضي أن يلقى إليه الكلام خاليًا من التأكيد، بل يقتضي ألا يلقى إليه الخبر أصلًا لعلمه بالحكم الذي تضمنه لكن قطع النظر عن هذا الظاهر، وفرض في المخاطب أمر آخر هو الإنكار، لما بدأ عليه من أمارته، وخوطب خطاب المنكر حقيقة، على غير ما يقتضيه ظاهر حاله، كما تراه في البيت، وفي المثال قبله، وهذا خروج بالكلام علن مقتضى الظاهر.

٤- تنزيل المنكر منزلة غير المنكر إذا كان الدليل على غير ما يعتقد واضحًا، بحيث لو استطاع التأمل فيه

لارتدع عن إنكاره، وحينئذ لا يؤكد له الخبر كما لو لم يكن منكرًا كقولك لمنكر حقيقة الإسلام: "الإسلام حق" فهذا القول خبر، وقد ألقي للمنكر خلوا من المؤكد تنزيلًا له منزلة غير المنكر، لأن الدليل على حقية الإسلام قائم بين يديه، لو نظر فيه نظرة صادقة لأذعن، وأقلع عن جحوده.

فالإنكار ظاهر حال المخاطب حال وهو يقتضي أن يلقى إليه الخبر مؤكدًا، لكن قطع النظر عن هذا الظاهر، وفرض فيه أمر آخر هو "عدم الإنكار" لوضوح الدليل القائم بين يديه، بحيث يعتبر الإنكار معه كلا إنكار، وخوطب خطاب غير المنكر، إلى غير ذلك من المواضع التي ينزل فيها الشيء منزلة غيره "كما رأيت".

تنبيه:

يعلم مما تقدم أن الحال وظاهر الحال –مع اتفاقهما في أن كلا منهما: أمر يدعو المتكلم إلى اعتبار خصوصية في الكلام– يفترقان من حيث أن ظاهر الحال أخص من الحال، لأن ظاهر الحال هو الوصف الثابت للمخاطب في الواقع كخلو الذهن أو التردد أو الإنكار، بخلاف الحال، هو أعم من أن يكون وصفًا ثابتًا في الواقع، أو كان أمرًا مفروضًا فيه فرضًا، فظاهر الحال في نحو قولك لمنكر حقيقة الإسلام: "أن الإسلام لحق"، هو الإنكار إذ هو الأمر الثابت له في الواقع، وهو حال له أيضًا، لأنه أمر دعا المتكلم إلى أن يعتبر الكلام خصوصية هي "التأكيد"، فقد اتحد الحال وظاهر الحال في مثل هذا المثال، أما في نحو قولك للمسلم التارك للزكاة: "إن الزكاة لواجبة" فإن الإنكار هنا يعتبر حالًا، لأنه أمر دعا المتكلم لأن يعتبر التأكيد في خطابه، وليس ظاهر حال للمخاطب إذ ليس وصفًا ثابتًا له في الواقع، وإنما الثابت له عدم الإنكار، غير أن المتكلم لم يعتبر هذا الوصف، وفرض فيه حالًا ليست صفة له هي "الإنكار" وخاطبه على هذا الغرض، فظهر أن ظاهر الحال أخص مطلقًا من الحال". ا. هـ.

---

١ وفي البيت معنى التهكم والسخرية بشقيق، وأنه من الضعف والجبن بحيث لو علم أن في بني عمه رماحًا ما اتجه إليهم، بل ما قويت يده على حمل السلاح.

تمرين:

١– عين فيما يأتي من الجمل نوع الخبر، وبين ما جرى منها على مقتضى ظاهر الحال، وما خرج منها عن مقتضاه.

لكم في زكاة أموالكم ثراء. إني مقيم على ودك. دعني وشأن هذا الأثيم لقد حولت قلبي عنه وصرمت حبال

وده، إن الأمير سيعودك اليوم "لمتردد". على رسلك يا أحمد "واقصد في القول أن في الحاضرين لخطباء مصاقع". محمد رسول الله "لمنكر الرسالة". إن الميسر لرجس "والخطاب لمسلم".

(١٧/٢)

تمرين يطلب جوابه:

١- عين فيما يأتي نوع الخبر، وبين ما جرى منها على مقتضى الظاهر وما خرج عن مقتضاه.

الكذب في بعض الأمور فضيلة. إن الله لسريع العقاب. لا تساوم في شرفك. أن مثلوم العرض مخذول. لم تتق الله في أمرك. إن الله يعلم ما تصنعون. القرآن شفاء القلوب "لمنكر ذلك". {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} "والخطاب لمسلم ظالم". إن خصيمك يطلب زيارتك.

٢- ايت من إنشائك بمثالين في أحدهما تنزيل المنكر منزلة غير المنكر، وفي ثانيهما بالعكس، ثم بين في كل منهما الحال ومقتضاه.

(١٨/٢)

أحوال المسند إليه

ذكر المسند إليه

...

أحوال المسند إليه:

المسند إليه هو المحكوم عليه، فاعلًا كان، أو نائب فاعل، أو مبتدأ أصلًا أو حالًا، وأحواله هي ما يعرض له من ذكر، وحذف، وتعريف، وتنكير، وتقديم، وتأخير، وغير ذلك.

ذكر المسند إليه:

اعلم أن المسند إليه واجب الذكر إذا لم يقم عليه قرينة، ولا بحث لنا فيه، فإذا دلت عليه قرينة جاز ذكره وحذفه، وهذا ما نحن بصدد البحث فيه، ذلك: أن البحث إنما هو في مرجحات الذكر على الحذف، أو العكس، وذلك إنما يكون حيث يجوز ذكره وحذفه لقيام قرينة عليه، ومرجحات الذكر كثيرة، نذكر منها ما يلي.

١- كون ذكر المسند إليه هو الأصل، أي الكثير، وليس هناك ما يقتضي حذفه في قصد المتكلم١ أي محل

كون الأصالة علة تقتضي الذكر إذا لم تعارضها علة أخرى تقتضي الحذف، قصد إليها المتكلم، بحيث إذا وجدت علة الحذف وقصد إليها روعيت وأهملت علة الأصالة لضعفها كما تقول: "محمد قائم" فذكر المسند إليه، لأن الأصل فيه أن يذكر إذ هو المحكوم عليه بالقيام فهو أعظم ركني الإسناد.

---

١ إنما شرطنا قصد المتكلم، لأن المقتضي للحذف موجود كالاحتراز دائمًا عن العبث في ذكره مثلًا.

٢- قلة الثقة بالقرينة لضعفها. مثال ذلك أن تقول: "أبو الطيب نعم الشاعر" فتذكر المسند إليه إذا سبق لك ذكر أبي الطيب، وطال عهد السامع به، أو ذكر معه كلام في شأن غيره.

٣- التعريض بغباوة السامع، وأنه لا يفهم إلا بالتصريح لقصد إهانته وتحقيره كما تقول لسامع القرآن: "القرآن كلام الله" فتذكر المسند إليه تعريضًا بغباوة السامع، وأنه لا يفهم إلا بالقول الصريح لغرض امتهانه، والازدراء به.

٤- زيادة إيضاح المسند إليه: وتقريره في نفس السامع كما تقول: "هؤلاء كتبوا، وهؤلاء أفادوا" فقد ذكر المسند إليه وهو "اسم الإشارة" الثاني، مع الاستغناء عنه "باسم الإشارة" الأول لقصد زيادة إيضاحه وتقريره، وأن هؤلاء الذين ثبتت لهم الكتابة هم أنفسهم الذين ثبتت لهم الإفادة، قيل ومنه قوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} فذكر المسند إليه الذي هو "اسم الإشارة" الثاني لزيادة الإيضاح والتقرير على ما بيننا١.

٥- إظهار تعظيمه أو تحقيره إذا كان اللفظ مما يفيد معنى التعظيم أو الحقارة، كأن يسألك شخص: هل رجع خالد؟ فتقول: رجع الشجاع المقدام، أو الجبان الرعديد، فتذكر المسند إليه في الأول تعظيمًا له، وتذكره في الثاني إهانة له وتحقيرًا.

٦- التيمن والتبرك بذكره، لأنه مجمع اليمن والبركات كقولك "نبينا قال كذا وكذا" فتذكره تيمنًا وتبركًا به.

٧- التلذذ بذكره: كقولك: "الله ربي" و"محمد نبيي"، وكقولك: "الحبيب قادم" فتجري ذلك على لسانك لقصد التلذذ١ بسماع هذه الألفاظ.

٨- بسط الكلام وإطالته، وذلك في مقام يكون إصغاء السامع فيه مطلوبًا للمتكلم لخطر مقامه، لقربه من قلب المتكلم، ولهذا يطال الحديث

---

١ غير أن التمثيل بها نظرًا إذ ليست من قبيل ما نحن فيه، لأننا لو حذفنا اسم الإشارة الثاني لم يكن المسند إليه محذوفا؛ لأن "المفلحون" جملة مركبة من مسند ومسند إليه، وهي إما معطوفة على خبر اسم الإشارة الأول، أو معطوفة على جملة: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ} ، وعلى الاحتمالين لا حذف للمسند إليه.

(١٩/٢)

مع الأحبة، مثاله قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: {هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} ، وقال ذلك حين سأله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} ، وكان يكفيه في الجواب أن يقول: "عصا"؛ لأن "ما" للسؤال على الجنس، لكنه ذكر المسند إليه، وهو "الضمير" حبًّا في إطالة الكلام في حضرة الذات العلية، وأي مقام يسترعي بسط الكلام فيه كهذا المقام؟ ولهذا لم يكتف موسى بذكر المسند إليه، بل أعقب ذلك بذكر أوصاف لم يسأل عنها، فقال: {أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا} ... إلى آخر الآية.

٩- التهويل والإرهاب: كقولك: "وأمير البلاد يأمرك بكذا"، فتذكر المسند إليه، وهو "أمير البلاد" تهويلًا للمخاطب، وإرهابًا له بذكر "الأمير" ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة والامتثال.

١٠- إظهار التعجب من المسند إليه إذا كان الحكم غريبًا، يندر وقوعه كقولك: "محمد يقاوم الأسود" أو "يحمل كذا طنا من حديد"، فتذكر المسند إليه لقصد إظهار التعجب من شدة بأسه.

١١- التسجيل على السامع بين يدي الحاكم حتى لا يكون له سبيل إلى الإنكار، والتنصل، كأن يقول الحاكم لشاهد واقعة: هل أقر هذا علي نفسه بكذا؟ مشيرًا إلى رجل معين، فيقول الشاهد: "نعم محمد هذا أقر على نفسه بكذا"، فتذكر المسند إليه. لئلا يجد المشهود عليه سبيلًا إلى الإنكار فيما لو حذف اسمه.

إلى غير ذلك من علل الذكر إذ ليست سماعية، حتى يمكن استيعابها، بل والمدار في ذلك على الذوق السليم، فما عده الذوق داعيًا من دواعي الذكر، أو الحذف، أو غيرهما عمل به، وإن لم يذكره أهل الفن.

(٢٠/٢)

حذف المسند إليه:

يحذف المسند إليه لأغراض نذكر منها ما يلي:

١- الاحتراز عن العبث بذكره، "في ظاهر الأمر" لدلالة القرينة عليه، وينبغي أن يصان كلام البليغ عن العبث، مثال ذلك أن تقول: "حضر" تريد "الأمير" فتحذف المسند إليه، وهو "الأمير" قصدًا إلى التحرز عن

العبث في ذكره لقيام القرينة الدالة، وإنما كان العبث ظاهريًا لأن الحقيقة أن لا عبث في ذكره، وإن قامت عليه قرائن، لأن المسند إليه –كما قلنا– أعظم ركني الإسناد إذ هو المحكوم عليه، فلا يكتفى فيه بالقرينة، بل ينبغي مع ذلك أن ينص عليه اهتمامًا بأمره.

٢– ضيق المقام عن إطالة الكلام، بسبب سآمة، أو توجع، أو تحزن كقول الشاعر:

قال لي كيف أنت قلت عليل ... سهر دائم وحزن طويل

لم يقل: أنا عليل لضيق صدره عن الإطالة بسبب ما يعانيه من تباريح الهوى، ولواعج الشوق.

٣– الحذر من فوات الفرصة: كأن يقول رجل لصائد: "غزال" يريد: هذا غزال، فيحذف المسند إليه، وهو "هذا" مخافة أن تفوت الفرصة، فيفلت الصيد من يد الصائد.

٤– اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة على المسند إليه: هل يتنبه له بهذه القرينة الدالة، أو لا يتنبه إلا بالتصريح، مثال ذلك: أن يحضر إليك رجلان تربطك بأحدهما صداقة، فتقول لآخر يعلم بهذه الصلة: "غادر" تريد أن تقول: الصديق غادر، فتحذف المسند إليه، وهو "الصديق" اختبارًا لذكاء السامع: هل يتنبه إلى المسند إليه المحذوف وهو "الصديق" بقرينة ذكر الغدر" إذ لا يتناسب إلا الصديق، أو لا ينتبه.

٥– اختبار مقدار تنبه السامع عند قيام قرينة خفية على المسند إليه، هل يتنبه بالقرائن الخفية أم لا؟ مثال ذلك أن يحضرك شخصان تجمعك بهما صداقة، غير أن أحدهما أقدم من الآخر فيها، فتقول لآخر يعلم هذه الصداقة: "جدير بالاحترام" تريد: أقدمهما صحبة، وهو "محمد" مثلًا، فتحذفه اختبارًا لمبلغ ذكاء السامع هل يتنبه لهذا المحذوف بهذه القرينة الخفية، وهي أن الجدير بالاحترام ذو الصداقة القديمة، دون حادثها، أم لا ينتبه.

٦– إيهام[١] صون المسند إليه عن لسانك من أن يتلوث بنجاسة بمروره عليه لكونه عظيمًا خطيرًا، أو إيهام صون لسانك عنه لحقارته وامتهانه، فالأول نحو قولك: "رافع راية التوحيد، هادم دعائم الشرك" تريد النبي صلى الله عليه وسلم، فتحذفه مخافة أن يتلوث من لسانك، والثاني نحو قولك: "مخذول مطرود" تريد إبليس اللعين فتحذفه لئلا يتلوث اللسان بذكره.

---

١ إنما عبر بالإيهام، لأن التلوث المراد صون الذكر أو اللسان عنه أمر اعتباري محض.

٧- تأتي الأذكار عند الحاجة إليه: كأن يحضر إليه جماعة من بينهم خصم لك، فتقول لآخر: "لئيم فاجر" تريد هذا الخصم، فتترك ذكر اسمه ليتأتى لك الإنكار عند لومه لك على سبه، فتقول له: ما عنيتك، وإنما، أردت غيرك.

٨- تعيين المسند إليه؛ إما لأن المسند لا يصلح إلا له لأن المسند كامل فيه، وإما لأنه معهود بين المتكلم والمخاطب، فمثال الأول قولك: "عالم الغيب والشهادة" تريد: الله "سبحانه" فتحذفه لتعينه، إذ إن علم الغيب والشهادة وصف خاص به تعالى، ومثال الثاني قولك: "عادل في حكومته" تريد عمر الفاروق، فتحذفه لتعينه، لأن صفة العدالة بلغت فيه الكمال، ومثال الثالث قولك: "حضر" تريد: إنسانًا معهودًا بينك وبين مخاطبك.

٩- ادعاء تعينه كقولك: "وهاب الألوف" تريد: "الأمير" فتحذفه لتعينه ادعاء، وأنه لا يتصف بذلك أحد غيره من رعاياه.

١٠- المحافظة على وزن، أو سجع، أو قافية، مثال الأول قول الشاعر:

على أنني راض بأن أحمل الهوى ... وأخلص منه لا علي ولا ليا

أي لا علي شيء، ولا لي شيء، حذف المسند إليه فيهما وهو لفظ "شيء" لأن في ذكره إفسادًا لوزن البيت.

ومثال الثاني قولهم: "من كرم أصله وصل حبله" أي وصل الناس حبله، فحذف المسند إليه١، وهو "الناس" محافظة على السجع المستلزم رفع الفاصلة٢ من الفقرة الثانية، وهي قوله: "حبله" ومثال الثالث قول الشاعر:

وما المرء والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يومًا أن ترد الودائع

أي أن يرد الناس الودائع، فحذف المسند إليه، وهو "الناس" للمحافظة على القافية، ولولا ذلك لاختلفت لصيرورتها مرفوعة "في الشطر الأول" منصوبة "في الشطر الثاني".

١١- اتباع الاستعمال الوارد على ترك المسند إليه كقولهم في المثل

---

١ المراد: المسند إليه الأصلي الذي هو الفاعل، وهذا لا ينافي أن نائب الفاعل مسندًا إليه أيضًا.

٢ هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى.

رمية من غير رام١ أي هي رمية موفقة ممن لا يحسن الرمي المسند إليه وهو "الضمير" اتباعًا لما ورد في استعمالاتهم.

ومنه قولهم في النعت المقطوع إلى الرفع، لقصد إنشاء المدح أو الذم أو الترحم. "الحمد لله أهل الحمد"، "أعوذ

بالله من الشيطان الرجيم"، "اللهم ارحم عبدك المسكين"، على تقدير: هو أهل الحمد، وهو الرجيم، وهو المسكين. ومن هذا القبيل قول ابن عنقاء، يمدح عميلة، وقد شاطره ماله لفقره٢:

رآني عي ما بي عميلة فاشتكى ... إلى ماله حالي أسر كما جهر

دعاني فآساني ولو ضن لم ألم ... علي حين لا بدو يرجى ولا حضر

غلام رماه الله بالخير يافعًا ... له سيمياء لا تشق على البصر٣

أي هو غلام، ومثله قول الشاعر٤:

---

١ مثل يضرب لمن صدر منه فعل ليس هو أهلًا لأن يصدر عنه، قاله الحكم بن يغوث حين نذر أن يذبح مهاة على "الغبغب"، وهو جبل بمنى وكان من أرمى الناس فصار كلما رمى مهاة لا يصيبها، مكث على ذلك أيامًا حتى كاد يقتل نفسه، فخرج معه ابنه "مطعم" إلى الصيد فرمى الحكم مهاتين فأخطأهما، فلما عرضت الثالثة رماها "مطعم" فأصابها وكان لا يحسن الرمي فقال الحكم عندئذ: "رمية من غير رام" فصار مثلًا.

٢ قال التبريزي في خبر هذه الأبيات: إن قومًا من العرب أغاروا على نعم له فاستاقوها حتى لم يبق له منها شيء، فأتى ابن أخيه عميلة وقال له: يابن أخي نزل بي ما ترى فهل من حلوبة؟ قال: نعم يا عم حين إذ يراح المال فأبلغ مرادك منه، فلما راح المال قاسمه إياه وأعطاه شطره، فقال ابن عنقاء هذه الأبيات.

٣ اشتكى حاله إلى ماله، كناية عن أنه رق له وعطف، وهو من أروع الكنايات وألطفها، وقوله: أسر كما جهر يريد: أن باطنه كظاهره فلم يعطه رياء بل كان عطفه عليه وليد رغبة صادقة فيه، ويافعًا من أيفع الغلام إذا ناهز العشرين والسيمياء العلامة يريد، أن سيمياء في وجهه وأن ما ينطوي عليه من خير يدرك بمجرد النظر إليه.

٤ هو عمرو بن كميل نظر إليه عمرو بن ذكوان وعليه جبة بلا قميص فجعل يسعى له ويتشفع حتى ولي البصرة، فقال هذه الأبيات، وقيل: إن قائل هذه الأبيات أبو الأسود يمدح بها عمرو بن سعيد العاصي.

سأشكر عمرًا ما تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت

فتى محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت١

أي هو فتى، وهكذا يذكرون الممدوح، ثم يعقبون بعد ذلك بقولهم غلام من شأنه كذا وكذا أو فتى من صفاته

كيت وكيت، ولا تكاد تجد المسند إليه يذكر في مثل هذه المواضع لهذا ترك ذكره فيها، وفي نظائرها اتباعًا لاستعمالاتهم الواردة.

إلى غير ذلك من دواعي الحذف كإخفاء المسند إليه عن غير المخاطب لسبب ما كالخوف منه، أو عليه، أو نحو ذلك.

---

١ ما تراخت منيتي: أي ما امتد بي الأجل، أي ما حييت، والأيادي جمع اليد بمعنى العطية، ولم تمنن: أي متصلة لم تنقطع، وقوله: غير محجوب الغنى عن صديقه، يريد أن أمواله في متناول أيدي قاصديه، وقوله: ولا مظهر الشكوى ... إلخ: يريد أنه لجد صبور على قضاء الله لا يجزع لمكروه.

(٢٤/٢)

تمرين:

بين أسباب ذكر وحذف المسند إليه في العبارات الآتية:

هؤلاء جدوا وهؤلاء بلغوا الذروة. {فَضَحِكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} . {قَدَّرَ فَهَدَى} . الفاروق يدعوك. قضية ولا أبا حسن لها. على أن يناطح الصخر ويلين الحديد. من ساء طبعه هجر ربعه. وقيل لمريض: كيف حالك؟ قال: لا تسر. قيل لرجل: ماذا بيدك؟ قال: هذا كتابي، رفيقه في غربتي، وسميري في وحدتي. فاجر لا يتقي الله، قادم "تريد رجلًا بعينه". ارفق بالسائل المحرومُ "برفع المحروم". مزلزل إيوان كسرى. قطار "لواقف في طريقه". إبراهيم هذا سلب عمرًا متاعه. محتال مراوغ. هازم الجيوش، خازم أنوف الأعداء.

نجوم سماء كلما غار كوكب ... بدا كوكب تأوي إليه كواكب

فإن تولني منك الجميل فأهله ... وإلا فإني عاذر وشكور

(٢٤/٢)

تمرين يطلب جوابه:

{وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} ، {خَلَقَ فَسَوَّى} ، "أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب"، لا تخاطب السفيه اللئيم، وأحسن إلى الفقير المسكين "بضم النعت فيهما"، {يُحْيِي وَيُمِيتُ} ، وجيء بالكتاب، خلق الإنسان ضعيفًا، أقبل أمير المؤمنين "جوابًا لمن سأل: هل أقبل عمر؟ "، حاتم يقري

الضعيف، وحاتم يفك الحاني١. شنشنة أعرفها من أخزم٢ خامل الذكر "بعد ذكر شخص معين" يريد مقابلتك الليلة، خالد هذا اغتصب مال بكر. غارة. خازم الأعداء، محمد يصيد السباع في مرابضها، من طابت سريته حمدت سيرته، سئل رجل: ما خطبك؟ فقال: هم دائم.

قوم إذا أكلوا خفوا كلامهم ... واستوثقوا من رتاج٣ الباب والدار

خليلي إما أن تعينا وتسعدا ... وإما كفافًا٤ لا علي ولا ليا

---

١ هو الأسير.

٢ هذا المثل عجز بيت قاله أبو أخزم الطائي، كان ابنه أخزم يؤذيه كثيرًا ثم مات في حياة أبيه، وترك أولادًا له، فوثبوا على جدهم يومًا وأوسعوه ضربًا حتى أدموه فأنشد:

إن بني ضرجوني بالدم ... من يلق أساد الرجال يكلم

ومن يكن ردا له يقدم ... شنشنة أعرفها من أخزم

يقول: إن ضربهم إياه خصلة يعرفها من أبيهم أخزم فذهب الشطر الأخير مثلًا.

٢ الرتاج ككتاب: الباب المغلق.

٤ الكفاف كسحاب: هو من الرزق ما كف عن الناس وأغنى.

تعريف المسند إليه:

اعلم أن المسند إليه ينبغي أن يكون معرفة، لأنه المحكوم عليه فلا بد أن يكون معلومًا ليكون الحكم عليه معتدًا به، ونكتة الإتيان به معرفة قصد إفاده المخاطب أتم فائدة.

ثم إن تعريفه على وجوه مختلفة يكون بالإضمار، وبالعلمية، وبالموصولية، وبالإشارة، وبأل، وبالإضافة، ولا يخلو وجه من هذه الوجوه من أن يتعلق به غرض للبليغ إليك بيانها على هذا الترتيب:

تعريفه بالإضمار:

يؤتى بالمسند إليه ضميرًا إذا كان الحديث في أحد المقامات الثلاثة الآتية مع الاختصار١.

١- مقام التكلم: كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" ، وقول بشار بن برد أحد شعراء الدولة العباسية:

أنا المرعث لا أخفى على أحد ... ذرت بي الشمس للقاصي وللداني٢

يصف نفسه بأنه ذائع الصيت، واضح الأمر، يعرفه كل من يراه.

٢- مقام الخطاب: كقول الحماسي:

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمت بي من كان فيك يلوم

٣- مقام الغيبة: ولا بد في هذا المقام من أن يتقدم مرجع الضمير لفظًا تحقيقًا أو تقديرًا، أو أن يتقدم معنى، أو تدل عليه قرينة حال، فمثال المتقدم لفظًا تحقيقًا قوله تعالى: {وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} ، ومثال المتقدم لفظًا تقديرًا قولهم: "نعم فارسًا علي" عند من يجعل المخصوص بالمدح مبتدأ مؤخرًا، والجملة قبله خبرًا عنه مقدمًا، فمرجع الضمير في "نعم" حينئذ هو المخصوص وهو، وإن تأخر عنه في اللفظ، متقدم عليه في التقدير، لأنه مبتدأ، والمبتدأ مرتبته التقديم، ومثال المتقدم قوله تعالى: {وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ} فضمير الغائب وهو لفظ "هو" عائد على معنى "الرجوع" المفهوم من قوله "فارجعوا"، ومثال ما دلت عليه قرينة حال قوله تعالى: {وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ} فمرجع الضمير في ترك هو "الميت" وهو لم يتقدم لفظًا، ولا تقديرًا، ولا معنى، وإنما أرشدت إليه قرينة حال، هي أن الكلام مسوق لبيان الإرث.

تنبيه:

الأصل في الخطاب: أن يوجه إلى مشاهد معين، لأن معنى الخطاب:

---

١ احترز به عن قول أحد الأمراء: أمير البلاد يأمرك بكذا، فإن الحديث هنا في مقام التكلم ولكن لا اختصار فيه.

٢ الرعثة بضم الراء القرط يعلق بشحمة الأذن، ولقب بشار بالمرعث لرعثة كانت له في صغره، وذرت به الشمس طلعت.

توجيه الكلام إلى حاضر، وهو لا يكون إلا مشاهدًا معينًا كقولك تخاطب شخصًا أمامك: "أنت أسرتني بمعروفك"، وقد يخرج الخطاب عن أصله فيخاطب:

١- غير المشاهد إذا كان مستحضرًا في القلب، كأنه نصب العين كما في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} ، ونحو: "لا إله إلا أنت" وما أشبه ذلك.

٢- غير المعين إذا قصد تعميم الخطاب، أي توجيهه إلى كل من يتأتى خطابه، كما نقول: "فلان لئيم، إن أحسنت إليه أساء إليك"، فليس بالضمير في قولك: "إن أحسنت" مخاطبًا معينًا كما هو الأصل في الخطاب،

وإنما أريد مطلق مخاطب، إشارة إلى أن سوء معاملة اللئيم، لا يختص به واحد دون آخر، ومنه قول المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} . فالمراد بقوله: "ولو ترى": مطلق مخاطب "إشارة" إلى أن حالة المجرمين في ذلك الوقت من تنكيس الرءوس خوفًا وخجلًا، ومن رثاثة الهيئة، واسوداد الوجه وغير ذلك من سمات الخزي والخذلان، قد تناهت في الظهور والافتضاح لأهل المحشر إلى حد، يمتنع عنده خفاؤها، فلا يختص بها راء دون راء، وإذا فلا يختص بهذا الخطاب مخاطب دون مخاطب، بل كل من تتأتى منه الرؤية فله نصيب من هذا الخطاب. ا. هـ.

تعريفه بالعلمية:

يؤتى بالمسند إليه علمًا لأسباب كثيرة منها:

١- إحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاص به ليتميز عمن عداه كقوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ} . {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول} جيء في المثالين بالمسند إليه علمًا لإحضاره مسماه في ذهن السامع باسمه الخاص تمييزًا له عمن سواه، وإنما قلنا: "باسمه الخاص" للاحتراز به عن إحضار المسمى بالضمير مثلًا نحو: "أنا كتبت" فإنه وأن أحضر به معنى المسند إليه في ذهن السامع، ليس اسمًا خاصًّا به، لأن لفظ "أنا" موضوع وضعًا عامًّا لكل متكلم، وهكذا يقال في سائر المعارف كاسم الإشارة، والموصول، وغيرهما.

٢- تعظيم المسند إليه: أو إهانته، كما في الألقاب، والكنى

الصالحة لذلك كقولك: "قدم حسام الدين" و"أقبل أبو الفضل"، وكقولك: "ذهب أنف الناقة"، و"رحل أبو الجهل" جيء بالمسند إليه علمًا في هذه المثل لقصد تعظيمه في الأولين، وتحقيره في الآخرين، وقد يكون ذلك لتعظيم غير المسند إليه، أو إهانته كما في قولك: "أبو الخير صديقي"، و"أبو لهب رفيقك" فالغرض من هذا تعظيم المتكلم في الأول وإهانة المخاطب في الثاني، وكلاهما المسند إليه.

٣- التفاؤل به: أو التطير منه نحو: "أقبل سرور، وذهب حرب"، فالغرض من الإتيان بالمسند إليه علمًا التفاؤل في الأول والتشاؤم في الثاني.

٤- التبرك به أو التلذذ فالأول نحو "الله حسبي" و"محمد شفيعي" إذا تقدم لهما ذكر في الكلام، فيعاد ذكرهما تيمنًا به، والثاني كما في ذكر أسماء الأحبة كقول مجنون ليلى:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ... ليلاي منكن أم ليلى من البشر

والشاهد في قوله "أم ليلى"، فإن مقتضى سياق الحديث أن يقول: "أم هي" إذ المقام للضمير لتقدم المرجع، لكنه أورده علمًا لقصد التلذذ بذكر اسم محبوبته.

٥- الكناية عن معنى يصلح المعلوم، بحسب معناه الأصلي، قبل أن يكون علمًا كما تقول: "أبو لهب فعل كذا".

وتوجيه الكناية فيه: أن "أبو لهب" قبل أن يكون علمًا على الذات فهو مركب إضافي معناه، أبو النار، وأن النار متولدة منه كما تتولد من الخشب، ويلزم من كون الإنسان أبا للنار، بمعنى أنه وقودها، أن يكون جهنميًّا، أي من أهل جهنم إذ إن اللهب الحقيقي هو لهب جهنم، قال تعالى: {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} ، وحينئذ فلفظ "أبو لهب" -بهذا المعنى المذكور- ملزوم، وقد أطلق لينتقل منه إلى لازمه، وهو كونه جهنميًّا، والانتقال من الملزوم إلى اللازم هو معنى الكناية كما عرفته في محله، فإذا قلت في شأن كافر مسمى "بأبي لهب": أبو لهب فعل كذا فالنكتة في إيراد المسند إليه علمًا: هي أنه كناية عن كونه جهنميا باعتبار المعنى الأصلي الإضافي: من إطلاق الملزوم وهو كونه أبا للنار، وإرادة اللازم، وهو "كونه جهنميًّا" أي من أهل جهنم خالدًا فيها، إلى غير ذلك من دواعي إيراد المسند إليه علمًا.

(٢٩/٢)

تعريفه بالإشارة:

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة لدواع، يلاحظها البلغاء منها:

١- تمييز المسند إليه أكمل تمييز لاقتضاء الحال ذلك، كأن يكون المقام مقام مدح، أو أن يكون المسند إليه مختصًّا بحكم بديع، فمثال الأول قول ابن الرومي الشاعر العباسي:

هذا أبو الصقر فردًا في محاسنه ... من نسل شيبان بين الضال والسلم١

يمدح الشاعر هذا الرجل بأنه فذ في خَلقه وخُلقه، لا يدانيه فيهما أحد، وأنه سليل قوم ذوي شمم وإباء، لأنهم يسكنون البوادي، وهي لا تخضع لسطان حاكم، ولا تدين لسلطة قانون والشاهد قوله: هذا أبو الصقر، حيث عبر عن المسند إليه "باسم إشارة" لمقصد تمييزه تمييزًا كاملًا، اقتضاء مقام المدح. ومثال الثاني قول الراوندي:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقًا

يقول: كثير من ذوي الرأي والعقل، ضاقت بهم سبل العيش الرغيد، وسدت في وجوههم مسالك الحياة الهنيئة، بينما نرى كثيرا من ذوي الجهل في رغد من العيش، وسعة الرزق، وهذا الأمر لبعده في بادئ الرأي عن مظان

الحكمة والصواب، وخروجه عن المعتاد المألوف، جدير أن يترك العقول حائرة، ويجعل العالم الراسخ في العلم زائغ العقيدة، مسلوب الرشاد، والشاهد قوله: "هذا الذي" حيث أتى بالمسند إليه "اسم إشارة"٢ لقصد تمييزه تمييزا كاملا لما اختص به من هذا الحكم البديع، وهو ترك العقول حائرة، والعالم النحرير زنديقا.

٢- التعريض بغباوة السامع، وأن الأشياء لا تتميز عنده إلا بالإشارة الحسية، كقول الفرزدق يهجو جريرًا، ويفتخر عليه:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

---

١ شيبان اسم قبيلة، والضال جمع ضالة وهي شجرة النبق والسلم بفتح اللام جمع سلمة بالتحريك وهي شجرة ذات شوك.

٢ المشار إليه هو ما فهم من البيت الأول "من إعطاء الجاهل وحرمان العاقل" ولغرابة مدلوله وخروجه عن المألوف اختص بهذا الحكم البديع الذي هو "ترك الأوهام حائرة ... إلخ".

يريد: أن جريرًا لا يستطيع أن يأتي بمثلهم آباء ذوي مجد وحسب إذا جمعتهما مجامع الفخر والمساجلة، والشاهد قوله: "أولئك آبائي" حيث أورد المسند إليه "اسم إشارة" قصدًا إلى أن يصم جريرًا يوصمه الغباوة، وأنه لا يدرك إلا المحس بحاسة البصر، ولو أنه عدد آباءه بأسمائهم، فقال: فلان وفلان آبائي لم يكن فيه ما أراد الشاعر: من التعريض عند من له ذوق سليم.

٣- بيان حال المسند إليه: من القرب، أو البعد، أو التوسط، فيقال: "هذا محمد" إذا أريد بيان أنه قريب ويقال: "ذلك محمد" إذا أريد بيان أنه بعيد، ويقال: "ذاك محمد" إذا أريد بيان أنه في مكان لا هو بالقريب، ولا بالبعيد.

غير أنه قيل: إن كون "هذا" للقريب و"ذلك" للبعيد، و"ذاك" للمتوسط، بحث خاص بعلماء اللغة، لأنهم إنما يبحثون في المعاني الوضعية، أي من حيث أن "هذا" موضوع للقريب، و"ذلك" موضوع للبعيد، و"ذاك" موضوع للمتوسط، وعلم المعاني يبحث فيها من جهة أنه يؤتى "بهذا" إذ قصد بيان قرب المشار إليه، بأن كان المقام يقتضي ذلك، ويؤتى "بذلك" إذا أريد بيان بعد المشار إليه متى اقتضته الحال، وهكذا فالبحث فيها عند علماء اللغة من حيث الوضع، وعند علماء المعاني من حيث اقتضاء الحال لها فوضح الفرق.

٤- تعظيم المسند إليه بالقرب: كما في قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} ، فينزل قربه من

النفس، وحضوره في الذهن منزلة قرب المسافة، ويعبر عنه "باسم الإشارة" الموضوع للقريب لقصد تعظيمه١.

٥- تعظيم المسند إليه بالبعد: كأن تقول لحاضر في المجلس: "ذلك الرجل ملجأ البائسين، ومنار المدلجين" فينزل بعد درجته وعلو مرتبته منزلة المسافة، ويعبر عنه "باسم الإشارة" الموضوع للبعيد لقصد تعظيمه٢.

---

١ وجه دلالته على التعظيم هو أنه الشيء المحبوب يكون عادة مخالطًا للنفس حاضرًا في الذهن، فتعظيمه حينئذ يناسبه القرب المكاني.

٢ وجه دلالته على التعظيم هو أن العظيم يتأبى على الناس عادة ويبعد عنهم لعزته ورفعة شأنه، فتعظيمه حينئذ يناسبه البعد المكاني على هذا الاعتبار.

٦- تحقير المسند إليه بالقرب: كما في قوله تعالى: {هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُم} ، قاله أبو جهل "قبحه الله" مشيرًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقد نزل دنو درجته وانحطاط مرتبته منزلة قرب المسافة، وعبر عنه "باسم الإشارة" الموضوع للقريب لقصد إهانته في "زعمه" لعنة الله عليه١.

٧- تحقير المسند إليه بالبعد: كقولك لحاضر مجلسك، ذلك اللئيم وشى بي عند الأمير، فينزل بعده عن ساحة الحضور والخطاب منزلة بعد المسافة، ويعبر عنه "باسم الإشارة" الموضوع للبعيد لقصد تحقيره وامتهانه٢.

٨- التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف، جدير من أجل تلك الأوصاف بما يذكر بعد "اسم الإشارة" كما في قوله تعالى: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ، فالمشار إليه في الآية بأولئك هم "المتقون" وقد عقبه بأوصاف: هي "الإيمان بما أنزل"، و"الإيقان بالآخرة"، ثم أتى بالمسند إليه "اسم الإشارة" تنبيهًا على أن المشار إليهم أحقاء -من أجل تلك الأوصاف المذكورة- بأن يفوزوا بالهداية عاجلًا، وبالفلاح آجلًا.

ملاحظة:

كثيرًا ما يشار إلى القريب غير المشاهد بإشارة البعيد تنزيلًا للبعيد عن العيان منزلة البعد المكاني، كقوله تعالى حكاية عن سيدنا الخضر مخاطبًا موسى عليه السلام: {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} يشير بذلك إلى السبب الذي حمله على ما فعل، من "قتل الغلام، وخرق السفينة، وإقامة الجدار".

---

١ وجه دلالته على التحقير هو أن الحقير عادة لا يمتنع على الناس بل يكون قريب الموصول إليه مبتذلًا واقعًا بين أيديهم وأرجلهم، فتحقيره حينئذ يناسبه القرب المكاني على هذا التقدير.

٢ وجه دلالته على التحقير هو أن الحقير عادة من شأنه ألا يلتفت إليه، ولا يعرض للخاطر لنفرة النفس منه، فتحقيره يناسبه البعد المكاني على هذا الاعتبار.

(٣٢/٢)

تعريفه بالموصولية:

يؤتى بالمسند إليه اسم موصول لدواع كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١- ألا يعلم المتكلم أو المخاطب أو كلاهما شيئًا مما يتعلق بالمسند إليه سوى الصلة، كأن ترى عند أحد أصدقائك رجلًا يرجوه في أمر، ولا عهد لكما أو لأحدكما به، فتقول له من الغد "جاءك الذي كان عندك أمس يتوسل إليك" فتأتي بالمسند إليه "اسم موصول" لعدم العلم بشيء يتعلق به سوى هذه الصلة، لأنها هي المعلومة لكما.

٢- استهجان التصريح بذكر المسند إليه، بأن كان مشعرًا بمعنى تقع النفرة منه عرفًا كما في قولك: "الذي يخرج من السبيلين ناقض للوضوء". وكقولك: "الذي رباني أبي" إذا كان اسمه مما لا يستحسن ذكره كلفظة جحش، أو برغوث، أو بطة، أو نحو ذلك.

٣- التفخيم والتهويل كقوله تعالى: {فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ} عبر عن المسند إليه "بما" الموصولية قصدا إلى التفخيم والتهويل، إذ إن في الموصول إشارة إلى أن تفصيل المسند إليه وبيانه، مما لا تفي به عبارة ولا يحيط به علم، ومنه قول الشاعر يصف الخمر:

مضى بها ما مضى من عقل شاربها ... وفي الزجاجة باق يطلب الباقي

أي مضي بها قدر عظيم من العقل، لا يدرك كنهه.

٤- تشويق المخاطب إلى الخبر ليتمكن في ذهنه، وذلك حيث يكون مضمون الصلة حكمًا غريبًا كقول المعري:

والذي حارت البرية فيه ... حيوان مستحدث من جماد

يقول: إن الذي تحيرت الخلائق في خلقه العجيب واختلف الناس في أمر بعثه، وهل يعاد ثانيًا بعد موته أو لا يعاد؟ هو ذلك الحيوان الآدمي المتولد من النطفة، أو من طينة آدم على الخلاف في المراد بالجماد، والشاهد قوله: "والذي حارت البرية فيه" حيث عبر عن المسند إليه "باسم الموصول" لتضمن الصلة أمرًا غريبًا، هو

إيقاع البرية في حيرة وارتباك، ومثل هذا الأمر الغريب يشوق النفس إلى أن تعرف ذلك الذي أوقع البرية كلها في هذه الحيرة.

٥- تقرير الغرض المسوق له الكلام: كقوله تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ} فالغرض المسوق له الكلام "نزاهة يوسف وبعده عن مظان الريبة"، والتعبير باسم الموصول مع صلته أدل على هذا

الغرض مما لو قال: "وروادته امرأة العزيز أو زليخاء"؛ لأنه إذا كان في بيتها، وتمكن من نيل مراده منها، ومع ذلك عف وامتنع، كان ذلك غاية في النزاهة.

وقيل: إن المراد في الآية: تقرير المسند الذي هو "المراودة" بمعنى أنها وقعت منها "لا محالة" لأن وجوده في بيتها -مع ما لها من سعة السلطان، وقوة النفوذ، ومع فرط الاختلاط والألفة- أدل على وقوع المراودة، وصدور الاحتيال منها[١].

٦- التنبيه على خطأ وقع فيه المخاطب أو غيره؛ مثال الأول قول عبيدة بن الطيب من قصيدة يعظ بها بنيه:

إن الذين ترونهم إخوانكم ... يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا

يقول: إن الذين تظنونهم أحباءكم، وأنهم يتمنون الخير لكم، هم على غير ما تظنون؛ يودون السوء لكم، وإيقاع الشر بكم. والشاهد قوله: "إن الذين ترونهم إخوانكم" حيث أتى بالمسند إليه موصولا لقصد تنبيه المخاطبين على خطئهم في ظنهم أن أمثال هؤلاء أصدقاء لهم، إذا تحقق فيهم ما لا يتفق مع هذه الصداقة: من تربص الدوائر بهم، بخلاف ما لو صرح بأسمائهم، فليس في ذلك ما يدل على تنبيههم إلى ذلك الخطأ، ومثال ما فيه تنبيه على خطأ غير المخاطب قولك: "إن الذي يحسبه محمد صديقه الحميم يغتم لسروره ويبتهج لحزنه، ويود له ما لا يحب" ففيه من التنبيه على الخطأ في هذا الحسبان ما ليس في التصريح بالاسم، ومنه قول الشاعر[٢]:

إن التي زعمت فؤادك ملها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها

---

١ وقيل: المراد تقرير المسند إليه الذي هو امرأة العزيز أو زليخاء لإمكان وقوع الإبهام والاشتراك فيهما. بيان ذلك أنه لو قال: وراودته زليخاء لم يعلم يقينا أنها المرأة التي هو في بيتها لاحتمال أن يكون هناك امرأة أخرى مسماة بهذا الاسم غير التي هو في بيتها، ولو قيل: وراودته امرأة العزيز لوقع مثل هذا الاحتمال أيضًا وإن كان بعيدًا، بخلاف التعبير بالموصول فإنه لا احتمال فيه، لأنه معلوم من الخارج أن التي هو في بيتها إنما هي زليخاء امرأة العزيز لا غير.

٢ هو ابن أذينة أحد بني ليث بن بكر، وهو شاعر غزل مقدم من شعراء المدينة معدود في الفقاء والمحدثين روى عنه مالك بن أنس.

(٣٤/٢)

ففي التعبير بالموصول تنبيه على خطأ هذا الزعم.

٧- الإشارة إلى نوع الخبر المحكوم به على المسند إليه كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} أتى بالمسند إليه "اسم موصول"؛ لأن في مضمون صلته وهو الاستكبار عن العبادة تلميحًا وإشارة إلى أن الخبر المترتب عليه من جنس العقوبة والإذلال، وكقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} ، فإن في مدلول الصلة -وهو الإيمان والعمل الصالح- ما يشير إلى أن الخبر المحكوم به من نوع الإثابة والإمتاع، ومن ذلك قولهم: "من ثابر وصبر جنى أطيب الثمر"، وقولهم: "من زرع الإهمال حصد الوبال"، ففي الأول إشارة إلى أن الخبر من نوع الفوز والفلاح، وفي الثاني إشارة إلى أن الخبر من جنس الإخفاق والحرمان، وهكذا.

تنبيه: قد يكون في الموصول إشارة إلى نوع الخبر على نحو ما تقدم ولكن لا يكون ذلك ملحظ المتكلم، ولا مقصوده من الكلام، وإنما يرمى إلى هدف آخر، هو "التعريض" بتعظيم الشيء أو تحقيره، أو أن يكون الهدف تحقيق ذلك الشيء وتقريره.

فمثال ما فيه تعريض بالتعظيم قول الفرزدق يفخر على جرير:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتًا دعائمه أعز وأطول

يقول: إن الذي رفع السماء "ذلك البناء العظيم" بنى لنا مجدًا وشرفًا لا يطاولهما شيء، وجعل فينا العزة والسيادة، أما أنت "يا جرير" بلا مجد لك ولا شرف، والشاهد فيه قوله: "إن الذي سمك السماء"، ففي الموصول إشارة إلى أن الخبر من جنس البناء والرفعة، لكن ليس هذا هو المقصود بالذات إنما الغرض الذي يرمي إليه الشاعر هو التعريض بتفخيم بيته وتعظيمه من حيث إن بانيه هو ذلك الذي رفع السماء، وأي بناء أرفع وأعظم من سماء هي من صنع يد ذلك المبدع القادر؟ ولو أنه عبر عن المسند إليه بغير الموصول، فقال مثلا: "إن الله بنى لنا بيتًا" لتعطل جيد العبارة من تلك الحلية البلاغية، ومثله قوله تعالى: {الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ} ففي الموصول إشارة إلى أن الخبر من نوع الخيبة والخسران، لأن شعيبًا نبي، فتكذيبه يفضي إلى هذه الصفة الخاسرة، لكن المقصود من هذا إنما هو التعريض بتعظيم شأن شعيب عليه السلام، من حيث إن تكذيبه، أوجب هذا الخسران المبين.

ومثال ما فيه تعريض بالإهانة قولك: "إن الذي لا يحسن قرض الشعر أنشأ قصيدة" ففي الموصول إشارة إلى أن الخبر من نوع

التأليف والإنشاء لكن ليس هذا هو المقصود، إنما الغرض التعريض، بتحقير هذه القصيدة، وأنها من النوع المبتذل الساقط، لأنها من صنع من لا يجيد قول الشعر، ومثله قولهم: "إن الذي يتبع الشيطان مخذول خاسر" ففي الموصول إشارة إلى أن الخبر من نوع الخزي والخذلان، لأن الشيطان ضال مضل، فاتباعه ضرب من التخاذل، غير أن الغرض التعريض بتحقير الشيطان، من حيث إن اتباعه يفضي إلى ذلك المصير البغيض.

ومثال ما فيه تحقيق الشيء وتقريره قول الشاعر:

إن التي ضربت بيتًا مهاجرة ... بكوفة الجند غالت ودها غول[1]

يقول متوجعًا شاكيًا من جفاء حبيبه وهجره، أن التي نزعت إلى الكوفة واتخذت بها موطن إقامة دائمة تصرمت حبال ودها، وانحلت عرى العلاقة بيني وبينها، والشاهد في تعبيره بالموصول، إذ فيه إشارة إلى أن الخبر المترتب عليه من نوع زوال المحبة، وانقطاع المودة، لأن الإنسان لا يهجر وطنه إلى غيره "في العادة" إلا إذا كان كارهًا لأهله، راغبًا عنهم ولكن ليس هذا ملحظ الشاعر، إنما يريد أن يدل بهذه المهاجرة منها على تحقيق هذا الجفاء، وتقرير انصراف قلبها عنه، وإلا فكيف استساغت لنفسها هذا الفراق، واتخذت ذلك البلد النائي موطن إقامة؟ إلى أشباه ذلك من الدواعي كالترغيب في نحو قولك: "الذي حسنت خصاله، ونبلت فعاله محبوب" وكالتنفير نحو: "الذي شاه خلقه وساء خلقه ممقوت" وغير ذلك مما يكون الغرض فيه شيئًا آخر غير الإشارة إلى نوع الخبر.

تعريفه بأل:

يؤتى بالمسند إليه معرفًا "بأل" للأغراض الآتية بعد:

١- الإشارة بها إلى معهود خارجًا، وتسمى اللام حينئذ "لام العهد الخارجي" وهي التي كون مدخولها معينًا في الخارج.

وتنقسم باعتبار مدخولنا إلى ثلاثة أقسام: لام العهد الصريحي، ولام العهد الكنائي، ولام العهد العلمي.

---

١ ضرب البيت بناؤه للإقامة فيه، وإضافة الكوفة للجند لأدنى ملابسة والغول كل ما يغتال.

فالأولى: ما يتقدم لمدخولها ذكر صريح كقولك: "صنعت في رجل جميلًا فلم يحفظ الرجل هذا الجميل" فإتيان المسند إليه وهو "الرجل" محلى "بأل" للإشارة بها إلى معهود في الخارج عهدًا صريحًا لتقدم ذكره في قوله: "صنعت في رجل جميلًا".

والثانية: ما يتقدم لمدخولها ذكر كنائي، أي غير مصرح به كما في قوله تعالى: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى} ، فإتيان المسند إليه، وهو لفظ "الذكر" معرفة "بأل" للإشارة بها إلى معهود في الخارج عهدًا كنائيًا، لتقدم ذكره كناية في قوله تعالى حكاية عن امرأة عمران: {رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} فإن لفظ "ما" مبهم: يعم "بحسب وضعه" الذكور والإناث لكن التحرير، وهو أن يعتق الولد ليكون وقفًا على خدمة بيت المقدس، إنما كان للذكور دون الإناث. فلفظ "ما" حينئذ كناية عن الذكر باعتبار اختصاص التحرير بالذكور.

والثالثة: ما لا يتقدم لمدخولها ذكر مطلقًا، ولكن للمخاطب علم به لقرينة حال، وهذه اللام على قسمين: لام العهد الحضوري، ولام العهد العلمي.

فالأولى: ما يكون مدخولها حاضرًا في المجلس كأن تقول في شأن رجل حاضر: "أبدع الرجل في كلامه" لمخاطب سبق له علم به.

والثانية: ما يكون مدخولها غائبًا عن المجلس كأن تقول في شأن رجل غائب: "أنشد الرجل فأبدع في إنشاده" لمخاطب سبق له به علم، فإتيان السند إليه في القسمين محلى "بأل" للإشارة بها إلى معهود في الخارج عهدًا علميًا لتقدم علم المخاطب به.

٢- الإشارة بها إلى الحقيقة: وهي التي يكون مدخولها موضوعًا للحقيقة والماهية.

وتنقسم أيضًا باعتبار مدخولها إلى ثلاثة أقسام لام الحقيقة١، لام العهد الذهني، لام الاستغراق.

فالأولى: ما يكون مدخولها مرادًا به الحقيقة نفسها، بغض النظر عما ينطوي تحقيقًا من أفراد كقولهم: "أهلك الناس الدرهم والدينار"، فالإتيان بالمسند إليه محلى "بأل" للإشارة بها إلى حقيقة الدرهم، وحقيقة الدينار، لأن الحكم المذكور إنما هو على جنس هذين النقدين، لا على نقد بعينه كما هو ظاهر، وكقولهم: "الرجل خير من المرأة" فالحكم بالخيرية إنما هو على الحقيقة نفسها، بمعنى: أن حقيقة الرجل خير من حقيقة المرأة،

---

١ وتسمى أيضًا لام الجنس ولام الطبيعة.

بلا نظر إلى الأفراد، وهذا لا ينافي أن بعض أفراد حقيقة المرأة يفضل بعض أفراد حقيقة الرجل كالسيدة عائشة أم المؤمنين مثلًا فالمنظور إليه في المفاضلة إنما هو الحقيقة لا الفرد، وليس من شك في أن حقيقة الرجل إذا صرف النظر عن الأفراد تفضل حقيقة المرأة.

والثانية: ما يكون مدخولها مرادًا به فردًا مبهمًا من أفراد الحقيقة إذا قامت القرينة على ذلك كقوله تعالى: {وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} عرف المسند إليه "بأل" للإشارة بها إلى فرد غير معين من أفراد حقيقة الذئب، فليس المراد الحقيقة نفسها بقرينة قوله: {أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ} ، إذ الحقيقة من حيث هو أمر لا وجود لها في الخارج، حتى يتحقق منه أكل أو شرب، وليس المراد فردًا معينًا من أفراد الحقيقة، إذ لا عهد في الخارج بذئب معين، فتعين أن يكون المراد فردًا مبهمًا من أفرادها، ومنه قول الشاعر:

ومن طلب العلوم بغير كد ... سيدركها متى شاب الغراب

فليس المراد حقيقة الغراب، بقرينة قوله: "شاب"، وليس المراد فردًا معينًا من أفرادها إذ لا عهد بغراب معين، فظهر أن المراد فرد مبهم.

والثالثة: ما يكون مدخولها مرادًا به جميع أفراد الحقيقة، وإنما سميت "لام الاستغراق" لأن المفاد بها: استغراق جميع الأفراد.

وهذه اللام قسمان: لام الاستغراق الحقيقي، ولام الاستغراق العرفي.

فالأولى: ما يكون مدخولها مرادًا به كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب اللغة كقولك: "الغيب يعلمه الله"، عرف المسند إليه "بأل"؛ لأن القصد إلى جميع الأفراد التي يتناولها لفظ "الغيب" لغة، أي كل غيب، وكقوله تعالى: {إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} فالقصد فيه أيضًا إلى جميع الأفراد التي يتناولها لفظ "الإنسان" لغة، أي كل إنسان، بدليل الاستثناء الآتي بعد في قوله: {إِلَّا الَّذِينَ} ... الآية، فهو أمارة إرادة العموم في الإنسان: إذ شرطه دخول المستثنى في المستثنى منه لو سكت عن ذكر المستثنى.

والثانية: ما يكون مدخولها مرادًا به كل فرد مما يتناول اللفظ بحسب العرف والعادة، كأن تقول: "امتثل الجند أمر الأمير"، فإن المراد جميع الأفراد التي يتناولها لفظ "الجند" عرفًا، أي جنود مملكته، لا جنود الدنيا، إذ ليس في وسع الأمير: أن يبسط نفوذه على جنود العالم أجمع عادة.

(٣٨/٢)

وصفوة القول: هو أن "أل" التعريفية على قسمين:

الأول: لام العهد، وتحته أنواع ثلاثة: صريحي، كنائي، علمي. والعلمي نوعان: علمي حضوري وعلمي فقط.

والثاني: لام الحقيقة وتحته أنواع ثلاثة أيضًا: لام الحقيقة من حيث هي ولام الحقيقة ويراد فرد مبهم من أفرادها، وهي المسماة بلام العهد الذهني، ولام الحقيقة، ويراد جميع أفرادها وهي المسماة بلام الاستغراق، وهي نوعان: لام الاستغراق الحقيقي، ولام الاستغراق العرفي. ا. هـ.

تعريفه بالإضافة:

يؤتى بالمسند إليه معرفًا بالإضافة لمزايا كثيرة، نذكر أهمها فيضًا يأتي:

١- أنها أخصر طريق إلى إحضار مدلول المسند إليه في ذهن السامع كما تقول: "وافاني غلامي" فالتعبير بالإضافة أخصر من قولك: الغلام الذي لي أو غلام لي. وكقول جعفر بن علبة الحارثي١.

هواي مع الركب اليمانين مصعد ... جنيب وجثماني بمكة موثق٢

ويقول والحزن يملأ قلبه، ويجز في أحشائه: أنه سجين بمكة، وأن السجن حال دون أن يرى حبيبه بل سفره، وكان يود لو يحظى منه بنظرة وداع، والشاهد قوله "هواي" حيث أتى بالمسند إليه مضافًا لقصد الاختصار في اللفظ، وهو مطلوب هنا لضيق صدره، وفرط سآمته، وتوجعه لكونه سجينًا والحبيب راحل، ولا شك أن "هواي" أخصر من "الذي أهواه" مثلا.

---

١ قاله وهو سجين بمكة وكان قد قتل رجلًا من بني عقيل، فسجن فيه وكان يومئذ بمكة ركب من اليمن فيه محبوبته، وقد عزم هذا الركب على الرحيل فأنشد هذا البيت. من قصيدة في هذا المعنى.

٢ هواي أي مصدر أريد به اسم المفعول أي مهوي، والركب اسم جمع لراكب واليمانين جمع يمان، وأصل "يمان" يمني، حذفت منه ياء النسب وعوض عنها الألف على خلاف القياس، ثم أعل أعلام "قاض"، ومصعد من أصعد في الأرض إذا سار فيها والجنيب المستتبع، وهو الذي يتبعه قومه، ويقدمونه أمامهم.

٢- تضمن الإضافة تعظيمًا لشأن المضاف، أو المضاف إليه، أو غيرهما فمثال تعظيم المضاف قولك: "عبد الأمير قادم" ففي الإضافة تعظيم للمضاف بأنه عبد الأمير، ومثال تعظيم المضاف إليه قولك: "عبدي حضر" فالمراد تعظيم المتكلم بأن له عبدًا، ومثال تعظيم غير المضاف والمضاف إليه قولك: "جليس الأمير زارني"، ففي الإضافة تعظيم للمتكلم وهو غير المسند إليه المضاف، وغير ما أضيف إليه المسند إليه، وفيها أيضًا تعظيم للمضاف، ولكنه غير مراد.

٣- تضمن الإضافة تحقيرًا لشأن المضاف، أو المضاف إليه، أو غيرهما كذلك، فمثال الأول قولك: "ولد

اللص قادم" ففي الإضافة تحقير للمضاف بأن أباه لص، ومثال الثاني قولك: "ضارب زيد آت" ففيه إهانة للمضاف إليه بأنه مضروب، ومثال الثالث قولك: "ولد السفيه يجالس عمرًا" ففي الإضافة إهانة وتحقير لشأن عمرٍو بأن ولد السفيه من جلسائه، وهو ليس مضافًا ولا مضافًا إليه، وفيها أيضًا تحقير للمضاف، ولكنه غير مقصود.

٤- إغناؤها عن تفصيل متعذر أو متعسر، فمثال المتعذر تفصيله قولهم: "أهل مصر كرام" فقد أضيف المسند إليه لتعذر تعداد أهل مصر، ومثال المتعسر قول حسان بن ثابت:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن ماوية الكريم المفضل[1]

وقول مروان بن أبي حفصة:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لها في غيل خفان أشبل[2]

أضيف المسند إليه في "البيتين"؛ لتعسر تعداد أولاد جفنة، وبني مطر.

٥- إغناؤها عن تفصيل حال دونه مانع مع تيسره، كما تقول:

"حضر قادة الجيش" فيضاف المسند إليه منعًا لوقوع التنافس بينهم فيما لو ذكرت أسماؤهم، وقدم اسم أحدهم على غيره.

٦- تضمن الإضافة اعتبارًا لطيفًا كما في قول الشاعر:

إذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة ... سهيل أذاعت غزلها في القرائب

---

١ أولاد جفنة من الغساسنة الذين كان يمدحهم الشاعر بالشام.

٢ الغيل الأجمة وخفان مأسد مشهورة بقوة أسودها.

يقول: إن المرأة الحمقاء لا تتهيأ في الصيف للشتاء بإعداد الغزل، حتى إذا ما طلع الكوكب المذكور في بدء الشتاء وزعت غزلها على قريباتها ليغزلنه، والشاهد قوله: "إذا كوكب الخرقاء" حيث أضيف المسند إليه "الخرقاء" لاعتبار لطيف، وهو الإشارة إلى أن الإهمال والتكاسل ديدنها وعادتها، وإنها غافلة عن القيام بشئونها، ولا تفيق إلا على ضوء هذا النجم، وكأنما خلق لأجلها.

إلى غير ذلك من الدواعي كالاستهزاء في قوله تعالى حكاية عن فرعون مخاطبًا قومه: {إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} ، وكغير ذلك من دواعي الإضافة، فليست الدواعي محصورة فيما ذكرنا كما هو معروف.

تنكير المسند إليه:

يؤتى بالمسند إليه نكرة لأسباب أهمها ما سنذكره لك فيما يلي:

١- أن يكون القصد إلى فرد غير معين، إما لأن المتكلم لم يعلم جهة من جهات التعريف: من علمية، أو صلة، أو غير ذلك، أو لأن غرضه لم يتعلق بتعيينه، وإن كان معينًا، مثال الأول قولك لآخر: "حضر رجل هنا يسأل عنك" تقول ذلك إذ لم تعرف اسمه، ولا شيئًا يتعلق به، ومثال الثاني قوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى} فقد ذكر المفسرون أن ذلك الرجل هو "حبيب النجار" غير أن الغرض لم يتعلق به معينًا.

٢- أن يكون القصد نوعًا خاصًّا من أنواع الجنس كقوله تعالى: {وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} نكر المسند إليه وهو "غشاوة"؛ لأن المقصود نوع خاص من أنواع الأغشية غير ما يتعارفه الناس، ذلك هو غطاء التعامي عن الحق، أي الإعراض عن آيات الله١.

٢- أن يكون الغرض تعظيم المسند إليه، أو تحقيره، وأنه بلغ في رفعة الشأن حدًّا فوق متناول المدارك، أو انحط إلى درجة لا يعتد بها.

---

١ يرى السكاكي أن التنكير في هذا لتعظيم أي غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم دفعة واحدة وتحول بينهم وبين الإدراك، لكن هذا لا يتنافى مع قصد النوعية: لأن الغشاوة العظيمة التي هي غطاء التعامي عن الحق نوع خاص من أنواع الأغشية.

(٤١/٢)

ولا يلتفت إليها، وقد اجتمعا في قول مروان ابن أبي حفصة:

له حاجب في كل أمر يشينه ... وليس له عن طالب العرف حاجب

يقول: أن بينه وبين ما يشينه حجابًا كثيفًا، وهو إلى جانب هذا في متناول أيدي العفاة، لا يحول دون قاصديه حائل، والشاهد في لفظي "حاجب" في شطري البيت، حيث أتى بهما منكرين، أما في الشطر الأول فلقصد تعظيم الحائل دون ما يشينه، وأنه في حصن حصين من كل ما يزري به، وأما في الشطر الثاني فلقصد تحقير ما يحول بينه وبين قاصديه، كناية عن أن بابه مفتوح على مصراعيه لمن يريد الولوج، فليس هناك أدنى مانع

يحجبهم عن فضله ومعروفه. ومثله قول الشاعر:

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والخلاعة جانب

فالتنكير في الأول للتعظيم، وفي الثاني للتحقير، يدل على مقام التمدح برجحان جانب الخير فيه على جانب الشر.

٤- أفاده التكثير أو التقليل، مثاله في التكثير: "إن له لإبلا، وإن له لغنمًا"، أتى بالمسند إليه في الجملتين نكرة لقصد إفادة أن لديه عددًا كبيرًا من الإبل والغنم، وأنها من الكثرة، بحيث لا يمكن الإحاطة بها، والوقوف على مقدارها. ومثاله في التقليل قوله تعالى: {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} فقد نكر المسند إليه، وهو "شيء" لقصد أفاده أنه شيء قليل.

ولا يخطر بالبال: "أن التعظيم والتكثير شيء واحد، وأن التحقير والتقليل كذلك فإن بين هذه المعاني من الفروق ما لا يخفى، ذلك أن التعظيم يراعى فيه الحال والشأن كعلو المرتبة، وبعد المنزلة، أما التكثير فالمراعى فيه الكميات والمقادير، كالمعدودات والموزونات، وكذلك يقال في الفارق بين التحقير والتقليل، وقد اجتمع التعظيم والتكثير في قوله تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ} ذكر المسند إليه وهو "رسل" لقصد إفادة التعظيم أو التكثير باعتبارين؛ فعلى اعتبار أنهم ذوو شأن عظيم كان التنكير للتعظيم، وعلى اعتبار أن عددهم كبير كان التنكير للتكثير واجتمع التحقير والتقليل كذلك في قولهم: "أصابني منه شيء" أي حقير قليل، فالتنكير هذا للتحقير إن روعي من حيث الشأن، وهو للتقليل إن روعي من حيث العدد.

٥- أن يمنع من التعريف مانع كقول الشاعر:

إذا سئمت مهنده يمين ... لطول العهد بدله شمالًا

لم يقل "يمينه" تحاشيًا من أن ينسب السآمة بصريح اللفظ إلى يمين الممدوح، وهو اعتبار لطيف.

٦- أن يراد إخفاؤه عن المخاطب كما تقول لآخر: "قال لي رجل: إنك تنكبت جادة الطريق" فتخفي اسمه لئلا يلحقه أذى من المخاطب إذ نسب إليه ما لا يحب ... إلى غير ذلك من دواعي التنكير.

(٤٢/٢)

تمرين:

بين الأغراض التي اقتضت تعريف أو تنكير المسند إليه فيما يأتي:

١-

أنت تبقى ونحن طرا فداكا ... أحسن الله ذو الجلال عزاكا

-٢

لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها

-٣

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

-٤

إذا جاء موسى وألقى العصا ... فقد بطل السحر والساحر

-٥

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة ... حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

-٦

ومن طلب العلوم بغير كد ... سيدركها متى شاب الغراب

-٧

والخل كالماء يبدي لي ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

-٨

كل من في الوجود يطلب صيدا ... غير أن الشباك مختلفات

-٩

طلبت الجميع فغاب الجميع ... فمن سوء حظك لا ذا ولا ذا

-١٠

حكم حارت البرية فيها ... وجدير بأنها تحتار

-١١

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والخلاعة جانب

١٢- شرق متاعك الذي وفد عليك فأكرمت وفادته. ١٣- {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} . ١٤- ركب سيف الدولة. ١٥- أبو الفضل قادم إليك. ١٦- {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ} . ١٧- إن الذي يعق أباه مطرود من رحمة الله. ١٨- مات الذي أدبك فأحسن تأديبك. ١٩- {فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ} . ٢٠- {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} . ٢١- أخو الأمير أرسل إليّ.٢٢- محمد يسبق الريح في عدوه.

-٢٣

ولله صعلوك يساور همه ... ويمضي على الأحداث والدهر مقدما[1]

---

١ يساور همه يواثبه بمعنى: يستثير همته إذا أنس منها فتورا.

إذا ما رأى يومًا مكارم أعرضت ... تيمم كبراهن ثم صمما
ويغشى إذا ما كان يوم كريهة ... صدور العوالي١ وهو مختضب دما
إذا الحرب أبدت ناجذيها وشمرت ... وولى هدان٢ القوم أقبل معلما٣
فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه ... وإن عاش لم يقعد ضعيفًا مذمما

الجواب:

١- عرف المسند إليه في "أنت" و"نحن" بالإضمار، لأن الحديث في مقام الخطاب الأول، والتكلم في الثاني، وعرف بالعلمية في "أحسن الله" لإحضاره في ذهن السامع باسمه الخاص.

٢- نكر المسند إليه في "دواء" للقصد إلى نوع من الدواء خاص، إذ لكل داء من الأدواء ما يناسبه، عرف بالإضمار في "يستطيب" و"أعيت"؛ لأن المقام للغيبة لتقدم المرجع.

٣- عرف المسند إليه "بالإشارة" لقصد تمييزه أكمل تمييز لاقتضاء مقام المدح إياه، أو للتعرض بغباوة السامع، وعرف "بأل" في كل من "البطحاء" و"البيت" و"الحل" و"الحرم" للعهد العلمي فإن كل ذلك معهود في علم المخاطب.

٤- عرف المسند إليه "بالعلمية" لقصد إظهار التعجب من موسى عند إلقائه العصا، وعرف "بأل" في "السحر" و"الساحر" للعهد العلمي.

٥- عرف المسند إليه "بالإضمار" في "يدعي"؛ لأن المقام للغيبة لتقدم المرجع لفظًا تحقيقًا، وعرف بالإضمار في "حفظت"؛ لأن المقام للخطاب، ونكر في "أشياء" لقصد إفادة التكثير.

٦- عرف المسند إليه في "طلب"؛ لأن المقام للغيبة لتقدم المرجع لفظًا تحقيقًا، وعرف كذلك في "سيدركها" للسبب المذكور، وعرف "بأل" في "الغراب" للعهد الذهني أي للإشارة إلى فرد ما من أفراد الحقيقة.

٧- عرف المسند إليه "بأل" في قوله: و"الخل" للإشارة بها إلى الحقيقة في ذاتها، وعرف "بالإضمار" في "يبدي": لأن المقام للغيبة لتقدم المرجع لفظًا تحقيقًا، وكذلك يقال في "يخفيها".

---

١ العوالي: الرماح.

٢ الهدان بكسر الهاء: الأحمق.

٣ المعلم بفتح اللام المخففة: المرسوم بسيما الحرب.

٨- عرف المسند إليه بالإضمار في "يطلب"؛ لأن المقام للغيبة، وعرف "بأل" في "الشباك" لقصد الاستغراق الحقيقي.

٩- عرف المسند إليه بالإضمار في "طلبت"؛ لأن المقام للخطاب، وعرف "بأل" في الجميع الثاني للإشارة إلى العهد الخارجي الصريحي.

١٠- ذكر المسند إليه في قوله: "الحكم" لقصد تعظيمه، وأنه بلغ من السمو ما لا يدرك كنهه، وعرف "بأل" في "البرية" للعهد العلمي، وعرف بالإضمار في "تختار" لمقام الغيبة.

١١- نكر المسند إليه في "جانب" الأول لقصد تعظيمه، وفي الثاني لقصد تحقيره، بمعونة المقام.

١٢- عرف المسند إليه "بالموصولية" لقصد تقرير الرفض المسوق له الكرم وهو خيانة الضيف، أو لقصد تقرير المسند، أو المسند إليه، على ما تقدم في مبحث تعريف المسند إليه بالموصولية.

١٣- عرف المسند إليه "بالعلمية" في {وَمَا مُحَمَّدٌ} لقصد إحضار مسماه في ذهن السامع، أو للتبرك به أو التلذذ.

١٤- عرف المسند إليه "بالعلمية" لقصد تعظيمه، أو لغرض الإرهاب.

١٥- عرف المسند إليه "بالعلمية" لقصد إفادة المعنى الكناني، وهو أن الفضل لازمة ملازمة الأب لابنه.

١٦- عرف المسند إليه "بالإشارة" الموضوعة للقريب لقصد تحقيره، وأنه في المرتبة الدنيا، تنزيلًا لدنو مرتبته منزلة قرب المسافة.

١٧- عرف المسند إليه "بالموصولية" للإشارة إلى نوع الخبر المترتب عليها.

١٨- عرف المسند إليه "بالموصولية" لقصد إفادة التعظيم والتبجيل.

١٩- عرف المسند إليه بإشارة البعيد لقصد تعظيمه تنزيلًا لبعد درجته منزلة بعد المسافة.

٢٠- عرف المسند إليه بإشارة البعيد لقصد تحقيره تنزيلًا لبعده عن ساحة عز الخطاب منزلة بعد المسافة.

٢١- عرف المسند إليه بالإضافة لقصد تعظيم المتكلم بأن الذي أرسل إليه أخو الأمير.

٢٢- عرف المسند إليه بالعلمية لقصد إظهار التعجب من سباقه الريح.

٢٣- عرف المسند إليه "باسم الإشارة" في البيت الأخير لقصد التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جدير، من أجل تلك الأوصاف بما يذكر بعد اسم الإشارة، ذلك أنه ذكر المشار إليه في قوله: "لله صعلوك"، ثم عدد له خصالا فاضلة من المضاء على الأحداث، وتيمم كبرى المكرمات، والتأهب للحرب بلا مبالاة، ثم عقب ذلك بقوله: فذلك أن يهلك ... إلخ.

تمرين يطلب جوابه على هذا النحو:

أنا الذي نظر الأعمي إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني ... وأشمت بي من كان فيك يلوم

بيمن أبي إسحاق طالت يد العلا ... وقامت قناة الدين واشتد كاهله

هو البر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والبحر ساحله

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

ولربما بخل الكريم وما به ... بخل ولكن سوء حظ المطالب

تقول وصكت صدرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس[1]

---

١ من كلام ابن كعب العنبري، والمتقاعس من "القعس" بالتحريك، وهو خروج الصدر ودخول البطن ضد الحدب. قاله يخاطب زوجته وقد مرت به في نسوة فوجدته يطحن الرحى لنزول أضياف ببابه، فقالت لهن ولم يكن قد ابتنى بها بعد: أبعلي هذا! استهزاء به، فأخبر بذلك فأنشد هذا البيت وبعده:

فقلت لها لا تعجبي وتبيني ... بلائي إذا التفت على الفوارس

لعمر أبيك الخير إني لخادم ... لضيفي وإني إن ركبت لفارس

زارني صلاح الدين، الدينار خير من الدرهم، أحمد تحن الطيور لسماع صوته، أسعاد ابنة جارنا؟ أم سعاد صديقة ابنته؟. إن الذي تخلص إليه وتفنى في حبه لا يرغب فيك ولا يود لقاءك، أذاع سرك من أوصيته بكتمانه، {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} ، إن من لا يرحم الصغير ولا يوقر الكبير مبغض ممقوت، {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} ، مر بي رجل وسأل عنك، أخو السارق قادم، نبأ روع البلاد، {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} ،

إن لنا لضياعًا وإن لنا لخدما، طلاب المعهد رحلوا إلى بلادهم، {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ} ، الله وكيلي ومحمد كفيلي.

(٤٧/٢)

تقديم وتأخير المسند إليه:

اعلم أن مرتبة المسند إليه التقديم؛ لأنه المحكوم عليه، فمدلوله يخطئ أولًا بالذهن، ولكن تقديمه مع ذلك ليس واجبًا، بل يجوز تقديمه وتأخيره، وإنما يؤتى به مقدمًا لأسباب شتى، نذكر لك أهمها فيما يلي:

١- كون التقديم هو الأصل فيه، لأنه المحكوم عليه "كما عرفت" غير أن ذلك مشروط بألا توجد نكتة أخرى تقتضي تأخيره في اعتبار المتكلم كقولك: "محمد رسول الله" فقد قدم المسند إليه لأن الأصل فيه أن يقدم إذ هو المحكوم عليه بالرسالة، فينبغي ذكره أولًا، وإنما شرطنا عدم وجود نكتة أخرى تقتضي التأخير؛ لأن الأصالة وحدها نكتة ضعيفة لا تنهض سببًا مرجحًا للتقديم، مع وجود المقتضى للتأخير ١ كما في الفعل مثلًا، فإن الأصل فيه التقديم أيضًا؛ لأنه الذات المحكوم عليها، غير أن الأصالة عارضتها نكتة أخرى تقتضي تأخيره، وهي أن الفعل عامل في الفاعل الرفع، ومرتبة العامل التقديم على المعمول، فرجح جانبه عليه.

٢- تعجيل المسرة للتفاؤل، أو المساءة للتطير، مثال الأول قولك: "العفو عنك صدر به الأمر"، ومثال الثاني قولك: "القصاص من الجاني حكم به القاضي"، قدم المسند إليه في المثالين لقصد المبادرة بإدخال السرور على قلب السامع ليتفاءل بحصول الخير، أو المسارعة بإدخال الغم على قلبه ليتشاءم بحصول الشر.

٣ التعجيل بإظهار تعظيمه أو تحقيره إذا كان اللفظ مشعرًا بما يدل

---

١ سبق مثل هذا الكلام عند البحث في ذكر المسند إليه.

(٤٧/٢)

عليهما. تقول في الأول: "أبو الفضل عندنا"، وفي الثاني: "أبو الجهل غادرنا".

٤- تعجيل التبرك بذكره، أو التلذذ، كقولك في الأول: "اسم الله اهتديت به"، وكقولك في الثاني: "ليلى رأيتها"، و"سلمى تحدثت إليها"، قدم المسجد في الموضعين تبركًا في الأول، وتلذذًا في الثاني.

٥- التشويق إلى الخبر إذا كان في المسند إليه ما يوجب الدهشة والاستغراب، مما يجعل النفس في لهفة إلى سماع

الخبر كقول أبي العلاء:

والذي حارت البرية فيه ... حيوان مستحدث من جماد

وقد سبق القول فيه عند الكلام في تعريف المسند إليه بالموصولية، فارجع إليه إن شئت، ومثله قول الشاعر:

ثلاثة١ تشرق الدنيا ببهجتها ... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

فقد قدم فيه المسند إليه، وهو "ثلاثة"؛ لأن فيه تشويقًا إلى الخبر لاتصافه بما يدعو إلى المعجب، وهو قوله: "تشرق الدنيا ببهجتها"، فإن إشراق الدنيا بأسرها لما يشوق النفس إلى أن تعرف ذلك الذي جعل العالم أجمع يتألق ويضيء، فإذا عرفت ذلك تمكن منها أي تمكن.

٦- إفادة تعميم النفي، وشموله للأفراد، إذا كان المسند إليه أداة عموم٢ تقدمت على أداة النفي، ولم تكن معمولة للفعل المنفي، كما تراه في نحو قولك: "كل طالب لم يقص" أي إنهم جميعًا لم يقصروا، فقد قدم المسند إليه -وهو أداة عموم- على أداة نفي الفعل غير عامل٣ فيها لقصد إفادة عموم النفي أي نفي الحكم -وهو التقصير في هذا المثال- عن كل فرد من أفراد الطلاب، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل ذلك لم يكن" جوابًا عن سؤال ذي اليدين: "أقصرت الصلاة، أم نسيت يا رسول الله؟ "، ومعنى القول الكريم: لم يقع واحد من القصر

---

١ على اعتبار أنه المبتدأ، وأن ما بعده هو الخبر ويصح العكس ولكن لا يكون فيه شاهد.

٢ كلفظ كل وجميع، وكل ما يدل على العموم.

٣ إذ هو منها في موضع الخبر ولا عمل للخبر في المبتدأ.

والنسيان فالنفي شمل الأمرين جميعًا، ومنه قول أبي النجم:

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... علي ذنبا كله لم أصنع

برفع: "كل" على أنه مبتدأ، والجملة المنفية بعده خبر، والمعني: لم أصنع شيئًا مما يدعيه على من الذنوب ولإفادة هذا المعنى عدل عن نصب "كل" إلى رفعها حتى لا تقع معمولة للفعل المنفي، وذلك شرط في إفادة العموم.

فإن تقدم النفي على أداة العموم، أو كانت هي معمولة للفعل المنفي لم يكن النفي عامًّا شاملًا، بل أفاد الكلام: نفي الحكم عن بعض الأفراد دون بعض.

فمثال ما إذا تقدم النفي على أداة العموم قول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرأ يدركه ... تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

يريد: أن الإنسان لا يدرك كل ما يتمنى، وإنما يدرك بعضه، دون بعض، ومثله قولك: ما كل الطلاب نجحوا "وما نجح كل الطلاب"، "وما نجح الطلاب كلهم" فالمعنى في هذه الأمثلة: أن النجاح منفي عن بعضهم دون الآخر.

ومثال ما إذا كانت أداة العموم معمولة للفعل المنفي قولك: "كل الصفحات لم أطالع"، و"الصفحات كلها لم أطالع" بنصب "كل" على المفعولية، والمعنى في المثالين: أن المطالعة منفية عن بعض الصفحات دون بعضها، فالنفي في كل هذه المثل ليس عامًّا، وإنما هو منصوب على بعض الأفراد، دون بعض لوقوع أداة العموم في حيز النفي في الصورتين؛ تحقيقًا في الأولى١ وتقديرًا في الثانية٢، يشهد بذلك الذوق السليم، ويدل عليه الاستعمال.

---

١ وهي صورة تقدم النفي على أداة العموم كما في بيت المتنبي والأمثلة الثلاثة بعده.

٢ هي صورة ما إذا كانت أداة العموم معمولة للفعل المنفي، كما في المثالين الأخيرين.

فإذا جاء من هذا القبيل١ ما يفيد: عموم النفي أي سلب الحكم عن كل فرد كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} ، قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} ، فليس ذلك من أصل وضعه، بل من قرينة خارجية، هي تحريم الاختيال والكفر، وأما التركيب في ذاته فلا يفيد العموم اطرادًا للقاعدة.

٧- تقوية الحكم في ذهن السامع إذا كان المسند فعلا رافعًا لضمير المسند إليه كما تقول: "محمد يعطي الجزيل"، "وهو يحب الثناء"، قدم المسند إليه في المثالين لإفادة تقوى الحكم، وسر التقوية: أن في مثل هذا التركيب تكرارًا للإسناد: من حيث أن الفعل، وهو "يعطي" في المثال الأول أسند مرتين، أسند أولًا إلى الضمير المستتر فيه العائد على "محمد"، ثم أسند ثانيًا إلى الاسم الظاهر، فهو بمثابة قولك: "يعطي محمد الجزيل"، وهكذا يقال في المثال الثاني، وبتكرار الإسناد يتقوى الحكم، ويتقرر في ذهن السامع.

قيل٢ ويقرب من هذا في تقوية الحكم: ما كان المسند فيه وصفًا رافعًا لضمير المسند إليه كما في قولك: محمد معطي الجزيل، وذلك لتكرار الإسناد فيه كما في الفعل، "فمعطي" في المثال المذكور مسند مرتين كذلك- مرة إلى الضمير المستتر فيه، ومرة إلى الاسم الظاهر، وتكرار الإسناد هو عماد التقوى "كما عرفت".

غير أن الوصف –مع هذا– لم يبلغ مبلغ الفعل في إفادة التقوى؛ لأن فيه جهة ضعف، تلك هي شبهة بالاسم الجامد في أنه يلزم صورة واحدة في المتكلم، والخطاب، والغيبة. فتقول: "أنا قادم"، و"هو قادم" فلفظ "قادم" لم يتحول عن صورته في الأصول الثلاثة، كما هو الحال في الاسم الجامد الخالي من الضمير "كرجل" إذ تقول فيه: "أنا رجل"، وأنت رجل و"هو رجل"، فرجل كذلك لم يتغير في الأحوال الثلاثة.

وقصارى القول: أن الوصف لاشتماله على الضمير كان كالفعل في إفادة التنويه لتكرار الإسناد، ولكن: صورته لا تتغير بتقدير الأحوال.

---

١ أي من وقوع أداة العموم في حيز النفي المفيد بحسب الوضع لسلب العموم أي في نفي الحكم عن بعض الأفراد دون بعض.

٢ قاله السكاكي.

الثلاثة "كالاسم الجامد" كان دون الفعل في هذه التقوية.

إلى غير ذلك من دواعي التقييم كإيهام أن المسند إليه لا يزول عن الخاطر نحو: "رحمة الله ترجى"، وغير ذلك.

تنبيه:

ورد في أساليب العرب قولهم: "مثلك لا يخون"، و"غيرك لا يفي" ويريدون: إثبات عدم الخيانة للمخاطب "في الأول"، وإثبات الوفاء له "في الثاني" من طريق الكناية قصدًا إلى الأبلغية في الحكم.

وبيان الكناية في الأول، هو أن قولهم: "مثلك لا يخون" معناه: إثبات عدم الخيانة لمثل المخاطب أي للماثل له في صفاته، والمماثل معنى كلي يشمل المخاطب وغيره ممن يماثله، فإذا ثبت عدم الخيانة للماثل لزم ثبوته للمخاطب باعتباره أحد أفراد المعنى الكلي، فقد أطلق الملزوم، وهو إثبات عدم الخيانة للماثل، وأريد اللازم، وهو إثباته للمخاطب.

وبيان الكناية في الثاني: هو أن قولهم: "غيرك لا يفي"، معناه: نفي الوفاء عن غير المخاطب، والوفاء صفة وجودية، لا بد لها من محل تقوم به، وهذا المحل منحصر في أمرين: المخاطب، وغير المخاطب، وقد نفيت صفة الوفاء عن غير المخاطب، فلزم قيامها بالمخاطب، فقد أطلق الملزوم، وهو نفي الوفاء عن كل من عدا المخاطب، وأريد اللازم، وهو إثباته للمخاطب.

ولما كان الغرض من التعبير الكنائي في "مثل وغير": إثبات الحكم من الطريق الأبلغ، وكان تقديمها حينئذ أعون

على تحقيق هذا الغرض لما علمت من أن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي يفيد تقوية الحكم، وتقريره بسبب تكرار الإسناد، لما كان الأمر كذلك كان لهما الصدارة في الكلام؛ ولهذا لم يردا في استعمالات العرب إلا مقدمين "كما رأيت". ا. هـ.

ووجه الأبلغية في "مثل وغير": هو أن الحكم فيها مصحوب بالدليل فقولك: "مثلك لا يخون" ينحل إلى جملتين هما: أنت لا تخون، لأن مثلك لا يخون، والأولى هي الدعوى، والثانية هي الدليل، وكذا قولك: "وغيرك لا يفي" إذ معناه أنت تفي لأن غيرك لا يفي، والحكم المؤيد بدليل أبلغ في إثباته مما لم يؤيد بدليل، كما في مبحث "الكفاية".

تأخير المسند إليه:

يؤخر المسند إليه حيث يقتضي الحال تقديم المسند، كما سيأتي بعد:

تمرين:

بين دواعي تقديم المسند إليه في الأمثلة الآتية:

ثلاثة ليس لها أياب: الوقت والجمال والشباب، النار وعدها الله الذين كفروا، محمد سيد الأنام، كل ظالم لا يفلح، نجاحك في الامتحان تأكد، مثلك يرعى الحرمة، وغيرك لا يصل، الثقيل رحل عنا، قائد الثورة قادم اليوم، عباس يصل الرحم، ويعطف على الفقراء، محمد شفيعنا، سعاد وصلتني بعد هجر، رضا الرحمن بغيتي ومناوي.

الجواب:

تمرين يطلب جوابه:

ثلاثة يذهبن الحزن: الماء، والخضرة، والوجه الحسن، محمد يود لقاءك، بكاء وعويل في بيتك، كل مجد لا يخيب، أبو المجد يعتزم زيارتك، مثلك يعم فضله، وغيرك لا يفيد، هو يجيد التفكير، ويحسن التدبير، فتاة أنيقة أعدت هذه المائدة، الله ولي المؤمنين، عطفك عليّ لا أنساه، كل أستاذ لا يود الإخفاق لأحد تلاميذه.

أحوال المسند

ذكر المسند

...

أحوال المسند:

المسند هو المحكوم به فعلًا كان، أو اسمًا وله كما للمسند إليه أحوال تعرض له: من ذكر، وحذف، وتعريف، وتنكير، وتقديم، وتأخير وغير ذلك، وهاك تفصيل ما ذكر على الترتيب المذكور.

ذكر المسند:

يذكر المسند في الكلام لأمرين:

الأول: ما تقدم من الدواعي التي اقتضت ذكر المسند إليه ككون الذكر هو الأفضل، ولا مقتضى للعدول عنه كما تقول ابتداء: "زهير بن أبي سلمى شاعر" وكضعف التعويل على القرينة كقولك: "رأيك سديد، وحظك سعيد"، فلو حذف "سعيد" ما دل عليه المذكور دلالة قاطعة، إذ يحتمل أن يكون الحظ عاثرًا، كما هو شأن الكثير من ذوي الآراء والعقول، وكالتعريض بغباوة السامع كما تقول: "محمد نبينا" في جواب من سأل: من نبيكم؟ فيذكر المسند مع علمه من قرينة السؤال، إشارة إلى أن المخاطب غبي، لا يفهم بالقرينة، بدليل أنه يسأل عن نبي هو أجل من يتوهم خفاؤه، وكالرد على المخاطب نحو: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} بعد قوله: {مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} ؟ أعاد ذكر المسند مع العلم به من السؤال، لأنه محط الإنكار إذ إن الخطاب مع من يذكر إعادة الإنسان بعد موته، وكغير ذلك من دواعي الذكر.

الثاني: تعيين أنه فعل، فيفيد التجدد والحدوث، أو اسم، فيفيد الثبوت والدوام، فإذا لم يذكر احتمل أن يكون فعلًا، وأن يكون اسمًا، فلم يتبين المراد، مثال الأول قولك: "محمد يكتب" فتذكر المسند ليتعين أنه "فعل" فيفيد أن الكتابة ليست لازمة له، ولا وصفًا فيه، ومثال الثاني قولك: "محمد كاتب" فتذكر المسند ليتعين أنه "اسم" فيفيد أن الكتابة ثابتة له على الدوام، وأنها صفة من صفاته.

(٥٣/٢)

حذف المسند:

بحذف المسند لأغراض عدة، نذكر منها ما يلي:

١- ضيق المقام بسبب المتوجع من ألم، أو بسبب المحافظة على وزن كما في قول ضابعي بن الحارث.

ومن يك أمسى بالمدينة رجله ... فإني وقيار بها لغريب

يشكو الشاعر ما يعانيه من مرارة الوحشة، وقد آلمه أشد الألم أن يرى نفسه غريب الدار، نائيًا عن الأهل والوطن، بينما يرى غيره ينعم باجتماع شمله بأهله ووطنه، و"قيار" اسم فرس أو جمل للشاعر، قدمه على قوله: "لغريب" لنكتة لطيفة، هي أن هذا الحيوان الأعجم قد ناله من كرب الغربة ما جعله يشاطر صاحبه هذا الألم، وقوله: "لغريب" خبر "أن" بدليل اقترانه بلام الابتداء، وأما المسند إلى "قيار" فمحذوف. والتقدير: "وقيار غريب" وهذا هو محل الشاهد، إذ قد حذف لضيق المقام بسبب ما يعانيه الشاعر من آلام الاغتراب وغصص النوي، قد يكون الحذف المذكور للمحافظة على وزن الشعر، ومثل قول ابن الحارث قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف١

يقول كلانا قانع برأيه: راض به "وإن كنا على خلاف" فكل يرى ما يتفق مع حاله، فرب حسن عند دنيء الهمة قبيح عند عاليها، وقوله "راض" خبر أنت، وأما المسند إلى "نحن" فمحذوف، تقديره: "نحن رضوان" وهو محل الشاهد إذا قد حذف لضيق المقام بسبب تألم الشاعر

---

١ الفرق بين هذا المثال والذي قبله، أن المحذوف في البيت السابق خبر "قيار" إذ لا يجوز أن يكون "لغريب" خبرًا عنه، لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ غير المنسوخ في فصيح الكلام، فقد حذف من الثاني لدلالة الأول عليه، وأن المحذوف في هذا البيت خبر "نحن" إذ لا يجوز أن يكون "راض" خبرًا عنه لعدم مطابقته للمبتدأ في الدلالة على الجمع، فقد حذف من الأول لدلالة الثاني عليه عكس الأول.

من احتدام الخلاف بينه وبين مناظره، أو بسبب المحافظة على وزن الشعر.

٢- الاحتراز عن العبث في ذكره، في بادئ الرأي١ كما في قوله تعالى: {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي} فقد حذف الفعل المسند إلى ضمير المخاطبين وهو "أنتم" فأنتم إذا فاعل لفعل محذوف لأن "لو" لا تدخل إلا على الأفعال، وأصل الكلام: لو تملكون تملكون، حذف الفعل الأول احترازًا عن العبث في ذكره لوجود مفسره، وهو "تملكون" "الثاني"، فانعصل الضمير الذي هو واو "الجماعة"، وصار "أنتم" وبقي على فاعليته كما كان الحل وهو متصل، ومثله قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} أي ورسوله بريء منهم أيضًا، فقد حذف المسند إلى "رسوله"، لأن في ذكره عبثًا لقيام القرينة عليه.

٣- اتباع الاستعمال كما في قول الشاعر:

إن محلا وإن مرتحلا ... وإن في السفر إذ مضوا مهلا٢

يقول: إن لنا في الدنيا حلولا إلى حين، وإن لنا عنها إلى الأخرى ارتحالا، وإن الراحلين عنها أوغلوا في غيبتهم، فلم يعودوا، أي وهكذا نحن على الأثر، سنبقى إلى أمد، ثم نفنى فلا نعود، والشاهد فيه حذف المسند الذي هو خبر "إن" اتباعًا للاستعمال الوارد على حذف الخبر عند تكرار "إن" وتعدد اسمها كما في البيت المذكور، سواء كان الاسم نكرة كما في "هذا البيت، أو معرفة كأن يقول لك قائل: إن القوم ألب عليك٣ فهل لك أحد؟ فيقول: "إن محمدًا وإن عليًّا" أي إن لي محمدًا، وإن لي عليًّا، ومثال الحذف تبعًا للاستعمال أيضًا قولهم: "خرجت فإذا رسول أبي" أي فإذا رسول أبي واقف بالباب، أو وافد علينا، فقد حذف المسند إلى رسول اتباعًا للاستعمال الوارد على ترك

---

١ إنما كان ذلك في بادئ الرأي، لأنه في الحقيقة لا عبث في ذكره إذا هو أحد ركني الإسناد.

٢ محلًا ومرتحلًا مصدران ميميان بمعنى الحلول والارتحال، السفر بسكون الفاء اسم جمع "مسافر" بمعنى مسافر كركب وراكب والمهل بالتحريك مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة.

٣ أي مجتمعون على مناهضتك وعداوتك.

المسند إذا وقع إليه بعد "إذ الفجائية"١.

٤- أن يقع المسند في جواب عن سؤال محقق، أو مقدر، فالسؤال المحقق ما وجدت صورته في الكلام، والمقدر ما لم توجد له في الكلام صورة، فالأول كقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} حذف فيه المسند إلى "لفظ الجلالة" لوقوعه في جواب السؤال المذكور، والتقدير: "خلقهن الله"، والثاني كقوله تعالى: {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ، رِجَالٌ} في قراءة من بنى الفعل للمجهول فقد حذف المسند إلى "رجال" لوقوعه في جواب سؤال مقدر، وكأنه قيل: من يسبحه؟ فأجاب "رجال" أي يسبحه رجال.

إلى غير ذلك من الأغراض التي اقتضت هناك حذف المسند إليه كاختبار تنبه السامع، أو إيهام صونه عن اللسان، أو صون اللسان عنه، أو غير ذلك مما سبق عند ذكر دواعي حذف المسند إليه.

---

١ إنما حذف المسند بعد إذ الفجائية، لأنها تدل على مطلق الوجود فالقرينة على المسند قائمة، وهي إذ الفجائية حتى لو صرح به لكان عبثًا في ظاهر الأمر لدلالة إذ الفجائية عليه.

تعريف المسند:

يؤتى بالمسند معرفًا بإحدى طرق التعريف لواحد من أمرين:

١- إفادة السامع حكمًا بأمر معلوم عنده بإحدى طرق التعريف على أمر معلوم له كذلك١.

بيان ذلك: أن الشيء قد يكون له صفتان من صفات التعريف، يعلم المخاطب اتصافه بإحداهما، دون الأخرى، فنخبره باتصافه بها، وحينئذ يجب تقديم المحكوم عليه، وجعله "مبتدأ"، وتأخير المحكوم به وجعله "خبرًا"، وذلك كقولك: "علي الخطيب" فإن للذات صفتي تعريف، إحداهما تسميها "بعلي"، والثانية وصفها "بالخطابة"، فإذا عرف المخاطب "عليًا باسمه وشخصه، ثم علم أن هناك خطيبًا ذائع الصيت، ولكن لا يدري أن "عليًا" هو ذلك الخطيب، صار كأنه.

---

١ سواء اتحدا طريقا التعريف فيهما كقولك: الواقف هو الفائز أو اختلفا كما في قولك: محمد الفائز.

يطلب الحكم على "علي" بوصف الخطابة، فنقول له حينئذ "علي الخطيب، وإذا علم أن ثم خطيبًا معروفًا، ثم عرف شخصًا بعينه يسمى "أحمد"، ولكن لا يدرى أن ذلك الخطيب هو هذا "الشخص" صار كأنه يطلب الحكم على الخطيب بأنه "أحمد". فنقول له حينئذ: "الخطيب أحمد"، فأيا ما كان فالمحكوم عليه هو الذي يجب تقديمه "كما عرفت"، وقد أفدت السامع "في المثالين" حكمًا بأمر معلوم له على أمر معلوم له كذلك.

وكون المسند والمسند إليه معلومين للمخاطب لا ينافي إفادته أمرًا مجهولًا له، هو الحكم بأحدهما على الآخر، فالعلم لا يستلزم العلم بنسبة أحدهما إلى الآخر "كما رأيت".

٢- إفادة السامع قصر المسند على المسند إليه إذا كان التعريف بأل الجنسية، والقصر بها نوعان: حقيقي، وادعائي.

فالأول نحو: "أنت الشاعر" إذا لم يكن شاعر سواه، فيؤتى بالمسند معرفًا "بأل" لقصد قصر الشاعرية على المخاطب قصرًا حقيقيًا.

والثاني كقولك: "محمد الكريم"، إذا كان ثم كريم غيره، ولكن الكرم في "محمد" كمل وأتم، فيؤتى بالمسند معرفًا "بأل" لقصد قصر الكرم على "محمد" ادعائيًا مبالغة في اتصافه بالكرم، بمعنى أنه بلغ فيه مرتبة لم يبلغها سواه، فكأن لا كريم غيره.

تنكير المسند:

يؤتى بالمسند منكرًا لأمور نذكر منها ما يلي:

١- عدم وجود الموجب لتعريفه "من إرادة التعيين" أو الحصر، بأن لم يرد المتكلم إفادة السامع التعيين في المسند، ولا إفادة حصر المسند إليه على ما تقدم، كما تقول: "محمد كاتب"، و"شوقي شاعر" فأنت تريد الإخبار بمجرد ثبوت الكتابة "لمحمد"، والشعر "لشوقي"، لا حصر الكتابة في "محمد" ولا الشعر في "شوقي"، ولا أحدهما معينًا، بحيث لا يرد الكتابة أو الشعر في شخص بعينه.

٢- قصد التفخيم والتعظيم للإشارة إلى أن المسند بلغ من خطورة الشأن، وسمو المنزلة درجة لا يدرك كنهها كقوله تعالى: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} بناء على أنه خبر {ذَلِكَ الْكِتَابُ} فقد أتى بالمسند نكرة للدلالة على فخامة هداية الكتاب وكمالها، وأنها بلغت غاية فوق متناول المدارك.

١- قصد التحقير كما تقول: "نصيبي من هذا المال شيء" أي حقير تافه، لا يؤبه له، ولا يعتد به، ولا يبعد أن يكون لمادة الكلمة دخل في المعنى المراد.

٤- اتباع المسند إليه في التنكير كما تقول: "طالب من القسم الثاني وافد علينا"، إلى غير ذلك من دواعي التنكير.

(٥٧/٢)

تقديم وتأخير المسند:

يؤتى بالمسند مقدمًا على المسند إليه لأسباب منها.

١- قصر المسند إليه على المسند كما يقال: "مصري أنا" فتقديم المسند يفيد قصر المتكلم على المصرية، لا يتجاوزها إلى الشامية مثلًا فهو من قصر الموصوف على الصفة وسيأتي ذلك في بابه مفصلًا، وكقوله تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي أن هذا الملك العظيم له "سبحانه" لا لغيره.

٢- "التنبيه من أول الأمر" على أنه خبر عن المسند إليه، لا نعت له، إذ النعت لا يتقدم على المنعوت كقول حسان بن ثابت يمدح النبي "صلى الله عليه وسلم".

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر

يقول: إن همه الكبيرة لا يحصيها عد، ولا يحيط بها وهم، وإن صغرى همه فوق همة الدهر، بمعنى أن الدهر "على عظيم خطره"، لا يفل من عزيمته ولا يحول دون إرادته، والشاهد في قوله: "له همم" حيث قدم المسند على المسند إليه تنبيهًا "من بادئ الأمر" على أنه خبر لا نعت، ولو أخره فقال: "وهم له" لتوهم ابتداء: أنه نعت لشدة حاجة النكرة إليه، وأن الخبر سيذكر فيما بعد، وكقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} ... إلى أشباه ذلك من الآيات.

٣- التفاؤل بإسماع المخاطب "من أول الأمر" ما يسره كما تقول للمريض: "في عافية أنت"، أو "في تحسن صحتك"، وكقول الشاعر:

سعدت بغرة وجهك الأيام ... وتزينت بلقائك الأعوام

قدم المسند في هذه المثل لقصد إسماع المخاطب "من أول الأمر" ما يتفاءل به، ويغتبط له.

(٥٨/٢)

٤- التشويق إلى ذكر المسند إليه، بأن يشتمل المسند على وصف أو أوصاف للمسند إليه، تشوق النفس إلى ذكره، كقول ابن وهب المتقدم:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتا ... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

على تقدير: "أن "ثلاثة" هو الخبر، وقد قدم لاشتماله على وصف مشوق لذكر المسند إليه، ونحو "منهومان لا يشبعان- طالب علم. وطالب مال" على تقدير: "أن "منهومان" خبر. وقدم لاشتماله على وصف مشوق.

تأخير المسند:

يؤتى بالمسند مؤخرًا للأغراض المتقدمة في تقديم المسند إليه: من أن تقديمه هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، أو لأن في تقديمه تشويقًا للمسند، أو لتعجيل المسرة أو المساءة، أو غير ذلك؛ مما بسطنا ذكره هناك.

(٥٩/٢)

تمرينات منوعة:

١- ايت بعدة أمثلة من إنشائك يكون المسند إليه فيها:

"١" مذكورًا لإظهار التعجب منه. "٢" محذوفًا لتعينه.

"٣" معرفًا بالإضمار للمتكلم. "٤" معرفًا بالعلمية للتفاؤل.

"٥" معرفًا بإشارة البعيد للإهانة. "٦" معرفًا بالموصولية للتشويق إلى الخبر. "٧" معرفًا "بأل" للإشارة إلى الحقيقة نفسها.

"٨" معرفًا بالإضافة لإغنائها عن تفصيل متعذر.

"٩" منكرًا لإفادة التكثير.

"١٠" مقدمًا للتفاؤل.

٢- ايت بعدة أمثلة كذلك يكون المسند فيها:

"١" مذكورا للتعريض بغباوة السامع. "٢" محذوفًا في جواب سؤال محقق "٣" لإفادة القصر. "٤" مذكرًا لقصد التحقير.

"٥" مقدمًا للتطير.

(٥٩/٢)

٣- اجعل من الكلمات الآتية مسندًا، ثم مسندًا إليه في عبارات من عندك ثم بين الحال العارضة لكل، والغرض الذي دعا إليها.

الهدنة، بشير السلام. الحرير، غلام الوزير. رحمة. عراقي. تجهم. أولئك. كاتب أنت. قادم. الذين.

٤- بين فيما يأتي: الحال العارضة للمسند، أو المسند إليه، مع بيان السبب الذي دعا إليها.

"١" نبينا محمد حبيب الله، سيد الأنبياء والمرسلين، في جواب: "من نبيك؟ ". "٢" طيار يقول: "من رأى طيارًا مقبلا؟ ". "٢" زهير يذيب الشعر، والشعر يذيبه: ويدعو القول، "والسحر يجيبه، في جواب من قال: ما شأن زهير؟

"٤"

له راحة لو أن معشار جودها ... على البر كان البر أندى من البحر

"٥"

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

"٦" ما خالد رجلًا. "٧" أقبل أمير المؤمنين، جوابًا لمن سأل: هل أقبل عمر؟. "٨" {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} .

"٩" حريق اندلع لهيبه في حقلك. "١٠" {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} . "١١" {لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} . "١٢" ذو ملق ونفاق.

"١٣" {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ} .

١٤

خليلي إما أن تعينا وتسعدا ... وإما كفافا لا علي وليا

"١٥" {الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} .

"١٦" الجائزة كانت من نصيبك. "١٧" ربح أصابه تجار القطن هذا العام. "١٨" كل من عاش لنفسه لا يستحق أن يولد. "١٩" الجلاء قرر وبشير السلام وافى. "٢٠" إن الذي أخلصت له ودك لا يرغب فيك.

"٢١" على يعظم أهل الدين.

"٢٢"

شيئان لا تصلح الدنيا بغيرهما ... المال يصلح منه الحال والولد

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

إلهي عبدك العاصي أتاكا ... مقرًّا بالذنوب وقد دعاكا

فإن تغفر فأنت لذاك أهل ... وإن تطرد فمن يعفو سواكا

عربي أنا. محمد تاجر. وعلي كاتب. محمد رحمة للعالمين. علي يعطي وهو متهلل الوجه، تجهم لخصمك الدهر، وابتسمت لك الأيام. ثلاثة تورث المحبة: الأدب، والتواضع، والدين. الذي حارت الناس في أمره الإنسان، {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ، ذهبت إلى السوق فإذا أبي، قابلت رجلًا فسألني عنك الرجل، إن الذي تحنو عليه يسلقك بحاد لسانه، {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} . الصوف خير من القطن. اعتدى على شرفك من صنت عرضه. وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها. يرزق الجنين في بطن أمه. جاء ابن الحلاق. شر أهر ذا ناب. له عزيمة لا تقل. عندهم خدم. وفي حوزتهم ضياع.

إن الذي الوحشة في داره ... تؤنسه الرحمة في لحده

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة ... وللسبع خير من ثلاث وأكثر

أن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سننًا للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

أحوال متعلقات بالفعل:

الكلام في هذا الباب مقصور على بحثين:

"١" بحث حذف المفعول.

"٢" بحث تقديمه على عامله.

البحث الأول:

اعلم: أن للفعل ارتباطًا بكل من الفاعل والمفعول، فارتباطه بالفاعل من جهة وقوعه منه، وارتباطه بالمفعول من حيث وقوعه عليه، ولاختلاف نوع الارتباط اختلف أثر العامل، ولهذا كان أثره في الفاعل "الرفع" وفي المفعول "النصب".

والفعل المتعدي إذا أسند إلى فاعله، ولم يكر له مفعول، لا بد فيه من داع لهذا الهدف، وهاك أهم دواعيه:

١- البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة[١] إذا وقع شرطًا، ولم يكن تعلقه بالمفعول المحذوف غريبًا، كقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} ، فمفعول فعل المشيئة محذوف، والتقدير: {وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُم} ، ونكتة حذفه: "البيان بعد الإبهام" لأنه لما قيل: "ولو شاء" علم أن هناك شيئًا تعلقت به المشيئة، فلما جيء بجواب الشرط وهو قوله: {لَهَدَاكُمْ} وضح ذلك الشيء، وعلم أنه "الهداية" فكل من الشرط والجواب حينئذ دلا على المفعول، غير أن الشرط دل عليه إجمالًا، والجواب دل عليه تفصيلًا، والبيان بعد الإبهام أو لتفصيل بعد الإجمال، أو وقع في النفس، إذ إن السامع حينما يسمع قوله: {وَلَوْ شَاءَ} تتحرك نفسه، وتتشوق إلى ما تعلقت به المشيئة، فإذا جاء بعد ذلك جاء النفس في لهفة وشوق، ترقب قدومه فلا يلبث أن يقع منها موقع الماء الفرات من جوف الصدى، ومنه قول الشاعر:

---

١ مثله كل ما في معناه كالإرادة والرغبة والمحبة وما شابه ذلك.

فلو إني استطعت خفضت طرفي ... فلم أبصر به حتى أراكا

أي لو أني استطعت خفض الطرف خفضت طرفي، فحذف المفعول للنكتة المتقدمة، والمفعول المحذوف في مثل

هذه المواضع يقدر دائمًا مصدر فعل الجواب "كما رأيت".

فإن كان تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبًا لم يحسن حذف المفعول إذ لا يدل عليه الجواب حينئذ كقول الشاعر يرثي ابنه:

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته ... عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

لم يحذف مفعول فعل المشيئة وهو قوله: "أبكي دمًا" لغرابة تعلق الفعل المذكور، ببكاء الدم، لهذا ذكر ليتقرر في ذهن السامع.

٢- دفع توهم غير المراد ابتداء كما في قول أبي عبادة البحتري:

وكم نددت عني من تحامل حادث ... وسورة أيام حززن إلى العظم

يقول الشاعر: كثيرًا ما دفعت عني ظلم الزمان وجبروته ورددت طغيان أيام ضربت فأوجعت، حتى بلغت في قسوتها الغاية. والشاهد في قوله: "حززن إلى العظم" والأصل حززن اللحم إلى العظم، فقد حذف المفعول، لأن ذكره يوهم السامع ابتداء، أي قبل ذكر قوله: "إلى العظم" أن الحز لم يصل إلى العظم، وإنما كان في بعض اللحم، وهذا غير مراد، بل المراد أن الحز جاوز اللحم إلى العظم كناية على أن أيام بلغت في شدتها، فدفعًا لتوهم غير المراد حذف المفعول ليدل الكلام على المراد من أول الأمر.

٣- قصد إفادة التعميم في المفعول المحذوف مع الاختصار كقولهم: "قد كان منك ما يؤلم" أي كل أحد، فحذف المفعول لغرض إفادة العموم بقرينة المقام، إذ الغرض: المبالغة في الوصف بالإيلام، وهذا يقتضي إرادة العموم فبمن وقع عليه الألم، وأنه لا يختص به واحد دون الآخر، بل الكل في معاناة الألم سواء، قضاء لحق المبالغة، وكقوله تعالى: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ} أي يدعو جميع عباده المكلفين. غير أن إفادة العموم في الآية، على وجه الحقيقة، لأن الدعوة إلى الجنة تعم الناس جميعًا، أما المثال الأول فإفادته العموم فيه على وجه المبالغة، لأن إيلام كل أحد من شخص واحد محال عادة، وإنما قلنا: "مع الاختصار" لأن التعميم يمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم، بأن يقال مقالًا: "قد كان منك ما يؤلم كل أحد"، أو يقال في غير القرآن: "والله يدعو كافة الناس إلى دار السلام" لكن يفوتنا الاختصار، وهو مطلوب أيضًا.

(٦٤/٢)

٤- قصد الاختصار المجرد عن أي اعتبار آخر، من عموم أو خصوص كقولهم: "أصغيت إليه، أي أذني، حذف المفعول هنا لمجرد الاختصار وعليه قوله تعالى: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} أي أرني ذاتك.

٥- استهجان التصريح به كقول عائشة رضي الله عنها: "ما رأيت منه، ولا رأى مني" تريد "العورة"، ونص

الحديث: "كنت اغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد، فما رأيت منه، ولا رأى مني".

٦- أن ينزل الفعل المتعدي منزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول كقوله تعالى: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ؟ فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه، دون ملاحظة تعلقه بمعمول ما، أي هل يستوي من له علم، ومن لا علم له؟ يريد نفي المساواة بين من هم من أهل العلم، ومن ليسوا من أهله مبالغة في ذمهم بالجهل بالدين، وإن الذين لا علم لهم به كان لا علم عندهم أصلًا.

٧- قصد المحافظة على سجع أو وزن، فالأول كقوله تعالى: {وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} أي وما قلاك، والثاني كقول الشاعر:

بناها فأعلى والقنا بقرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطم

أي فأعلاها ... إلى غير ذلك من دواعي الحذف كالاعتماد على تقديم ذكره نحو: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} أي ويثبت ما يشاء، وكتعينه نحو: "رعت الماشية" أي النبات، وكغير ذلك.

البحث الثاني:

اعلم: أن الأصل في العامل أن يتقدم على المعمول، وقد يعكس الأمر فيقدم المعمول[١] على العامل لاعتبارات شتى أهمها ما يلي:

١- إفادة التخصيص أي قصر العامل على المعمول، بحيث لا يتجاوزه إلى غيره كقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فإن المعنى نخصك بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك، ولا نستعين به، فقدم المفعول

---

١ كالمفعول به وكالجار والمجرور والظرف والحال وما أشبه ذلك.

على الفعل لإفادة هذا الحصر، ومثله: {لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ} أي لا إلى غيره، قدم المعمول، وهو جار ومجرور، لإفادة الحصر كذلك.

٢- رد المخاطب إلى الصواب عند خطئه في تعيين المعمول، أو في الاشتراك فيه كقولك في الأول: "علينا لقيت" أي "لا غيره" ردا لمن اعتقد أنك لقيت رجلا غيره، وكقوله في الثاني: "محمدا أكرمت" أي "وحده" ردا لمن اعتقد أنك أكرمت "محمدا" وآخر معه، فقد قدم المفعول "في المثالين" لرد الخطأ في التعيين في الأول، وفي الاشتراك في الثاني.

وكالمفعول في هذا: الحال، والتمييز، والظرف، والجار والمجرور، وغيرها من متعلقات الفعل، فتقول في الحال:

"راكبا جئت" لمن زعم أنك جئت "ماشيا"، وتقول في التمييز: "نفسا طبت" لمن زعم أنك طبت "نفسا وجسما"، فالأول لرد الخطأ في تعين المعمول، والثاني لرد الخطأ في الاشتراك فيه، وتقول في الظرف والجار والمجرور، "عند الأمير جلست"، و"في المنزل صليت" ردا لمن زعم العكس أو الاشتراك.

ويسمى الأول: قصر قلب، والثاني: قصر إفراد، وسيمر بك قريبا بحث واف خاص بهذا الموضوع.

٣- الاهتمام بأمر المقدم كما في "بسم الله" حيث يقدر العامل مؤخرا، أي بسم الله أفعل كذا بيانا للاهتمام بالاسم الكريم، وفيه إلى جانب ذلك رد على المشركين، إذ كانوا يبدءون بذكر آلهتهم اهتماما بأمرها، فيقولون: "باسم اللات، باسم العزى"، ولا يشكل علينا آية {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} بتقديم الفعل على "اسم الله"، لأن الأمر بالقراءة فيها أهم إذ هي أول ما نزل من القرآن، والمقصود بالذات من الإنزال حفظ المنزل، وهو متوقف على القراءة، فكان البدء بها أحق١.

٤- كون المعمول محط الإنكار كما تقول: "أبعد طول التجربة تنخدع بهذه الزخارف"؟ وكما تقول: "أفي الشر تسعى وقد جربت

---

١ وقد يقال ردا لهذا الإشكال: إن قوله: {بِاسْمِ رَبِّكَ} متعلق "اقرأ" الثاني على أنه مفعول والباء زائدة لإفادة التكرار أي اقرأ "اسم ربك" بمعنى اذكره مرارا وتكرارا وأما "اقرأ" الأول فمنزل منزلة اللازم على معنى وأوجد القراءة، ويكون الكلام حينئذ جاريا على أصله إذ قدم فيه المفعول على الفعل اهتماما به.

عواقبه"؟ فأنت في الأول لم تنكر عليه "الانخداع" إذ هو أمر شائع، وإنما تنكر عليه أن يكون الانخداع منه بعد طول التجربة، كما لم تنكر عليه في الثاني سعيه، وإنما تنكر عليه أن يكون السعي منه في الشر لا في الخير، وقد عرف وخامة عاقبته، وسوء مغبته لهذا قدم كل من الظرف والجار والمجرور على عاملهما إذ هما محطا الإنكار "كما رأيت" ومنه قول الشاعر:

أكل امرئ تحسبين امرأ ... ونار توقد١ بالليل نارا

فمزية تقديم المفعول "في البيت": إفادة أن الإنكار مسلط عليه، فهو يريد أن ينكر عليها: أن كل الناس "في حسبانها" سواسية، لا فرق بين كامل وناقص، وأن كل نار في زعمها نار كرم وسماحة.

٥- التعجيل بالتبرك أو التلذذ به، أو بالمسرة، والمساءة، ففي الأول قولك: "محمدا صلى الله عليه وسلم أحببت"، وفي الثاني قولك: "ليلى وصلت، وسلمى لقيت"، وفي الثالث والرابع: "خيرا تلقي"، "شرا ينال

عدوك".

٦- موافقة كلام السامع نحو: "محمدا دعوت" في جواب "من دعوت"؟ فيقدم المفعول ليوافق مقابله في كلام السائل وهو "من" الاستفهامية.

٧- مراعاة نظم الكلام كقوله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} والشاهد في الفقرة الثانية، حيث قدم المفعول على الفعل لتتوافق الفاصلتان في الفقرتين، ومثله قوله عز وجل: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} ، فالتقديم في مثل هذه المواضع ليس إلا مجرد مراعاة نظم الكلام "كما ترى"، إلى غير ذلك من الأسباب التي تستدعي التقديم، ولا تخفى على صاحب الذوق السليم.

---

١ الأصل تتوقد حذفت إحدى التاءين.

تمرينات متنوعة:

"١" ايت من إنشائك بخمسة أمثلة حذف فيها المفعول لدواع مختلفة وبخمسة أخرى قدم فيها المفعول على عامله لأسباب مختلفة كذلك.

"٢" اجعل كلا من الكلمات الآتية معمولا مقدما على عامله، مع اختلاف الدواعي: الله. محمدًا عليه السلام، عليًّا، باسمك ربي. أبعد أن وخط الشيب، نجاحًا. إخفاقًا هندًا.

"٣" ايت بأربعة أمثلة من عندك يكون المفعول فيه محذوفًا بعد الإبهام، في الأول، ولإفادة التعميم "في الثاني" ولتنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم "في الثالث" ولاستهجان التصريح "في الرابع".

"٤" بين دواعي حذف المعمول، أو تقديمه فيما يأتي:

"١" {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} . "٢" باسمك الله. "٣" {فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ} . "٤" إياك أعني. "٥" علونا إلى القمة. "٦" إبراهيم زرت.

"٧" بلغني عنك ما يسر. "٨" الرئيس رجوت "في جواب من رجوت؟ ". "٩" اشتبكت مع أحد الخصوم، فتراشقنا ببذيء الكلام، فقال لي وقلت له. "١٠" {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ} . "١١" {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} . "١٢" إلى الوالدين شيء. وأنت لا تجهل نعمتهما عليك. "١٣" توفيقًا حالفت، وخذلانًا نال عدوك. "١٤" الله الكريم أسأل. "١٥" سعاد رأيت.

جواب التمرين الرابع:

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

الله يحيي ويميت، {أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} ، الحفاظ قد نبذ الناس، جميلك أتم، {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} .

أعندي وقد مارست كل خفية ... يصدق واش أو يخيب سائل

لو شئت عدت بلاد نجند عودة ... فحللت بين عقيقه وزورده١

تصفحنا إلى الخاتمة. أخاك قابلت "جوابًا لمن سأل من قابلت؟ ". تبادل رجلان هجو الكلام، فقالا حتى أسفا. {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} . بالنبي الكريم أتوسل. فوزًا أحرزت، وإلى مكة قصدت ومن زمزم شربت، وعلى الله توكلت. أكفرًا بعد رد الموت علي؟

أحين عسا٢ غصني طرحت حبائلي ... إلي فهلا ذاك وهو رطيب

---

١ العقيق والزورد مكانان.

٢ عسا الغصن يعسو ذبل وجف.

القصر:

تعريفه:

هو لغة: الحبس، قال تعالى: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} أي محبوسات فيها، ومعناه اصطلاحًا: تخصيص شيء بشيء بإحدى طرق القصر الآتية بعد١، والمراد بالشيء الأول "المقصور" وبالشيء الثاني "المقصور عليه"، مثاله أن تقول: "ما نجح إلا فؤاد" فهذا التعبير تخصيص شيء هو "النجاح" بشيء هو "فؤاد" بإحدى طرق القصر هو "النفي والاستثناء".

في هذا الباب أربعة مباحث:

"١" مبحث تقسيم القصر باعتبار غرض المتكلم. "٢" مبحث تقسيمه باعتبار حال المقصور. "٣" مبحث تقسيمه باعتبار حال المخاطب.

"٤" مبحث الطرق الخاصة بالقصر.

---

١ احترز بهذا عن نحو قولهم: محمد صلى الله عليه وسلم مقصور على الرسالة فلا يسمى قصرًا اصطلاحًا، لأنه ليس آتيا من إحدى الطرق المصطلح عليها.

تقسيم القصر:

تقسيم القصر باعتبار غرض المتكلم:

يقسم القصر باعتبار غرض المتكلم إلى قسمين: حقيقي، وإضافي.

فالحقيقي: هو ما اختص فيه المقصور عليه. بحيث لا يتجاوزه إلى غيره بمعنى ثبوته له، وانتفائه عن ذلك الغير حقيقة كان ذلك أو ادعاء.

فالأولى: كما في قولك: "ما خطيب في البلد إلا علي" إذا لم يكن في البلد خطيب سواه، فهذا قصر حقيقي إذ إن الغرض تخصيص الخطابة "بعلي" وقصرها عليه، بحيث لا تتعداه إلى غيره في الواقع ومثله قولهم: "ما معبود بحق إلا الله" فإن العبادة بحق مختصة بالله تعالى لا تكون لأحد سواه.

والثاني: كما في المثال المتقدم: "ما خطيب في البلد إلا علي" إذا كان ثم خطباء غيره، ولكنهم لم يبلغوا في الخطابة مبلغ "علي" فهذا قصر حقيقي ادعائي أما أنه حقيقي، فلأن الغرض تخصيص الخطابة "بعلي" وقصرها عليه، بحيث لا تتعداه إلى غيره، وأما ما ادعاني، فلام التخصيص فيه ليس واقعيًا إذ الواقع أن هناك خطباء غيره، وإنما هو في ادعاء المتكلم وافتراضه، وأن من عداه من الخطباء في حكم المعدوم لقصورهم فيها، وكان لم يكن ثم خطيب سواه. ومثله قول الشاعر:

لا سيف إلا ذو الفقا ... ر ولا فتى إلا علي

القصرين في البيت حقيقي ادعائي، فافتراض أن غير "ذي الفقار" من السيوف، وغير "علي" من الفتيان في حكم المعدوم.

فالفرق إذا بين القصر الحقيقي حقيقة، والحقيقي ادعاء: أن الأول منظور فيه إلى الحقيقة والواقع، وأن الثاني منظور فيه إلى الادعاء والافتراض يجعل ما عدا المقصور عليه في حكم المعدوم وسمي هذا القصر حقيقيًّا، لأن القصر فيه بالنسبة إلى جمع ما عداه ولو فرضًا.

والإضافي: ما اختص فيه المقصور عليه بالنسبة إلى شيء معين، بحيث لا يتعداه إلى ذلك الشيء، ويصح أن

يتعداه إلى شيء آخر كما تقول:
"ما كاتب إلا محمد" أي لا "علي" مثلا فالغرض تخصيص الكتابة "بمحمد" وقصرها عليه، بحيث لا تتجاوزه إلى "علي" ويصح أن

تكون لغير "علي" لأن الغرض تخصيصها "بمحمد" بالنسبة "لعلي" فقط وسمي هذا القصر إضافيا، لأن القصر فيه بالإضافة إلى شيء معين كما رأيت.

تنبيه:

يعلم مما تقدم أن القصر الحقيقي الإدعائي، والقصر الإضافة يشتركان في أمر، ويفترقان في آخر يشتركان في أن المقصور فيهما لا يختص بالمقصور عليه في الواقع، بل يوجد فيه وفي غيره كما تقول: "ما كاتب إلا محمد، فإن الكتابة غير مختصة بمحمد في القصرين أما في الحقيقي الادعائي فلأن الغرض فيه: تخصيص الكتابة بمحمد، مع وجودها في غيره، وافتراضها في حكم المعدوم، وأما في الإضافي فلأن الغرض فيه، تخصيص الكتابة "بمحمد" بالنسبة إلى شخص معين كعلي مثلًا، لا بالنسبة لكل من عدا المقصور عليه، ويفترقان في أن الحقيقي الادعائي روعي فيه نفي الحكم عما عدا المقصور عليه، باعتبار أن ما عداه في حكم المعدوم مبالغة وأن الإضافي يراعى فيه نفس الحكم عن شيء معين لا عن كل ما عدا المقصور عليه كما في المثال المذكور فإن الحقيقي الادعائي روعي فيه نفي الكناية عن غير "محمد" من اشتركوا معه فيها، باعتبارهم في حكم المعدول، وأن الإضافي روعي فيه نفي الكتابة عن "علي" فقط، ولم يتعرض فيه لنفي الكتابة عن غير "علي" فوضح ما بين القصرين من اتفاق وافتراق. ا. هـ.

تقسيم القصر باعتبار حال المقصور:

يقسم القصر "بنوعيه" باعتبار حال المقصور إلى قسمين قصر صفة١ على موصوف، وقصر موصوف على صفة، والفرق بينهما أن الأول يكون بتقديمه الصفة على الموصوف كما تقول: "ما شاعر إلا علي". والثاني يكون بتقديم الموصوف على الصفة كما تقول "ما علي إلا شاعر",٢

---

١ المراد بالصفة هنا: الصفة المعنوية وهي المعنى القائم بالغير المقابل للذات سواء دل عليه بلفظ النعت النحوي كقائم، أو بغيره كالفعل ونحوه من ظرف أو جار ومجرور مثل: ما يقوم إلا محمد، وما عندي إلا علي، وما في الدار إلا خالد.

٢ هذا إذا لم يكن القصر من طريق التقديم فإن كان منه اختلف الحال ففي نحو: "مصري أنا" قصر موصوف على صفة مع تأخير الموصوف، وفي نحو "إياك نعبد" قصر صفة على موصوف مع تأخير الصفة على ما سيأتي.

(٧١/٢)

فمثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي حقيقة قولك: "لا إله إلا الله" ففيه قصر صفة الألوهية على ذات الله "سبحانه" قصرًا حقيقيًا حقيقة وهو ظاهر، ومثله قولك: "ما خطيب في البلد إلا علي" إذا لم يكن في البلد خطيب سواه، ومثله من الحقيقي ادعاء قولك "ما عادل إلا عمر" ففيه قصر صفة العدالة على "عمر" قصرًا حقيقيًا ادعائيًا لأنها توجد في غيره ولكنها في "عمر" أكمل منها في سائر الأفراد، فاعتبر كأن لم يكن عادل سواه ومثاله من القصر الإضافة قولك: "ما أديب إلا إبراهيم": أي لا أحمد مثلًا، ففيه قصر الأدب على إبراهيم قصرًا إضافيًا، أي بالإضافة إلى "أحمد" فقط.

ومثال قصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيًا قولك: "ما علي إلا تاجر" تريد قصره على صفة التجارة، وأن لا صفة له غيرها، وهذا النوع من القصر لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء، حتى يمكن إثبات شيء منها، ونفي ما عداه، وحينئذ فالتعويل في مثل هذا النوع على قصد المبالغة، بمعنى عدم الاعتداد بصفة غير الصفة المقصور عليها، فيكون من قبيل القصر الحقيقي الادعائي، ومثاله من القصر الإضافي قولك: "ما شوقي إلا شاعر" أي إلا خطيب مثلًا، تريد قصره على صفة الشعر، بحيث لا يتجاوزها إلى الخطابة.

تقسيم القصر باعتبار حال المخاطب:

ينقسم القصر بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام: قصر قلب، قصر أفراد، قصر تعيين.

فقصر القلب: ما يخاطب به من يعتقد عكس الحكم الذي أثبته المتكلم، مثاله في قصر الصفة على الموصوف قولك: "ما نابه إلا أحمد" ردًّا على من اعتقد أن النابه محمود لا أحمد، ومثاله في قصر الموصوف على الصفة قولك: "ما علي إلا بطل" ردًا على من اعتقد اتصافه بالجبن، دون البطولة وسمي: قصر قلب لقلب الحكم على المخاطب.

وقصر الإفراد: ما يخاطب من يعتقد الشركة، مثاله في قصر الصفة على الموصوف قولك: "ما نبيل إلا فؤاد" ردًا على من اعتقد اشتراك عباس معه في هذه الصفة، ومثاله في قصر الموصوف على الصفة: "ما فؤاد إلا كاتب" ردًا على من اعتقد اتصافه بالكتابة والشعر، وسمي قصر أفراد لقطع الشركة التي اعتقدها المخاطب.

(٧٢/٢)

وقصر التعيين: ما يخاطب به المتردد بين شيئين، مثاله في قصر الصفة على الموصوف قولك: "ما ذكي إلا خالد" خطابًا لمن تردد بين ذكائه وذكاء "بكر" ولا يدري أيهما على التعيين، ومثاله في قصر الموصوف على الصفة قولك: "ما فؤاد إلا ناجح" خطابًا لمن تردد بين نجاحه وإخفاقه، وسمي قصر تعيين لتعيين ما هو غير معين عند المخاطب.

تنبيهان:

الأول: اعلم أن التقسيم إلى القلب، والإفراد، والتعيين خاص بالقصر الإضافي كما يظهر لك من الأمثلة السابقة، وعللوا ذلك: بأن التقسيم المذكور لا يتأتى إجراؤه في القصر الحقيقي حقيقة١.

بيان ذلك: أنك إذا قلت مثلًا في قصر الصفة على الموصول قلبًا: "ما كاتب إلا محمد" تريد قصر الكتابة عليه قصرًا حقيقيًا بمعنى إثبات الكتابة له ونفيها عمن عداه كان مقتضى ذلك: أن المخاطب يعتقد العكس أي يعتقد اتصاف جميع الناس بالكتابة دون "محمد" وهذا بعيد جدًا. إذ لا يتصور من السامع العاقل أن يعتقد اتصاف جميع الناس بصفة من الصفات إلا واحدًا منهم لما هو معلوم بداهة من تعذر استقصاء كافة الناس حتى يحكم عليهم بإثبات أو نفي، كذلك إذا قلت في قصر الموصوف على الصفة قلبًا: "ما محمد إلا كاتب" تريد قصره على صفة الكتابة قصرًا حقيقيًا حقيقة، بمعنى إثبات الكتابة له، دون غيرها من سائر الصفات، كان مقتضى ذلك أن المخاطب قد اعتقد العكس أي اعتقد ثبوت جميع الصفات "لمحمد" إلا الكتابة، وهذا أيضًا غير متأت لما علم بالبداهة: من تعذر الإحاطة بصفات الشيء، حتى يمكن الحكم بثبوت شيء منها ونفي ما عداه، وهكذا يقال في قصري الإفراد والتعيين. اهـ.

الثاني: علمت مما تقدم: أن قصر الإفراد هو ما يخاطب به من يعتقد الشركة أي اشتراك شيئين أو أشياء في أمر واحد كما مثلنا سابقًا وحينئذ.

يشترط: في قصر الموصوف على الصفة إفرادًا، إلا يتنافى الوصفان ليتأتى اعتقاد المخاطب اشتراكهما في موصوف واحد، فيرد عليه حينئذ بقصر الإفراد أي بأنه متصف بأحد الوصفين دون الآخر، فإذا قلت مثلًا "ما علي إلا شاعر" وجب أن تكون الصفة المراد نفيها: كونه خطيبًا أو كاتبًا، لا كونه مفحمًا، أي لا يقول الشعر إذ الإقحام ينافي الشاعرية فلا يتأتى اعتقاد اجتماعهما في موصوف واحد. ا. هـ.

---

١ إنما قلنا ذلك لإمكان القصر الحقيقي الادعائي.

اختبار ١ :

١- عرف القصر لغة واصطلاحًا، ثم بين أجزاء التعريف الاصطلاحي، ووضح ذلك بالمثال.

٢- قسم القصر باعتبار غرض المتكلم، وعرف كل قسم، ومثل له، مبينا علة تسمية كل قسم.

٣- قسم القصر باعتبار حال المقصور، ومثل لكل قسم، وافرق بين الأقسام.

٤- بين سبب تعذر قصر الموصوف على الصفة قصرًا حقيقيًا، مع بيان المراد بالصفة.

٥- اذكر الفرق بين الحقيقي والإضافي، ثم افرق بين الحقيقي حقيقة، والحقيقة ادعاء، ثم فرق بين الحقيقي ادعاء والإضافي، مع توضيح كل ذلك بالمثال.

٦- اذكر أقسام القصر الإضافي، وعرف كل قسم، ومثل له، مع بيان سبب تسمية كل قسم من هذه الأقسام، ومن أي نوع قوله تعالى: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرِ} ؟

٧- بين لماذا خص القصر الإضافي بالتقسيم إلى القلب، والإفراد، والتعيين، دون الحقيقي، وضح ذلك بالمثال.

(٢/٧٤)

تمرين:

حول الجملة الآتية إلى ما يناسبها من جمل قصرية، وبين نوع القصر فيها: علي أبين صفاته الزهد. محمد بذ أبناء بلده في الكرم. عرف خالد بالبسالة ولم يعهد فيه الجبن. إبراهيم فاق أخاه في الذكاء. شوقي يجيد الإنشاء دون الإنشاد. محمود فحسب يحترف التجارة.

تمرين يطلب جوابه:

حول الجمل الآتية إلى ما يناسبها من جمل قصرية، وبين نوع القصر فيها:

توفيق سبق أقرانه علمًا. أظهر سمات الجمل الصبر. اشتهر حسان بالشعر ولم يعرف بالإقدام. استأثر امرؤ القيس باستبكاء الديار. ليس للبحتري حكمة المتنبي. شوقي في شعره أبرز منه في نثره.

(٢/٧٥)

طرق القصر:

للقصر طرق يتأدى بها، وهي كثيرة١، ولكن المصطلح عليه منها ستة؛ غير أن المبحوث منها في هذا الباب

أربعة٢ وإليك بيانها:

١- النفي والاستثناء٣ والمقصور عليه فيهما هو ما يلي أداة الاستثناء، مثاله في قصر الصفة قصرًا حقيقيًا قولك: "ما شاعر إلا فؤاد" أي لا غير فؤاد، وفي قصر الموصوف قولك: "ما فؤاد إلا شاعر" أي شاعر، أي لا غير شاعر.

ومثاله في قصر الصفة قصرًا إضافيًا قولك: "ما شاعر إلا فؤاد" أي لا توفيق، فإن كان الخطاب مع من اعتقد أن الشاعر توفيق لا فؤاد كان قصر "قلب". وإن كان مع من اعتقد أن الشاعر توفيق وفؤاد كان قصر "إفراد" وإن كان مع من تردد بينهما كان قصر "تعيين"، وهكذا يقال في قصر الموصوف.

٢- إنما: والمقصور عليه فيها هو المؤخر. مثاله في قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقيًا قولك: "إنما شاعر شوقي" أي لا غير شوقي، وفي قصر الموصوف على الصفة قولك: "إنما شوقي شاعر" أي لا غير شاعر.

ومثاله في قصر الصفة قصرًا إضافيًا قولك: "إنما شاعر شوقي" أي لا المنفلوطي، ومثال قصر الموصوف على الصفة قولك: "إنما شوقي شاعر" أي

---

١ منها التصريح بلفظ "وحده" أو "لا غيره"، أو "فقط" كما تقول زارني محمد وحده، أو لا غير، أو فقط، ومنها التصريح بمادة الاختصاص، أو القصر كما تقول: اختص محمد بالكتابة، أو الشعر مقصور على محمد، فكل هذا ليس من طرق القصر الاصطلاحية.

٢ والاثنان الباقيان؛ أحدهما ضمير الفصل نحو: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} ؟ أو المقصور عليه فيه ما بعد الضمير. وثانيهما تعريف ركني الإسناد سواء اختلف طريقا التعريف كما في قوله: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ} أو اتحدا نحو: الأمير القادم علينا، والمقصور عليه في المثال الأول هو المقدم، وفي الثاني هو المؤخر.

٣ أي بإلا أو بإحدى أخواتها كغير وسوى.

لا خطيب، وكونه قصر قلب، أو إفراد، أو تعيين منوط بحال المخاطب كما تقدم.

ووجه إفادتها معنى القصر: تضمنهما معنى "النفي والاستثناء" فقولك: "إنما شوقي شاعر"، أو "إنما شاعر شوقي" في معنى قولك: ما شوقي إلا شاعر، أو ما شاعر إلا شوقي.

وأحسن مواقع "إنما" استعمالا: ما إذا كان المقصد منها التعريض١ كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

الْأَلْبَابِ} أي إنما يتعقل الحق أصحاب العقول. فمن المجزوم به: أن ليس الغرض من هذا الكلام ظاهره؛ وهو حصر تعقل الحق في ذوي العقول؛ لأن هذا أمر معلوم بالبداهة، وإنما هو تعريض بذم الكفار، وأنهم لفرط عنادهم، وغلبة الهوى عليهم في حكم من لا عقل له، وأن من يطمع في أن ينظروا ويتذكروا كمن يطمع في ذلك من غير أولي الألباب، ومثله قوله:

أنا لم أرزق محبتها ... إنما للعبد ما رزقا

فهذا تعريض بأنه لا مطمع له في وصلها، وأنه بائس من تحقيق ما يرجوه منها، وإلا فكون الرزق منوطًا بصاحبه، لا يكون لغيره أمر معلوم.

وإنما كان التعريض أحسن مواقع "إنما"، لأن الحكم الذي شأنها أن تستعمل فيه يكون "في الغالب" معلومًا للمخاطب "كما سيأتي بعد" فلا يكون الغرض إفادته حينئذ، بل يكون المقصود التاريخ به إلى معنى آخر كما تقدم بيانه "في الآية والبيت" وهذا هو معنى التعريض.

٣- العطف بلا، أو ببل، أو بلكن. والمقصور عليه في العطف "بلا" هو المقابل لما بعدها، وفي العطف "ببل، ولكن"، هو ما بعدها. مثال العطف "بلا" في قصر الصفة قصرًا حقيقيًا قولك: "زهير شاعر لا غير زهير"، ومثاله في قصر الموصوف: "زهير شاعر لا غير شاعر" والمقصور عليه في الأول، "زهير" وفي الثاني "شاعر"؛ لأن كلا منهما هو المقابل لما بعد "لا".

---

١ هو الكلام المستعمل في معناه ليلوح به إلى غيره لغرض من الأغراض.

ومثاله في قصر الصفة قصرًا إضافيًا قولك: "زهير شاعر لا سحبان".

ومثاله في قصر الموصوف: قولك "زهير شاعر لا خطيب"، والمقصور عليه في الأول "زهير" وفي الثاني "شاعر" لأنهما المقابلان لما بعد "لا"، ويبدو لك من الأمثلة: أن المدار في كون هذا النوع "من القصر" حقيقيًا أو إضافيًا على المعطوف فإن كان عامًّا "كما في المثالين الأولين" فالقصر حقيقي، وإن كان خاصًّا "كما في المثالين الآخرين" فهو إضافي.

ومثال العطف "ببل ولكن في قصر الصفة قولك: "ما عبد الحميد شاعرًا بل بشار، أو لكن بشار"، ومثاله في قصر الموصوف قولك: "ما عبد الحميد شاعرًا بل كاتب، أو لكن كاتب"، والمقصور عليه في الأول "بشار" وفي الثاني "كاتب"، وهذا التمثيل للإضافي، وأما الحقيقي فيعلم التمثيل به بالمقايسة على ما تقدم، والمدار في كونه

حقيقيًا، أو إضافيًا على عموم المعطوف أو خصوصه "كما بينا"، وفي كون الإضافي منه قلبًا، أو إفرادًا، أو تعيينًا مناطه حال المخاطبة "كما علمت".

"فائدة" إذا كثر النفي في العطف "بلا" قيل: "لا غير"، و"ليس إلا"، فتقول في قصر الصفة: "محمد تاجر لا غير" أي لا غير محمد فهو قائم مقام قولك: لا علي ولا أحمد ولا محمود، ولا غيرهم وتقول في قصر الموصوف: "محمد شاعر لا غير" أي لا غير شاعر، فهو قائم مقام قولك: لا فقيه، ولا تاجر، ولا كاتب، ولا غير ذلك.

٤- تقديم ما حقه[١] التأخير: كتقديم الخبر على المبتدأ[٢]، وتقديم المعمول على العامل، والمقصور عليه في هذا النوع من القصر هو المقدم. مثال الأول من قصر الموصوف قولك: "مصري أنا" أي لا غير مصري إن كان القصر حقيقيًّا أو لا شامي إن كان القصر إضافيًّا، فتقديم الخبر على المبتدأ أفاد قصر الموصوف، وهو "ضمير المتكلم" على الصفة، وهي "المصرية" بحيث لا يتعداها إلى غيرها أصلا "في القصر

---

١ احترز به عما وجب تقديمه لصدارته كأين ومتى.

٢ محل كون تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر ما لم يكن المتبدأ نكرة قدم عليها الخبر كقولهم: في الدار رجل. فمثل هذا لا يفيد حصرًا.

الحقيقي"، أو إلى الشامية "في القصر الإضافي"، ومثال الثاني من قصر الصفة قصرًا حقيقيًّا قولك: "إياك نعبد"، أي لا غيرك، فتقديم المفعول على الفعل أفاد قصر الصفة وهي "العبادة" على الموصوف الذي هو "ضمير الخطاب"، بحيث لا تتعداه إلى غيره "سبحانه"، ولا يخفى اعتبار الإضافي منه قلبًا، أو إفرادًا، أو تعيينًا.

اختلاف طرق القصر:

هذه الطرق الأربعة -بعد اشتراكها في إفادة القصر- تختلف من عدة وجوه وإليك بيانها.

الأول: أن النفي "بلا العاطفة" لا يجامع النفي والاستثناء، فلا يصح أن يقال في قصر الصفة: "ما حكيم إلا المتنبي لا البحتري"، ولا أن يقال في قصر الموصوف: "ما سحبان إلا خطيب لا شاعر"؛ لأن شرط صحة المنفي "بلا" العاطفة: ألا يكون منفيًّا قبلها بغيرها من أدوات النفي، والمنفي "بلا" في المثالين منفي قبلها "بما" فقبح نفيه ثانيًا.

ولكنه يجامع "إنما"، والتقديم فيقال: إنما "أنا مصري لا عراقي".

ويقال: "محمدًا أكرمت لا عليًّا" وإنما صح ذلك فيهما؛ لأن النفي غير مصرح به، فلم يقبح النفي "بلا" حينئذ.

الثاني: إن التقديم يفيد الحصر بمفهوم الكلام ومعناه، بمعنى أن صاحب الذوق السليم إذا تأمل في الكلام الذي فيه التقديم المذكور فهم الحصر، وإن لم يعرف أن التقديم- في اصطلاح البلغاء- يفيد الحصر، فقولك: "مصري أنا" يدل بمفهومه ذوقًا على حصر المتكلم في المصرية، أما ما عداه من طرق القصر فدلالته على الحصر بالوضع، "فلا العاطفة" موضوعة للنفي بعد الإثبات، و"بل ولكن" موضوعتان للإثبات بعد النفي، وهذان المعنيان مفيدان للقصر، كذلك الحال في النفي والاستثناء، فإن حرف النفي موضوع للنفي، وحرف الاستثناء موضوع للإخراج من حكم النفي، وهذا المعنى مفيد للقصر، "وإنما" كذلك مفيدة للحصر وضعًا لتضمنها معنى "النفي والاستثناء" كما علمت.

الثالث: أن الأصل في القصر "بالعطف"، أن ينص على المثبت والمنفي معًا فإذا قلت في قصر الصفة: "الحجاج خطيب لا الوليد" فقد نصصت على من تثبت له الخطابة وهو "الحجاج"، وعلى من نفيت عنه وهو "الوليد"، وإذا قلت في قصر الموصوف: "الحجاج خطيب لا

شاعر "فقد نصصت على المثبت للحجاج وهو "الخطابة"، وعلى المنفي عنه وهو "الشعر" وكذلك الشأن في العطف "ببل ولكن" ولا يترك النص عليهما إلا كراهة الإطناب لغرض ما، كما يقال في قصر الموصوف: "محمد يعرف الكيمياء لا غير" أي لا الطب ولا الهندسة؛ ردًّا على من يقول محمد يعرف الكيمياء والطب والهندسة، وكما يقال في قصر الصفة: "محمد يعرف الطب لا غير" أي لا إبراهيم، ولا خالد، ردًّا على من يقول: محمد يعرف الطب، وإبراهيم، وخالد.

أما الطرق الثلاثة الباقية فالأصل فيها النص على المثبت فقط، فتقول في "النفي والاستثناء" في قصر الصفة: "ما أديب إلا محمد" فقد نص على الذي أثبت له الأدب، وهو "محمد" ولم ينص على الذي نفى عنه، وهو "أحمد" مثلًا. وتقول في قصر الموصوف: ما محمد إلا أديب، فقد نص على الذي أثبت وهو "الأدب"، ولم ينص على الذي انتفى وهو "التجارة" مثلًا، وهكذا يقال في "إنما" و"التقديم" فظهر أن الطرق الثلاثة لا ينص فيها إلا على المثبت.

الرابع: أن الأصل "في النفي والاستثناء": أن يستعملا في أمر من شأنه أن يجهله المخاطب، وينكره، أو فيما هو منزل هذه المنزلة. مثال الأول: أن ترى شبحًا من بُعْد، فتقول: "ما القادم إلا محمد" لمخاطب ينكر عليك

ذلك معتقدًا أنه محمود، لا محمد، فقدوم محمد أمر من شأنه أن يجهله المخاطب، وينكره لبعد الشبح في مرأى العين. ومثال الثاني وهو ما نزل فيه الأمر المعلوم منزلة ما من شأنه أن يجهل، وينكر قوله تعالى: {إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِير} أي لست مكلفًا بغير الإنذار، فكونه عليه الصلاة والسلام منذرًا فقط أمر لا يجهله، ولا ينكره، لكن لما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصًا جيد الحرص على هداية الناس، يكرر الدعوة جاهدًا لمن امتنع عن الإيمان، صادقًا عنه نزل ذلك الأمر المعلوم له منزلة ما من شأنه أن يجهل وينكر" فعبر فيه "بالنفي والاستثناء" على ما هو الأصل فيهما.

والأصل في "إنما" على العكس، أي أن تستعمل في أمر من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا ينكره، أو فيما نزل هذه المنزلة. مثال الأول: أن ترى شبحًا من قرب، بحيث يدرك بقليل من التأمل فتقول لآخر: "إنما المقبل ذئب" فمثل هذا الحكم –والحالة هذه– من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره لقرب الشبح في مرأى العين، وكما تقول: "إنما هو صاحبك القديم"، و"إنما هو أخوك" لمن لا يجهل ذلك، ولكنك تريد أن تنبهه إلى ما يجب عليه: من رعاية حرمة الصاحب، وحق الأخوة لترققه،

(٨٠/٢)

وتستعطف قلبه –ومثال الثاني– وهو ما نزل فيه الأمر للمجهول منزلة ما من شأنه ألا يجهل قوله تعالى: حكاية عن اليهود: {إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} ، ادعوا: أن إصلاحهم المجهول للمخاطبين، والمنكر لديهم أمر جلي ظاهر، من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا ينكره تنزيلًا للأمر المجهول لهم، المنكر عندهم منزلة المعلوم المعترف به، فعبروا فيه "بإنما" على ما هو الأصل فيها، ومثله قول الشاعر:

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

ادعى الشاعر أن ثبوت هذه الصفة لممدوحه أمر جلي لا يخفى على أحد، كما هو دأب الشعراء إذا مدحوا، فإنهم يدعون الشهرة فيما يصفون به ممدوحيهم.

وإنما خص "النفي والاستثناء" بما من شأنه أن يجهل وينكر دون "إنما" لأن القصر من أسباب التأكيد ولما كان النفي صريحًا في "الاستثناء" كان التأكيد أقوى، فكان لموضع الإنكار أنسب. ا. هـ.

الخامس: أن "إنما" يعقل منها الحكمان: الإثبات والنفي دفعة واحدة، ويستفادان منها نصًّا من غير توقف على شيء، فإذا قلت مثلا: "إنما خالد كاتب" فقد أثبت له صفة الكتابة، ونفى عنه صفة الشعر مثلا في القصر الإضافي، وهذان الحكمان استفيدا من العبارة المذكورة في آن واحد، ودلت عليهما نصًّا، بلا توقف على شيء آخر وراء ذلك.

بخلاف "العطف" نحو: "خالد كاتب لا شاعر" و"ما خالد كاتبًا بل شاعرًا"، فإن الذي يعقل أولا في "المثال الأول" ثبوت الكتابة لخالد، ثم نفي الشاعرية عنه، والذي يعقل في المثال الثاني "نفي الكتابة عن خالد"، ثم ثبوت الشاعرية له، ولا شك أن تعقل الحكمين معًا أرجح، إذ لا يذهب فيه الوهم إلى عدم الحصر من أول الأمر "كما في العطف".

وبخلاف: "التقديم" نحو: "العلوم لزمت" فإنه وإن أفاد الحكمين معًا لكن ليس ذلك نصًّا، بل احتمالا، فإن الاسم المقدم يحتمل أن يكون معمولا للعامل المؤخر، فيكون تقديم المعمول مفيدًا للحكمين معًا، ويحتمل أن يكون معمولًا لعامل آخر قدر تقديمه على المعمول، فلا يفيد الحكمين.

وبخلاف "الاستثناء" فإنه –وإن أفاد الحكمين معًا نصًّا– لكن إفادته ذلك موقوفة على المستثنى منه، لأن الاستثناء موضوع للإخراج فلا بد من ملاحظة المخرج منه.

(٨١/٢)

مواقع القصر:

كما يقع القصر بين المبتدأ والخبر –كما سبق– يقع بين الأشياء الآتية:

١– بين الفعل والفاعل نحو: "ما صدق إلا محمد"، والقصر الواقع بينهما من قصر الصفة على الموصوف؛ لأن الفعل من قبيل الأوصاف.

٢– بين الفاعل والمفعول نحو "ما لقي عمرو إلا خالدًا" في قصر الفاعل على المفعول، ونحو "ما لقي خالدًا إلا عمرو" في قصر المفعول على الفاعل، وقد علمت أن المقصور عليه "في الاستثناء هو ما بعد "إلا".

٣– بين المفعولين نحو: "ما أعطيت الفقير إلا درهمًا" و"ما أعطيت درهمًا إلا الفقير" و"ما علمت محمدًا إلا البيان" و"ما علمت البانين إلا محمدًا، وهكذا"، والقصر الواقع بين هذه المعمولات من قبيل قصر الصفة على الموصوف، أو قصر الموصوف على الصفة، وبيان ذلك مما لا يتسع له المقام.

٤– بين سائر المتعلقات كالحال، والتمييز والظرف، والجار والمجرور، وغير ذلك.

ففي الحال تقول: "ما جاء محمد إلا راكبا" أو "ما جاء راكبًا إلا محمد" وفي التمييز تقول: "ما طاب محمد إلا نفسًا، وما طاب نفسًا إلا محمد"، وفي الظرف تقول: "ما جلست إلا بين يدي الأمير"، وفي المجرور تقول: "ما مررت إلا بك" وهكذا يكون القصر في كل ذلك حقيقيًّا، وإضافيًّا قلبًا، أو إفرادًا، أو تعيينًا، ولا يخفى اعتبار ذلك.

تأخير المقصور عليه أو تقديمه:

إذا كان القصر من طريق النفي والاستثناء فالكثير، الغالب أن يؤخر المقصور عليه على المقصور، فإذا أريد قصر المبتدأ على الخبر قيل: "ما محمد إلا كاتب"، وإذا أريد العكس قيل: "ما كاتب إلا محمد"، وإذا أريد قصر الفاعل على المفعول قيل: "ما لقي محمد إلا عليًّا، وإذا أريد العكس قيل: "ما لقي عليًّا إلا محمد" ... وهكذا، فالمقصور عليه في هذه المثل جميعها هو المتأخر كما ترى.

ويجوز –على قلة– تقديم المقصور عليه بشرط أن تصحبه أداة

(٨٢/٢)

الاستثناء، بحيث يكون واليًا لها نحو: ما لقي إلا عليًا محمد "في قصر الفاعل على المفعول" وما "لقي إلا عباس فؤاد" في قصر المفعول على الفاعل، ومنه قول الشاعر:

فلم يدر إلا الله ما هيجت لنا ... عشية لاقينا جزامًا وحميرا

وإنما جاز تقديمه على قلة بالشرط المذكور؛ لعدم اللبس في المعنى إذ المقصور عليه هو الوالي لأداة الاستثناء قدم، أو أخر.

ويمتنع تقديمه إذا فقد الشرط المذكور لما فيه من التباس المعنى وانعكاس المقصود، بيان ذلك: أنك إذا قلت مثلا: "ما أحب محمد إلا عمرًا" تريد قصر الفاعل على المفعول، ثم قدمت المقصور عليه بدون الأداة، فقلت: "ما أحب عمرًا إلا محمد"، كان من قبيل قصر المفعول على الفاعل، وهو خلاف المعنى المراد.

وإن كان القصر "بإنما" وجب تأخير المقصور عليه، ولا يجوز تقديمه مطلقًا، فإذا أريد قصر المبتدأ على الخبر قيل: "إنما إبراهيم أديب"، وإذا أريد العكس قيل: "إنما أديب إبراهيم"، وإذا أريد قصر الفاعل على المفعول قيل: "إنما لقي عليٌّ محمودًا"، وإذا أريد العكس قيل: "إنما لقي محمودًا علي"، فالمقصور عليه في مثل هذه المثل هو المتأخر دائمًا.

ويمتنع تقديمه على المقصور؛ لأن في تقديمه إخلالا بالمعنى المقصود، فإذا قلت مثلا: "إنما لقي بكر خالدًا" تريد قصر الفاعل على المفعول، ثم قدمت خالدًا، فقلت: "إنما لقي خالدًا بكر" كان من قصر المفعول على الفاعل، وانعكس المقصود؛ لهذا وجب تأخير المقصور عليه ليكون التأخير إمارة القصر عليه إذ لا دليل عليه سواه.

(٨٣/٢)

اختبار:

١- اذكر ما اصطلحوا عليه من طريق القصر، ثم بين المقصور عليه من طريق العطف في مثالين أحدهما لقصر الصفة، والآخر لقصر الموصوف.

٢- ما الفرق بين القصر الحقيقي والإضافي من طريق "العطف" وضح ذلك بمثالين أحدهما لقصر الصفة، والآخر لقصر الموصوف.٣- بين المقصور عليه في القصر من طريق "النفي والاستثناء" في مثالين أحدهما لقصر الصفة، والآخر لقصر الموصوف، ثم بين مثل ذلك في القصر بإنما.

٤- بين المقصور عليه في القصر من طريق التقديم في مثالين: لقصر الصفة تارة، والموصوف أخرى.

٥- بين كيف استفيد معنى الحصر من طرق القصر المصطلح عليها، وما الكل في إفادة هذا المعنى سواء؟ اشرح ذلك مع التمثيل.

٦- هل هناك فارق بين القصر من طريق العطف، والقصر من طريق غيره، وإذا كان، فما هو؟ مثل لما تقول.

٧- وازن بين "النفي والاستثناء" وبين "إنما" بما تعرفه من وجوه الموازنة مع التمثيل.

٨- كيف كان التعريض أحسن مواقع "إنما" مثل لما تقول.

٩- اذكر مواقع القصر، ومثل لكل بمثال ومثل لكل بمثال: ومن أي قبيل قصر الفعل على الفاعل؟.

اختبار ٢:

١- اذكر ما اصطلحوا عليه من طريق القصر، ثم بين المقصور عليه من طريق العطف في مثالين أحدهما لقصر الصفة، والآخر لقصر الموصوف.

٢- ما الفرق بين القصر الحقيقي والإضافي من طريق "العطف" وضح ذلك بمثالين أحدهما لقصر الصفة، والآخر لقصر الموصوف.٣- بين المقصور عليه في القصر من طريق "النفي والاستثناء" في مثالين أحدهما لقصر الصفة، والآخر لقصر الموصوف، ثم بين مثل ذلك في القصر بإنما.

٤- بين المقصور عليه في القصر من طريق التقديم في مثالين: لقصر الصفة تارة، والموصوف أخرى.

٥- بين كيف استفيد معنى الحصر من طرق القصر المصطلح عليها، وما الكل في إفادة هذا المعنى سواء؟ اشرح ذلك مع التمثيل.

٦- هل هناك فارق بين القصر من طريق العطف، والقصر من طريق غيره، وإذا كان، فما هو؟ مثل لما تقول.

٧- وازن بين "النفي والاستثناء" وبين "إنما" بما تعرفه من وجوه الموازنة مع التمثيل.

٨- كيف كان التعريض أحسن مواقع "إنما" مثل لما تقول.

٩- اذكر مواقع القصر، ومثل لكل بمثال ومثل لكل بمثال: ومن أي قبيل قصر الفعل على الفاعل؟.

(٨٤/٢)

تمرينات:

الأولى: بين موضع القصر فيما يأتي:

"١" ما قصد عباس إلا فؤادًا. "٢" لم يزرنا إلا إبراهيم.

"٣" إنما يخشى الله من عباده العلماء. "٤" ما منحت الفقير سوى درهم.

"٥" إنما أعطيت أخي معطفي. "٦" إنما خطب علي وهو جالس.

"٧" طاب توفيق عيشًا لا نفسًا. "٨" إنما اشتقت إليك.

"٩" ما أقمت إلا عندك. "١٠" إنما راعني محمد جماله.

الثاني: بين نوع القصر وطريقه، والمقصور والمقصور عليه فيما يأتي:

"١" ما كامل غير الله. "٢" ما خاتم النبيين إلا محمد. "٣" ما كريم إلا حاتم. "٤" {إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} .

"٥" إنما الدنيا كطيف خيال. "٦" الدنيا دار ضيافة لا دار إقامة "٧" ما أنت صديق بل شقيق. "٨" {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} . "٩" {لِلَّهِ الْأَمْرُ} . "١٠" العلم أطلب. "١١" إنما الأعمال بالنيات. "١٢" لا يعلم السر والنجوى سوى الله. "١٣" إنما يعرف الفضل من الناس ذووه. "١٤" الدين المعاملة. "١٥" إنما منحت المجد مكافأة.

(٨٤/٢)

جواب التمرين الأول:

"١" القصر فيه بين الفاعل والمفعول. "٢" القصر فيه بين الفعل والفاعل.

"٣" القصر فيه بين المفعول والفاعل. "٤" القصر فيه بين مفعولي "منح".

"٥" القصر بين مفعولي "أعطي". "٦" القصر بين الحال وصاحبها.

"٧" القصر بين التمييز والمميز. "٨" القصر بين الفعل والمجرور.

"٩" القصر بين الفعل والظرف. "١٠" القصر بين البدل والمبدل منه.

تمرين يطلب جوابه على نحو ما سبق:

إنما ساءني زيد طبعه. ما كسوت سعيدًا إلا جبة. إنما سبق علينا أخوه. ما زارنا سوى إبراهيم. إنما ساء زيد منقلبا. ما خطب أحمد إلا جالسًا. إنما أحب إبراهيم محمودًا. ما فكرت إلا فيك. ما يرعى حق الجوار إلا كريم. لا يحسن الخلة إلا وفي. ما سأل عمرو إلا خالدًا. إنما يعطي القوس باريها.

تمرين يطلب جوابه:

بين نوع القصر، وطريقه، والمقصور عليه فيما يأتي:

لا فارس إلا علي. ولا شاعر إلا ابن هانئ١. ابن المقفع ناثر لا ناظم. ما أنا حاسب لكن كاتب. لله درك فارسًا. لا إله إلا الله. بك وثقت. إنما تعلم محمد علم المعاني.

ما بعتكم مهجتي إلا بوصلكم ... ولا أسلمها إلا يدا بيد

ليس عارًا بأن يقال فقير ... إنما العار أن يقال بخيل

إن الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ليس اليتيم الذي قد مات والده ... بل اليتيم يتيم العلم والأدب

وما نال المنى في الناس إلا ... غبي القوم أو فطن تغابى

إنما الدنيا هبات ... وعوار مسردة

كأن لم يمت أحد سواك ولم تقم ... على أحد إلا عليك النوائح

قد علمت سلمى وجاراتها ... ما قطر٢ الفارس إلا أنا

وقيل في الحكم: لا يألف العلم إلا ذكي، ولا يجفوه إلا غبي، إياك أعني واسمعي يا جارة.

وما شاب رأسي من سنين تتابعت ... علي ولكن شيبتني الوقائع

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

---

١ ابن هانئ من فحول شعراء الأندلس وهذان المثالان ينطبق عليهما قول الشاعر:

إن تكن فارسًا فكن كعلي ... أو تكن شاعرًا فكن كابن هانئ

٢ بتشديد الطاء يريد: القاه على قطره أي جنبه.

الإنشاء

مدخل

...

الإنشاء:

قلنا فيما سبق: أن الإنشاء قول لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا، أي لا ينسب لقائله صدق أو كذب، وقد تقدم بيان ذلك، وهو يطلق بمعنيين:

١- يطلق ويراد به الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه، نحو: "اكتب يا فلان"، فهذا كلام إنشائي إذ ليس لنسبته خارج تطابقه أو لأن مدلول اللفظ لا يحصل إلا بالتلفظ به، كما ترى.

٢- يطلق ويراد به: المعنى المصدري، أي فعل المتكلم، وهو إلقاء مثل الكلام المذكور، والتلفظ به.

وينقسم باعتبار المعنى إلى قسمين: طلبي، وغير طلبي.

فغير الطلبي كصيغ المدح، والذي مثل "نعم وبئس"، وكصيغ العقود "كبعت واشتريت"، وكالقسم، وفعلي التعجب، وغير ذلك من الصيغ التي لا يراد بها طلب شيء، وهذا القسم لا بحث له في علم المعاني.

والطلبي وهو المقصود بالبحث هنا هو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب ولو في اعتقاد المتكلم؛ لأن طلب الحاصل لا يليق[١].

والمبحوث فيه هنا من أنواع الطلب خمسة هي: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء.

---

١ فإذا استعملت صيغ الطلب في مطلوب حاصل عند الطلب امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا} ، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ} فإن كلا من الإيمان والتقوى حاصل وقت الطلب لهذا امتنع إجراء صيغة الطلب على معناها الذي هو طلب الحصول، وأريد طلب دوام هذا الحصول، والمعنى داوموا على إيمانكم، ودم على تقواك.

مبحث الأمر:

الأمر:

هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء حقيقيًّا كان ذلك الاستعلاء، أو ادعائيًّا، فالأول كقول السيد

لعبده: "افعل كذا"، والثاني كقول العبد لسيده: "افعل كذا" متعاظمًا لا متواضعًا.

ولصيغة الأمر صور أربع:

١- فعل الأمر، كقوله تعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} ، وكقولك: "اعطني كتابك".

٢- المضارع المقرون بلام الأمر، كقوله تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِه} ، وكقولك: "ليؤد كل منكم واجبه".

٣- اسم فعل الأمر، كقولك لآخر: "صه عن الغيبة والنميمة"، أي كف عنهما، ونحو: "حي على الفلاح" أي أقبل على ما فيه الخير والسعادة، ونحو "آمين" بمعنى استجب، فإن مجنون ليلى العامرية.

يا رب لا تسلبني حبها أبدا ... ويرحم الله عبدًا قال آمينا

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر نحو: سعيًا في الخير، ورفقًا بالضعفاء، وصبرًا على البأساء[١].

المعنى الحقيقي لصيغة الأمر:

مدلول الصيغة -على ما ذهب إليه الجمهور- هو الطلب على جهة الوجوب إذ هو المفهوم منها عند الإطلاق، وما عداه من المعاني يحتاج إلى قرائن تحف به، تستفاد من سياق الكلام، وقيل غير ذلك.

فورية الأمر وتراخيه:

اختلفوا في صيغة الأمر عند تجردها من القرائن، هل تقتضي الامتثال فورًا، أو على التراخي، أو ما هو أعم منهما؟

فالجمهور على أن مدلول صيغة الأمر هو طلب حصول الفعل مطلقًا عن قيد الفورية؟ أو التراخي، فالمأمور يكون ممتثلًا للآمر بالإتيان بالفعل المأمور به سواء أتى به فورًا، أو بعد مهلة، ولا يتعين أحدهما إلا بقرينة، وهذا هو الراجح.

وقال السكاكي: إن مدلول الأمر، طلب حصول الفعل فور النطق بالصيغة، إذ مقتضى الطبع في كون الشيء مطلوبًا، أن يراد حصوله في

---

١ هذه المصادر نائبة عن فعل الأمر المحذوف وجوبًا، ولهذا كان المصدر نفسه هو "المسند" لا الفعل المحذوف، والضمير المستتر فيه هو "المسند إليه".

الحال، فإذا قيل: "افعل كذا" كان معناه افعله فورًا، كما هو الشأن في "الاستفهام والنداء"، فالأول يقتضي فورية الجواب عن المستفهم عنه، والثاني يقتضي فورية إقبال المنادى، ولا يستفاد المتراخي إلا بقرينة. ا. هـ.

تنبيه:

كما أن مدلول صيغة الأمر لا يفيد الفورية، ولا التراخي عند خلو المقام عن القرائن –كما قدمنا– كذلك لا يفيد استمرار الفعل، ولا تكراره، فإذا أمر السيد عبده بالقيام مثلًا كان ممتثلًا بمجرد قيامه، ولا يقتضي ذلك أن يستمر قائمًا، أو أن يكرر القيام مرة بعد أخرى، ما لم تقم قرينة على ذلك. ا. هـ.

المعاني المجازية لصيغة الأمر:

تخرج صيغ الأمر عن معانيها الحقيقية إلى معان آخر مجازية. تفهم من سياق الكلام، وقرائن الأحوال؛ منها:

١– الدعاء: إذا استعملت الصيغة في مقام التضرع نحو {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ} .

٢– الالتماس: كقولك لندك سنًا ومقامًا: "اعطني هذا الكتاب".

٣– التهديد: إذا استعملت الصيغة في مقام عدم الرضا بالمأمورية كقوله تعالى: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير} ، وكقولك: "افعلوا ما بدا لكم"، وإنما كان تهديدًا؛ لأن أمرهم بكل عمل شاءوا، أو بكل عمل بدأ لهم ليس مرغوبًا فيه.

٤– التعجيز: إذا استعملت الصيغة في مقام إظهار عجز المدعي كقوله تعالى: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} ، وإنما كان تعجيزًا لأن الإتيان بسورة من مثله فوق مقدورهم، ومن التعجيز قول الشاعر:

يا لبكر انشروا لي كليبا ... يا لبكر أين أين الفرار

فالأمر هنا مراد به التعجيز، لأن المقصود به: إعادة الحياة لكليب، وذلك فوق مقدورهم، وخارج عن طوقهم.

٥– التسخير: إذا استعملت الصيغة في مقام يكون المأمور فيه منقادًا لما أمر به كقوله تعالى: {كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} .

٦– الإهانة: إذا استعملت الصيغة في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور كقوله تعالى: {كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا} .

٧– الإباحة: إذا استعملت الصيغة، حيث توهم المخاطب عدم جواز الإتيان بالشيء كقوله تعالى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} فالمراد بهذا الأمر، بيان حكم الأكل والشرب وأنه مباح لا حظر فيه.

٨– التسوية بين الشيئين: إذا استعملت الصيغة في مقام توهم المخاطب فيه أرجحية أحد الطرفين المتساويين كقوله تعالى: {اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا} وكقوله تعالى: {أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ} .

٩- التمني: إذا استعملت الصيغة في معنى لا طماعية في حصوله كقول الشاعر الجاهلي:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فليس الليل مما يوجه إليه أمر أو نهي، وإنما الشاعر يشكو من طول ليله، ويود لو ينبلج الصبح ليتخلص من هموم الليل والألم والسهر.

١٠- الامتنان: نحو: {كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} ، يريد "سبحانه" أن يمتّن علينا بما منحنا من نعمه وآلائه.

١١- الإكرام: كقوله تعالى: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ} فليس المراد: الأمر بالدخول لحصوله وقتئذ، وإنما الغرض: إظهار إكرامهم وأنهم يستحقون هذا النعيم بما قدموا من خير.

١٢- الدوام: كقوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} ، وكقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا} فليس المراد: الأمر بالهداية والإيمان لأنهما حاصلان إنما الغرض الدوام عليهما.

١٣- الإذن: كقولك لمن طرق الباب: "ادخل" تريد الإذن له بالدخول.

١٤- الإرشاد والاعتبار: فالأول كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ} يريد: إرشادنا إلى ما ينبغي، من تدوين ما يجرى بيننا من معاملات تفاديا لما عسى أن يقع من نزاع، والثاني كقوله تعالى: {انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} ، فليس المراد: مجرد الأمر بالنظر إلى الثمر، وإنما الغرض: لفت النظر إلى ما في قدرة الله تعالى من إبداع ليعتبروا ... إلى غير ذلك.

(٩١/٢)

مبحث النهي:

النهي: طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء حقيقيًا كان الاستعلاء أو ادعائيًا -كما في الأمر- فالأول كقول السيد لعبده: "لا تفعل كذا"، والثاني كقول العبد لسيده: "لا تفعل كذا" متعاظمًا.

ولصيغة النهي صورة واحدة هي الفعل المضارع المقرون "بلا الناهية" كقوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} .

المعنى الحقيقي لصيغة النهي:

هو- على ما ذهب إليه الجمهور- طلب ترك الفعل طلبًا جازمًا وهذا أرجح الأقوال، وقيل: غير ذلك مما لا مجال لذكره.

غير أن صيغة النهي تختلف عن صيغة الأمر: من حيث إن صيغة النهي تدل على الفور والاستمرار جزمًا، لأنه "في الغالب" لدفع مفسدة ما لم تقم قرينة على قصد التراخي أو المرة، فإذا قيل لإنسان يتناول الخمر: "لا

تشرب الخمر" لا يعد ممتثلا للنهي حتى يكف في الحال، ويستمر كافًّا عنها، فلو استمر يشرب بعد النهي، ثم كف لم يكن ممتثلا لأنه لم يكف فورًا، وإذا كف على الفور، ثم عاد لم يكن ممتثلا أيضًا لأنه لم يستمر على هذا الكف، وإنما تكون الصيغة للتراخي أو المرة بقرينة، فالأول كقول أستاذ لتلميذه: "لا تخرج من الفصل"، فهو لا يريد طبعًا أن يكف الآن عن الخروج، إذ الخروج لم يحصل بعد حتى يكف عنه، إنما يريد أن يكف عندما يهم به، والثاني كقولك لآخر: "لا تتكلم" فأنت "بالبداهة" لا تريد الكف عن الكلام مدى الدهر، إنما تريده في حالة خاصة، وفي وقت معين.

المعاني المجازية لصيغة النهي:

تخرج صيغة النهي –كما في الأمر– عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية تفهم من سياق الكلام؛ منها:

الدعاء: إذا استعملت الصغية في مقام التخضع والاستعطاف نحو قوله تعالى: {رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} .

الالتماس: كقولك لندك: لا تبرح مكانك حتى أعود إليك.

التهديد: كقولك لخادمك الخارج عن طاعتك: "ألا تمتثل أمري"، وإنما كان تهديدًا للعلم الضروري بأن السيد لا ينهى خادمه عن امتثال

أمره بل الحال بالعكس فكأنه يقول: سترى ما يسوءك لعدم امتثالك.

الإرشاد: كقوله تعالى: {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} يريد بهذا النهي: إرشادهم إلى أنه لا ينبغي التدخل في أمور يسوء وقعها، ولا يسر العلم بها.

التيئيس: كقوله تعالى: {لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ} يريد أن لا فائدة في الاعتذار وأنكم في يأس مما تأملون.

الدوام: كقوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} ، وإنما كان الغرض: الدوام للعلم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يظن ذلك بل لم يخطر له ببال.

التمني: كما في قول الشاعر:

يا ليل طل يا نوم زل ... يا صبح قف لا تطلع

والشاهد في "لا تطلع" فليس مستعملًا في معناه الحقيقي إذ لا يوجه إلى الصبح أمر أو نهي، وإنما كان الغرض: التمني، لأنه يسمر مع حبيبه، فهو يود ألا يطلع الصبح، ليطول سمره، واستمتاعه بحبيبه ما شاء له، الهوى، إلى غير ذلك من المعاني.

اختبار– تمرين١ :

١– اذكر معنى الإنشاء وقسمه، وبين كل قسم، ومثل له.

٢– عرف الأمر، وبين الصيغ الدالة على معناه، مع التمثيل.

٣– إذا قال إنسان لخادمه: "افعل كذا فمتى يكون ممتثلًا" على رأي الجمهور، وما رأي السكاكي في هذه المسألة؟

٤– عرف النهي وبين مدلوله الحقيقي، ووازن بين صيغته وصيغة الأمر في الدلالة.

٥– ايت من إنشائك بأربعة أمثلة "للأمر" أحدها للتهديد، وثانيها للدعاء، وثالثها للتمني، ورابعها للتعجيز، ثم ايت بمثلها للنهي".

تمرين:

بين ما يراد من صيغ الأمر والنهي في التراكيب الآتية:

يا دار عبلة بالجواء تكملي. {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} . أسيئي بنا أو أحسني. لا تعاد الناس في أوطانهم. {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} لا تبرم أمرًا حتى تبحثه. {فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ} . لا يطمعنك سكوتي عنك. {يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ} . {لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ} . اتخذ لنفسك سلمًا في الجو. صديقي لا يكن في صدرك حرج. أعيني جودا ولا تجمدا. لا تقم بأداء الواجب. أربا بنفسك أن ترعي مع الهمل. لا ترحل أيها الشباب. أقم معنا على الرحب والسعة، لا تنه عن خلق وتأتي مثله. خذ ما أعددته لك. لا تشمت بي الأعداء، اصطد العنقاء. لا تحتجب أيها القمر.

جواب التمرين:

تمرين يقاس على ما سبق:

لا تطع أمري. استعد لما أنت لاقيه مني أيها المغرور. لا تنته عن غيك. بأسماء أقلعي. لا تحسبن سرورًا دائمًا أبدًا. عش ما شئت فإنك ميت. {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً} . لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله. استقم أو لا تستقم. لا تلتمس من عيوب الناس ما ستروا. إن كان كبر عليك فوات الغرض فتصعد في السماء. لا تكن قئولا غير فعول.

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ... ويا نفس جدي إن دهرك هازل

قولك لزميل لك: لا تتوان عن تحصيل دروسك. لا تعبث في الصلاة. قوله صلى الله عليه وسلم: "أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام".

(٩٥/٢)

مبحث الاستفهام:

الاستفهام "لغة": طلب الفهم، "واصطلاحًا": طلب العلم بشيء بواسطة أداة من أدواته، وهي إحدى عشرة: الهمزة، هل، ما، من، متى، أيان، أين، كيف، أنى، كم، أي. وهذه الأدوات على ثلاثة أقسام:

١- ما يطلب به التصور تارة، والتصديق أخرى، وهو "الهمزة".

٢- ما يطلب به التصديق فحسب، وهو "هل".

٣- ما يطلب به التصور فقط، وهو بقية أدوات الاستفهام. وإليك تفصيل الكلام فيها على هذا الترتيب.

الهمزة ولها حالتان:

الحالة الأولى:

أن يطلب بها: تصور المفرد كإدراك المسند إليه وحده أو المسند وحده، تقول في طلب إدراك المسند إليه: "أمحمد مسافر أم محمود؟ "، إذا كنت تعرف أن أحدهما مسافر، ولكنك لا تعرفه بعينه، فأنت تريد بالسؤال تعيينه وتصوره، فتجاب حينئذ بأنه "محمود" مثلًا. وتقول في طلب تصور المسند: "أعلي شاعر أم كاتب" إذا كنت تعرف أن أحد الوصفين ثابت "لعلي" ولكنك لا تعرفه على التعيين، فأنت تطلب بالسؤال تعيينه، فتجاب بأنه "كاتب" مثلًا.

(٩٥/٢)

والمسئول عنه بهذه الهمزة[1] هو ما يليها سواء أكان مسندًا إليه أم مسندًا أو شيئًا من المتعلقات كالمفعول، والظرف، والمجرور، والحال، ونحو ذلك فمثال ما ولى فيه "المسند إليه" الهمزة قولك: "أأنت أنشأت هذه القصيدة؟ "، إذا كنت تعلم بوقوع الفعل وهو "الإنشاء" ولكنك لا تدري فاعله أهو المخاطب أم غيره، وتريد بالسؤال تعيينه، ومثله "أعلي بنى هذه الدار؟ "، "أمحمد أقام هذه المصنع؟ "، "أإبراهيم خاط هذه القباء؟ "، فالمسئول عنه في هذه المثل هو "المسند إليه" إذ هو الذي ولي الهمزة.

ومثال ما ولي فيه "المسند" الهمزة قولك: "أأكرمت محمودًا"؟ إذا كنت تعلم أن فعلا من المخاطب تعلق "بمحمود"، ولكنك لا تدري أهو إكرام أم إهانة؟ وتريد بالسؤال تعيينه ومثال ما وليها "المفعول" قولك "أأياي قصدت؟ " إذا كنت تعلم بوقوع القصد من المخاطب، وتجهل عين المقصود وتريد بالسؤال تعيينه.

ومثال ما وليها "الظرف" قولك: "أيوم الجمعة قدمت؟ " إذا علمت بحصول القدوم، وجهلت زمنه، وقولك: "أعندكم أقام فلان؟ "، إذا علمت بحصول الإقامة، وجهلت مكانها، ومثال ما وليها الحال قولك: "أراكبا جئت؟ " ومثال ما وليها المجرور قولك: "أفي المسجد صليت؟ ". وهكذا فالمسئول عنه في هذه المثل وأشباهها هو ما ولي الهمزة كما رأيت.

تنبيهان:

الأول: يجوز أن يذكر بعد "همزة التصور"، وبعد حرف "أم" لفظ يناسب ما يليها أي مناسبة. ويسمي "معادلا" كما تقول في الأمثلة السابقة: "أأكرمت محمودًا أم أهنته"؟ فلفظ "أهنت" معادل "لأكرمت" وهما متناسبان من حيث التضاد، وتقول: "أأياي قصدت أم أخي؟ " فلفظ "أخي" معادل "لإياي" وهما متناسبان من حيث أن كلا مفعول "قصدت"، وتقول: "أيوم الجمعة قدمت أم يوم الخميس؟ " فلفظ يوم الخميس معادل ليوم الجمعة، وهما متناسبان من حيث الظرفية، وتقول: "أراكبا جئت أم ماشيا" فلفظ "ماشيا" معادل "لراكبا" وهما متناسبان من حيث إن كلا حال مضادة لأخرى، وتقول: "أفي المسجد صليت أم في البيت؟ " فلفظ "البيت" معادل للمسجد من حيث أن كلا ظرف مكان للصلاة ... وهكذا، ويجوز حذفه كما تقدمت أمثلته. وتسمى "أم" هذه "متصلة" وهي لتعيين أحد المعادلين، بعد العلم بثبوت أصل الحكم.

---

[1] وهي التي لطلب القصور.

الثاني: محل وجوب إيلاء المسئول عنه الهمزة إذا لم تقم قرينة تدل عليه، فإن قامت عليه قرينة جاز تأخيره كما إذا أتى في الكلام بمعادل –على ما بيناه في التنبيه السابق– نحو: "أأكرمت محمودًا أم أحمد"؟ فإن ذكر المعادل وهو "أحمد" قرينة أن المسئول عنه المفعول لا الفعل، ونحو: "أليلة الخميس بكرت في نومك أم سهرت؟ " "أعندك قام محمد أم علي؟ " "أفي الحفل شعرت أم خطبت؟ " "أماشيًا جاء محمد أم محمود؟ "، "أأنت أنشأت هذه القصيدة أم رويتها؟ " وهكذا فالمسئول عنه في هذه المثل هو ما ولي الهمزة بقرينة، ذكر المعادل "كما رأيت". ا. هـ.

الحالة الثانية:

أن يطلب بالهمزة: التصديق بنسبة بين شيئين –ثبوتًا أو نفيًا– فالمسئول عنه بها هو نسبة يتردد العقل بين ثوبتها ونفيها، أي بين أن تكون محققة خارجًا أو غير محققة ويكثر حينئذ دخولها على الجملة الفعلية نحو: "أقدم صديقك؟ " فأنت لا تريد السؤال عن ذات القدوم ولا عن ذات "الصديق"، وإنما تسأل عن نسبة القدوم إليه هل هي محققة في الخارج أو لا؟ ويقل دخولها على الجملة الاسمية نحو: "أعلي مسافر؟ " تسأل عن نسبة السفر إليه هل هي حاصلة أم غير حاصلة؟ ويجاب: "بنعم" أو "بلا" في الموضعين، وهذه الهمزة لا يتأتى فيها، أن يليها المسئول عنه لأنه "النسبة" وليس لها لفظ خاص يلي الهمزة.

"فائدة" إذا ولي الهمزة الفعل كما في نحو: "أأكرمت محمودًا؟ " احتمل ظاهره: أن تكون الهمزة لطلب تصور الفعل أهو إكرام أم إهانة؟ واحتمل أن تكون لطلب التصديق بنسبة الإكرام إلى المخاطب هل هي محققة في الخارج أم لا؟ ، ويكون تعيين أحد الاحتمالين بالقرينة كأن يذكر المعادل لما ولي الهمزة، فإن كان المعادل هو النقيض كانت الهمزة لطلب التصديق كما تقول في المثال المذكور: "أأكرمت محمودًا أم لم تكرمه"، وإن كان المعادل غير النقيض كانت الهمزة لطلب القصور كما تقول في هذا المثال: "أأكرمت محمودًا أم أهنته"؟ وعلى هذا فقس.

هل ولها صفتان:

الأول: اختصاصها بطالب التصديق بنسبة بين شيئين ثبوتًا، أو نفيًا، أي طلب إدراك وقوعها، أو عدم وقوعها كما في الحالة الثانية "للهمزة" وتدخل على الجملتين الفعلية والاسمية نحو: "هل قدم أخوك"؟ وهل أخوك قادم؟ تريد السؤال عن نسبة القدوم إلى الأخ، هل هي حاصلة في الواقع أم غير حاصلة؟ ويجاب "بنعم" أو "لا".

ولاختصاص "هل" بطلب التصديق يمتنع استعمالها في صورة، ويقبح في أخرى، كما تراه فيما يلي:
فيمتنع في مثل قولك: "هل قدم محمد أم علي"، من كل تركيب يذكر في المعادل، ووجه المنع: هو أن ذكر المعادل يفيد بحسب السليقة العربية والذوق البلاغي: أن السائل عالم، ومصدق بأصل الحكم، وهو "القدوم" في هذا المثال، وإنما يسأل فقط عن الفاعل أهو محمد أم علي؟ ، و"هل" تفيد: أن السائل جاهل بأصل الحكم لأنها لطلب التصديق به، فيؤدي الجمع بينهما في تركيب واحد إلى التناقض.
ويقبح استعمالها في مثل قولك: "هل عمرا قابلت"، و"هل بناديك نزل"، و"هل راكبًا أتى إليك"، و"هل عندك أقام" ونحو ذلك: من كل تركيب يتقدم فيه المعمول على العامل، ووجه القبح: هو أن تقديم المعمول على العامل –كما في الأمثلة– يفيد "غالبًا": تخصيص العامل بالمعمول كما تقدم في باب القصر، فقولنا: "عمرًا قابلت" مثلًا يفيد اختصاص عمرو بهذه المقابلة دون سواه، وإذا فالقائل: "هل عمرًا قابلت؟ " مصدق بوقوع المقابلة من الفعل، وإنما يسأل فقط عمن اختص بهذه المقابلة دون غيره –أهو عمرو أم غير عمرو– وحينئذ فتقديم المعمول على عامله يقتضي: التصديق بأصل الحكم، و"هل" لطلب التصديق بأصل الحكم فيؤدي ذلك إلى طلب حصول الحاصل، وهذا ضرب من العبث، ينبغي أن يصان عنه كلام البليغ.
وإنما قبح ذلك ولم يمتنع كسابقه، مع أن علة القبح تقتضي المنع، لاحتمال أن يكون تقديم المعمول لغير التخصيص كالاهتمام بالمقدم مثلا، فلا يقتضي تقديمه حينئذ: التصديق بأصل الحكم، فلا يؤدي إلى هذا العبث.
الصفة الثانية شبهها "بالسين وسوف" في تخليصها المضارع للاستقبال وضعًا، بعد أن كان محتملا له وللحال، ولهذا لا يصح أن يستفهم بها عن الفعل الواقع في الحال، فلا يقال: "هل تصدق" في جواب من قال: "أحبك" إذ يريد هل تصدق الآن في قولك؟ فهو يستفهم عن اتصافه بالصدق في الحال ووجه عدم الصحة: أن "هل" للاستقبال "كما ذكرنا" والفعل الواقع بعدها هنا حالي، وهما معنيان متدافعان بخلاف الهمزة فإنه يصح فيها ذلك، لأنها ليست مخصصة للمضارع بالاستقبال، فيصح أن يقال في المثال السابق: "أتصدق؟ " ولا ضمير فيه.

(٩٨/٢)

ولأجل اختصاص "هل" بطلب التصديق، وتخليصها المضارع للاستقبال اختصت بدخولها على الفعل لفظًا أو تقديرًا، تقول في الأول: "هل يعود أبوك من سفره"؟ وتقول في الثاني: "هل أبوك يعود من سفره"؟ على تقدير رفع "أبوك" في المثال الثاني على الفاعلية لفعل محذوف يفسره المذكور.

فإن عدل بها عن الجملة الفعلية إلى الاسمية كان ذلك لنكتة بلاغية أن يجعل ما سيوجد كأنه حاصل موجود اهتمامًا بشأنه، ودلالة على شدة المرغبة فيه نحو: "هل علي مجتهد؟ " والأصل: أن يقال: هل يجتهد علي؟ بمعنى: هل سيحصل اجتهاد من "علي" فيما بعد، غير أنه لما كان الاجتهاد منه مرغوبًا فيه جد الرغبة مطلوبا أشد الطلب أبرز في صورة الحاصل الآن كما هي عادة الإنسان إذا اشتدت رغبته في شيء مستقبل الوقوع تخيله واقعًا؛ لهذا عبر بالجملة الاسمية؛ لأنها أدل على طلب حصول الاجتهاد لدلالتها على الثبوت القائم.

ومن هنا كان قوله تعالى: {هَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُون} الذي عدل فيه عن الجملة الفعلية إلى الاسمية أدل على طلب حصول الشكر من العباد مما لو قيل: "فهل تشكرون؟ "، أو "أفأنتم شاكرون؟ ".

أما وجه الأدلية "في الأول" فلأن "هل" عشيقة الفعل، لا ترضى به بديلا، فإذا أبعد عنها، وأتى بالجملة الاسمية في مكانه كان ذلك دليلا على كمال العناية بمدلول هذه الجملة لأنها –كما ذكرنا– أدل على طلب حصول المقصود لدلالتها على حصول قائم بخلاف الفعلية[1] فإنها إنما تدل على حصول سيأتي.

وأما وجه الأدلية "في الثاني" فلأن "هل" أشد ارتباطًا بالفعل من الهمزة، فانفكاكه عنها أشد عسرًا من انفكاكه عن الهمزة لفرط تعلق "هل" به، فيكون ذلك أدل على شدة الاهتمام بمدلول الجملة الاسمية لهذا كان قوله تعالى: {هَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} ؟ أدل على طلب حصول الشكر مما لو قيل: "أفأنتم شاكرون؟ "، مع اتحاد نوعي الجملة فيهما، ولذلك لا يحسن أن يقال: "هل أنت شاكر"؟ إلا من البليغ، لأنه

---

[1] أي المضارعية لأن الحديث فيها.

هو الذي يراعي النكات البلاغية في عباراته أما صدور مثل هذا القول من غير البليغ فقبيح، لأنه استعمال اللفظ في غير موضعه، عن جهل بمرامي الكلام ولطائفه.

و"هل" نوعان: بسيطة، ومركبة:

فالبسيطة هي التي يستفهم بها عن وجود الشيء في نفسه، أو عدم وجوده على معنى تحققه في الخارج، أو عدم تحققه فيه، بحيث يكون لفظ الوجود، أو عدم الوجود، أو ما في معناهما[1] محمولًا على مدخولها كقولك: "هل العنقاء موجودة؟ " أو "هل هي غير موجودة؟ " أي هل هي ثابتة في الخارج متحققة فيه، أو غير متحققة فيه؟ بأن كانت أمرًا اعتباريًا وهميًا.

ومعنى كونها بسيطة: أن المذكور فيها شيء واحد غير لفظ "الوجود".

أو ما في معناه "كالعنقاء" في المثال المذكور، و"كمحمد" في نحو قولك: "هل محمد موجود؟ "، و"كالكرم" في قولك: "هل الكرم متحقق؟ "فالمذكور في الكلام غير لفظ الوجود أو التحقق، هو "العنقاء" في المثال السابق ومحمد في المثال الثاني والكرم في المثال الثالث.

والمركبة: هي التي يستفهم بها عن وجود شيء لشيء، أو عدم وجوده له، بمعنى ثبوته له، أو عدم ثبوته كقولك: "هل الشمس طالعة؟ "، أو "هل هي غير طالعة" أو "هل علي كريم" أو "هل هو غير كريم؟ " فليس الغرض: الاستفهام عن وجود "الشمس" في ذاتها، أو عن وجود "علي" في نفسه، كما في "هل" البسيطة، إنما الغرض، الاستفهام عن ثبوت شيء لهما، هو "الطلوع" للشمس، و"الكرم" لعلي.

ومعنى كونها مركبة: أن المذكور فيها شيئان غير لفظ "الوجود أو ما في معناه"، وهذان الشيئان هما "المسند والمسند إليه" "كالشمس والطلوع" في المثال الأول، و"علي والكرم" في المثال الثاني، إلى هنا ينتهي الحديث عن "الهمزة، وهل".

---

١ كالثبوت والحصول والتحقق ونحو ذلك.

أما باقي أدوات الاستفهام المذكورة فلطلب التصور فحسب غير أنها تختلف: من جهة أن المطلوب بكل منها تصور شيء غير المطلوب تصوره بأداة أخرى وإليك الحديث عنها.

ما: ويستفهم بها عن غير العاقل وهي نوعان:

١- ما يطلب به إيضاح الاسم وشرحه كأن تسمع لفظًا لا تعرف معناه، فتقول، ما هو؟ طالبًا أن يبين لك مدلوله اللغوي كقولك: "ما المسجد" أي ما مدلوله اللغوي، فتجاب بلفظ أشهر، فيقال "ذهب"، وكقولك: "ما الغضنفر؟ " فتجاب: "أشد" وهكذا:

٢- ما يطلب به، ماهية المسمى وحقيقته كما يقال: "ما الإنسان؟ أي ما حقيقة مسمى هذا اللفظ، فيجاب: "حيوان ناطق" وما الشمس؟ أي ماهيتها: فيجاب: "كوكب نهاري" وهكذا.

ويقع السؤال "بهل" البسيطة بين السؤال "بما" التي لشرح الاسم، و"ما" التي لطلب الماهية والحقيقة تمشيًا مع ما يقتضيه المنطق والطبع، فإن من يجهل معنى "البشر" مثلًا يسأل أولًا "بما" التي لشرح الاسم عن مدلوله اللغوي، فيقول: "ما هو؟ " فيجاب: "إنسان"، ثم يسأل ثانية "بهل" البسيطة عن وجوده، فيقول: "هل هو موجود"؟ فيجاب "نعم" مثلًا ثم يسأل ثالثًا "بما" التي لطلب الماهية والحقيقة، فيقال: "ما حقيقته؟ " فيجاب:

"حيوان ناطق"، وهكذا.

من ويسأل بها عن العاقل كما يقال: "من بنى الأهرام؟ " "من فتح مصر؟ " فيجاب باسمه الخاص، فيقال في الأول "خوفو"، وفي الثاني: "عمرو بن العاص"، وقد يجاب بوصفه المعين له كما يقال: "من في الدار؟ " فيجاب "الرجل الطويل الذي أنشدك قصيدة أمس"، وخرج الوصف غير المعين نحو: تاجر، أو كاتب أو غير ذلك من الأوصاف المشتركة بين كثيرين، فلا يصح أن يقع جواب السؤال "بمن".

متى: ويسأل بها عن الزمان ماضيًا كان أو مستقبلًا تقول: "متى قدمت؟ " فتجاب: "أمس"، وتقول: "متى تسافر؟ " فتجاب: "بعد أسبوع أو بعد شهر".

(١٠١/٢)

أيان: ويسأل بها عن الزمان المستقبل خاصة، فيقال: "أيان يثمر هذا الشجر؟ " فيجاب: بعد شهرين، أو ثلاثة، أو بعد سنة. وقد تستعمل في مواضع التفخيم والتهويل كما في قوله تعالى: {يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ} فإن الغرض: تفخيم هذا اليوم، وجواب هذا السؤال " {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} .

أين: ويسأل بها عن المكان، فيقال: "أين بيتك" و"أين تذهب" و"أين قضيت يومك؟ " فيجاب عن كل هذا بأسماء الأماكن.

كيف: ويسأل بها عن الحال، فيقال: "كيف صحتك"، أي على أي حالة هي، فيجاب: جيدة أو معتدلة، ويقال: "كيف وجدت صاحبك؟ " أي على أية حال وجدته، فيجاب: وجدته صحيحًا، أو مريضًا، أو مسرورًا أو حزينًا، ويقال: "كيف أتى إليك فلان" أي على أي حال أتى إليك، فيجاب أتى ماشيًا، أو راكبًا ... وهكذا.

أنى: ولها استعمالان:

أحدهما أن تكون بمعنى "كيف" كما في قوله تعالى: {أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ} ، وكقوله تعالى: {أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} ؟ على معنى كيف في المثالين، ويجب –والحالة هذه– أن يليها الفعل "كما مثلنا" بخلاف "كيف" فلا يجب فيها ذلك كما تقدم في أمثلتها.

ثانيهما: أن تكون بمعنى: "من أين" كما في قوله تعالى: {يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا} ؟ على معنى: "من أين لك هذا الرزق"؟ بدليل قولها: "هو من عند الله"، وقد تأتي بمعنى "متى" كما في قولك: "أني يفيض هذا النيل" أي متى يفيض؟

كم: ويسأل بها عن العدد المبهم كما في قوله تعالى: {كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ} ؟ ويقال: "كم كتابًا

عندك؟ " فيجاب: كذا من الأعداد.

أي ويطلب بها، تعيين واحد مما أضيفت إليه كما في قوله تعالى: {أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا} ؟، و"أي الحزبين أحصى"؟ و {أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} ؟ ويجاب في كل هذا بتعيين واحد من المضاف إليه، وهي بحسب ما تضاف إليه، فتكون للزمان، أو المكان إذا أضيفت إليهما، وتكون للحال، أو العدد كذلك وتضاف إلى العاقل، وإلى غيره، فيقال: "أي الأيام

قدمت"، و"أي الأماكن نزلت"، و"على أي الأحوال كنت"، "وأي الرجال بني الأهرام" "وفي أي الكتب تقرأ".

استعمال هذه الأدوات في غير معناها الحقيقي:

تخرج هذه الأدوات عن معناها الحقيقي إلى معان مجازية، تفهم من سياق الكلام بواسطة القرائن، منها:

١- الأمر: كما في قوله تعالى: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} ؟ على معنى: انتهوا.

٢- النهي: كما في قوله تعالى: {أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ} ؟ بمعنى: لا تخشوهم فالله هو الجدير بالخشية منه.

٣- النفي: كما في قوله تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} ، على معنى ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

٤- التشويق: كما في قوله تعالى: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} ؟ يريد: أن يشوقهم إلى تجارة رابحة هي العمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

٥- التعجب: كما في قوله تعالى: {مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} ، فالغرض، التعجب من هذه الحال في الرسول.

٦- التنبيه على ضلال: نحو: {أَيْنَ تَذْهَبُونَ} ؟ فليس الغرض: الاستفهام عن مكان الذهاب، بل المراد: تنبيههم على أنهم ضالون، وأن لا مفر لهم من عذاب الله، فهو لاحق بهم حيثما كانوا.

٧- التمني: كما في قوله تعالى: {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا} ؟

فليس الغرض: الاستفهام عن وجود شفعاء لهم إذ هم يعتقدون أن لا شفيع، ولكنهم يتمنون لو يكون لهم شفعاء يشفعون لهم.

٨- التهكم والاستهزاء: كما في قوله تعالى: {أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} ؟ فليس الاستفهام هنا محمولا على معناه الحقيقي، إنما المقصود السخرية والاستهزاء به.

٩- الاستبطاء: كقولك لمن دعوته فأبطأ في الإجابة: "كم دعوتك"؟ فليس المراد: الاستفهام عن عدد الدعوة، إنما الغرض: إظهار أنه تلكأ في الإجابة، فلم يسارع.

(١٠٣/٢)

١٠- الاستبعاد: كقوله تعالى: {أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ} ؟ فليس الغرض: السؤال عن الذكرى لاستحالته من الله العالم بخفايا الأمور، إنما المراد: استبعاد تذكرهم بدليل قوله: {وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ} فكأنه يقول من أين لهم التذكر والاعتبار والرجوع إلى الحق، وقد جاءهم رسول واضح الحجة، فأعرضوا عنه؟

١١- التحقير: كقولك لآخر: "من أنت"؟ استخفافًا به وازدراء.

١٢- التكثير: كقوله تعالى: {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ} ؟ فليس المراد: السؤال من عدد الآيات، وهو الذي لا تخفى عليه خافية، إنما الغرض: بيان أن ما أوتي إليهم من الآيات البينات كثير العدد، أي وهم -مع ذلك- يكابرون عنادًا.

١٣- التعظيم: كما في قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} ؟ يراد تعظيمه "سبحانه"، وأن الأمن في الشفاعة مرجعه إليه، ومنوط بإذنه وإرادته.

١٤- التسوية: كما في قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} أي إنذارهم وعدمه سيان، فهم -في الحالين- معرضون.

١٥- التقرير: أي حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه كما في قوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} ؟ فحمل الاستفهام على حقيقته ممنوع بداهة؛ لأنه قول الله تعالى، وإنما هو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف، ومثله قوله تعالى: {أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا} ؟

١٦- الإنكار: كقولك لمن يتعاطى الخمر: "أتشرب الخمر؟ "، أو لمن يسرق: "أتسرق؟ "، فليس الاستفهام محمولًا على حقيقته إذ لا معنى للسؤال عن شيء مشاهد، إنما الغرض. الإنكار على الفاعل فعله، ويسمى الاستفهام حينئذ إنكاريًا، ولا يخرج أمره عن معنيين: التوبيخ، والتكذيب.

فالتوبيخ إما على أمر وقع فيما مضى، بمعنى "ما كان ينبغي"، أو على أمر خيف وقوعه في المستقبل، بمعنى: "لا ينبغي أن يكون"، فالأول كقولك لمن ارتكب جرمًا: "أعصيت ربك؟ " أي ما كان ينبغي لقد أن تعصيه، والثاني كقولك لمن يعتزم ارتكاب محظور: "أتعصي ربك؟ " أي لا ينبغي أن يصدر منك عصيان، ومن هذا قول الشاعر:

(١٠٤/٢)

"أفوق البدر يوضع لي مهاد؟ " أي لا ينبغي ذلك، مدعيًا: أنه أعلى مرتبة، وأسمى مكانة من البدر، فالاستفهام في كل هذا يراد به الإنكار على المخاطب فعله، وتوبيخه عليه.

والتكذيب: إما في أمر مضى بمعنى: "لم يكن" أو سيأتي بمعنى: "لن يكون"، فالأول كقوله تعالى: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا} ؟ أي لم يكن هذا الإصفاء، وهذا الاتخاذ، بل أنتم مفرتون على الله كذبًا فيما تدعون، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا فالمراد هنا: تكذيبهم في دعواهم، والثاني كقوله تعالى: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} أي أنكرهكم على قبول الحجة: وأنتم كارهون لها. يعني لن يكون هذا الإلزام والإكراه، بل الذي أنا منوط به، الإعلام لا الإلزام، فالاستفهام في "الآيتين" يراد به الإنكار على المخاطب، وتكذيبه فيما زعم ... إلى غير ذلك من المعاني التي لم يرد فيها: الاستفهام الحقيقي.

(١٠٥/٢)

اختبار- تمرين٢:

"١" عرف الاستفهام، واذكر أدواته، وبين ما يختص منها بالتصور، وما يختص بالتصديق، وما يشترك بينها، مع التمثيل لما تقول.

"٢" ما المسئول عنه بالهمزة التي للتصور؟ وماذا يراد بها في مثل قولك: "أقابلت صاحبك"؟ من كل ما ولي الفعل فيه الهمزة، وما المسئول عنه في نحو قولك: "ألقيت محمودًا أم خالدًا؟ ".

"٣" ما المسئول عنه بهمزة التصديق؟ وهل يشترط فيه إيلاؤه هذه الهمزة كما في همزة التصور؟ وجه لما تقول.

"٤" بين وجه امتناع أن يقال: "هل زارك علي أم أخوه"؟ وما وجه قبح أن يقال: "هل محمدًا قابلت؟ " ولم لم تمتنع هذه الصورة كسابقتها؟

"٥" يقولون: إن "هل" كالسين وسوف: تمحض المضارع للاستقبال، فماذا يترتب على ذلك؟ علل لما تقول مع التمثيل.

"٦" ما وجه اختصاص "هل" بالجملة الفعلية؟ وما هي النكتة في العدول بها عن الفعلية إلى الاسمية في نحو قولك: "هل أنت صادق؟ " اشرح ذلك بوفاء.

(١٠٥/٢)

"٧" أي العبارتين أدل على طلب الصدق؛ أقولك: "فهل أنت صادق؟ "، أم قولك: "أفأنت صادق؟ ".
وضح ما تقول مع التوجيه.
"٨" قسم "هل"، وعرف كل قسم، ومثل له، مع بيان علة تسميتها بالبسيطة "تارة"، وبالمركبة "أخرى".
"٩" ايت بمثال من عندك فيه الهمزة للتصديق، ثم حولها إلى همزة تصور في المثال عينه، ثم مثل للهمزة المراد بها تصور المفعول لأجله، وما المراد تصوره في قولك: "أجد قال أم هزل؟ ".
"١٠" بين ما يطلب تصوره "بما"، ثم بين مرتبة "هل" البسيطة بالنسبة "لما"، مثل لما تقول شارحًا إياه.
"١١" اذكر أربعة من المعاني التي خرج فيها الاستفهام عن معناه الحقيقي، مع التمثيل، ثم بين المراد بالاستفهام في قول الشاعر:
أتطلب صاحبًا لا عيب فيه ... وأي الناس ليس له عيوب
تمرين:
بين المعاني المستفادة من الاستفهام فيما يأتي:
{سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا} ؟ هل الحياة إلا ظل زائل؟ {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ} ؟ أتصون يدك عن الأذى؟ أتغضب والديك؟ هل تسمع قولا فيه إصلاحك؟ من ذا الذي بنى الأهرام؟ أهذا الذي كنت تركن إليه؟ أأنت الذي نال الجائزة أم يوسف؟ {يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ} ؟ أنى لكم هذا المال وقد أهلككم الفقر؟ قال النابغة:
ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب
إلام أنت لاه ولاعب؟ ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟ {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} ؟ متى يستقيم الظل والعود أعوج؟ أتركن للعدل؟ وهل سمعت بظل غير متنقل؟ أتلهو؟ وأيامنا تذهب؟ أأديت واجبك؟ هل تستوي الظلمات والنور؟ أبعد شيبي يبغي مني الأرب؟ أتكذب علينا؟ هل يعود الشباب؟

(١٠٦/٢)

جواب التمرين:

(١٠٧/٢)

تمرين يقاس على ما سبق:

بين المعاني المستفادة من الاستفهام فيما يأتي:

{هَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ} ؟ أعقوقا بعد إذ طوقت عنقي بمعروفك؟ أتسود بلا مشقة أو عمل؟ {أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ؟ من علمك؟ {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} ؟

أألبس هجر القول من لو هجرته ... إذًا لهجاني عنه معروفة عندي

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} ؟ هل يشرح المعلم الدرس؟ {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} ؟ {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} ؟ {أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ} ؟ {أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ} ؟ {مَتَى نَصْرُ اللَّهِ} ؟ أين المفزع من أمر الله؟

أأرى الصنيعة منك ثم أسرها ... إني إذًا ليد الكريم لسارق

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي ... بما كان فيها من بلاء ومن خفض

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه ... إذ كنت تبنيه وغيرك يهدم

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم ... إذا كانت الأخلاق غير حسان

إلام وفيم تنقلنا ركاب ... ونأمل أن يكون لنا أوان

بالله لفظك هذا سال من عسل ... أم قد صببت على أفواهنا العسلا

(١٠٨/٢)

مبحث التمني:

هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله، أما لكونه مستحيلا، أو لأنه بعيد الحصول، فالأول كما في قول الشاعر:

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها ... عقود مدح فما أرضى لكم كلمي

والثاني كقول أحد السوقة: "ليتني وزير".

فإن كان ذلك الشيء مترقب الحصول قريبه كان طلبه ترجيًا، ويعبر فيه حينئذ بألفاظ الترجي "كلعل وعسى" كقوله تعالى: {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ

(١٠٨/٢)

بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} وقوله تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ} ، ولا بحث لنا فيه؛ لأنه ليس من أقسام الطلب، إذ هو عبارة عن تقرب حصول الشيء محبوبًا كان أو مكروهًا، والمكروه لا يطلب حصوله.

صيغة التمني: للتمني صيغ أربع: أحداها أصلية فيه، والثلاث الباقية غير أصلية، وإليك بيانها:

"١" ليت: وهي الأداة الموضوعة لأجل التمني أصالة، وقد تقدمت أمثلتها فلا داعي لذكرها.

"٢" هل: ويتمنى بها، فتعطي حكم "ليت"، وينصب المضارع بعدها على إضمار "أن" كما في قوله تعالى: {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا} ؟ على معنى: ليس لنا شفعاء، ونكتة التمني بها: إبراز المتمني الذي لا طماعية في حصوله في صورة المستفهم عنه، الممكن الوجود، المطموع في حصوله إظهارًا لكمال العناية به، وشدة الرغبة فيه، وإنما لم تحمل على معناها الحقيقي، "وهو الاستفهام" للعلم بأن لا شفعاء لهم، ولا شفاعة.

"٣" لو: ويتمنى بها، فتعطي أيضًا حكم "ليت"، وينصب في جوابها المضارع على إضمار "أن" كسابقها كما في قوله تعالى: {لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ، وكما في قولنا: "لو تأتينا فتحدثنا" على معنى: "ليت لنا كرة، وليتك تأتينا" ونكتة التمني بها: إبراز المتمني للإشعار بعزته في صورة الممتنع إذ إن "لو" –في الأصل– حرف امتناع لامتناع، ولم تحمل على معناها الحقيقي "وهو الشرطية" لنصب الفعل بعدها.

"٤" لعل: ويتمنى بها، فتعطي كذلك حكم "ليت"، وينصب المضارع بعدها على إضمار "أن" كما سبق لأختيها كقوله تعالى حكاية عن فرعون موسى: {لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى} على معنى ليتنى أبلغ الأسباب، ومنه قول الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير جناحه ... لعلي إلى من قد هويت أطير

على معنى: ليتني أطير، ولم تحمل على معناها الحقيقي الذي هو "الرجاء" لاستحالة بلوغ الأسباب في الأول، والطيران في الثاني، ونكتة التمني بها: إبراز المتمني البعيد الحصول في صورة القريب المترقب حصوله إشعارًا بكمال العناية به، والشوق إليه.

تنبيهان:

الأول: كما تستعمل "لعل" في مقام التمني لنكتة إبراز البعيد الحصول في صورة القريب المتوقع حصوله، تستعمل "ليت" في مقام الترجي لنكتة إبراز المرتقب حصوله في صولة البعيد الحصول "عكس الأول" كما في قول الشاعر:

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي ... من البعد ما بيني وبين المصائب

يقول: إنه مبتلى بأمرين بعد الأحبة عنه: وقرب المصائب منه. فهو يرجو لو تبتعد عنه المصائب ابتعاد الأحبة، وهذا المرجو كما يبدو مترقب الحصول، ولكن لما كان بعيد المنال "في زعمه" وأنه أمر لا طماعية فيه، ولا أمل في الوصول إليه عبر فيه "بليت" تنزيلا للمترجي القريب الحصول منزلة المتمني البعيد الحصول.

الثاني: اعلم أن "هل" قد يزاد عليها حرف "لا"، فيقال: "هلا" بالتشديد، وقد تقلب الهاء همزة، فيقال: "ألا"، كذلك "لو" قد يضم حرف "لا" أو "ما" فيقال: "لولا ولوما"، وبهذا يتكون حروف أربعة، تصلح للتمني بها، هدى، هلا، وألا، ولولا، ولوما؛ وإنما ركبت "هل ولو" هذا التركيب ليزول احتمال معنى الاستفهام في هل ومعنى الشرط في لو ويتعين معنى "التمنى"، فإذا دخلت أحداهما على الفعل الماضي حينئذ أفادت معنى "التنديم" أي جعل المخاطب نادمًا وإن دخلت على المضارع أفادت معنى "التحضيض والحث" أي حض المخاطب وحثه على الفعل، تقول في الأول: "هلا سافرت" أو "لولا سافرت"، على معنى: "هلا تخلص في عملك"، أو "لو ما" تصدق في قولك: على معنى: ليتك تخلص أو ليتك تصدق، تريد حضه على الإخلاص أو الصدق. ا. هـ.

(١١٠/٢)

مبحث النداء:

هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف ناب مناب أدعو" لفظنا كقوله تعالى: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} ، أو تقديرًا كقوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} .

صيغ النداء:

للنداء صيغ ثمان هي: الهمزة، أي، يا، آ، آي، أيا، هيا، وا، وهي في الاستعمال قسمان:

الأول: الهمزة وأي، وهما موضوعتان لنداء القريب.

الثاني: باقي الأدوات، وهي موضوعة لنداء البعيد.

وقد ينزل البعيد منزلة القريب، فينادى "بالهمزة وأي" تنبيها على أنه في القلب حاضر، ولا يغيب عن الحاضر كما في قول الشاعر:

أسكان نعمان الأراك تيقنوا ... بأنكمو في ربع قلبي سكان١

وقد يعكس فينزل القريب منزلة البعيد، فينادى بأدوات البعيد لغرض من الأغراض منها:

١- الإشعار بأن المنادى رفيع القدر، عظيم الشأن، فينزل بعد المنزلة منزلة بعد المكان كما في قولك: "يا الله"

وكقول العبد لسيده، وهو في حضرته: "يا مولاي".

٢- الإشارة إلى أن المنادى وضيع المنزلة، منحط المكانة، فكأنه بعيد عن ساحة عز الحضور كما في قولك: "من أنت يا هذا؟ " لمن هو بين يديك.

٣- الإشارة إلى أن السامع غافل لذهول، أو نوم، أو نحو ذلك، فيعتبر كأنه غير حاضر في مجلس الخطاب كقولك للساهي: "أيا فلان"، إلى غير ذلك.

استعمال الصيغة في غير معناها الحقيقي:

تخرج صيغة النداء عن معناها الأصلي الذي هو "طلب الإقبال" إلى معان أخر مجازية، تفهم من القرائن أشهرها:

الإغراء، وهو الحث على التزام الشيء، والتمسك به كقولك لمن أقبل يتظلم: "يا مظلوم"، فليس الغرض منه، حقيقة النداء الذي هو طلب الإقبال؛ لأن الإقبال حاصل، فلا معنى لطلبه، إنما المراد: إغراء المخاطب، وحثه على زيادة التظلم، وبث الشكوى، بقرينة الحال.

الاختصاص: هو هنا تخصيص الشيء من بين أمثاله بما نسب إليه كأن يقول إنسان: "أنا أكرم الضيف أيها الرجل" و"أنا أيها البطل أكشف الكروب" يريد في الأول أن يقول: أنا مختص من بين الرجال بإكرام الضيف، وفي الثاني يريد: أنا مختص من بين سائر الأبطال بكشف الكروب، والاختصاص على صور ثلاث:

---

١ نعمان الأراك: اسم مكان، والربع: المنزل.

"أ" أن يكون على صورة المنادى، إلا أنه لا يجوز فيه إظهار حرف النداء إذ لم يبق فيه معنى النداء أصلًا كما مثلنا -وكما في قولك: "علي أيها الكريم يعتمد" أي أنا مختص من بين سائر الكرام بالاعتماد علي.

"ب" أن يكون معرفًا "بأل" كقولهم: "نحن العرب أسخى الناس"، و"نحن الليبيين ننشد الحرية، ونأبى الضيم".

٣- أن يكون معرفًا بالإضافة كقولهم: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث" أو نحن "أبناء طرابلس" لا نرضى به بديلا.

٤- أن يكون معرفًا بالعلمية، وهو نادر الوقوع كقول الراجز العربي: بنا "تميم" يكشف الضباب.

فليس الغرض من النداء في هذه الصور: حقيقة الإقبال إذ ليس المراد "بالاسم الظاهر" في هذه المثل: المخاطب، بل المراد: المتكلم نفسه، وهو لا يطلب إقبال نفسه، لهذا حمل على معنى الاختصاص معونة المقام،

كأن يكون الكلام في معرض الفخر والمباهاة كما في الأمثلة السابقة، أو في معرض التواضع والمسكنة كما في قولك: "أنا أيها العبد فقير إلى عفو ربي".

وقد يكون الحامل عليه: مجرد بيان الغرض من الضمير كقولهم: "اللهم اغفر لنا أيتها العصابة".

الاستغاثة والندبة: فالأول نحو: "يا لله للمسلمين"، والثاني نحو "واحسيناه" فمن الجلي أن ليس المراد حقيقة النداء، إنما الغرض: الاستغاثة بالمخاطب في الأول، والبكاء عليه في الثاني.

التحسر والتحزن: كما في نداء القبور، والأطلال، والمنازل الدارسة كقول الشاعر يرثي معن بن زائدة:

أيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

وكقول آخر:

أيا منزلي سلمي سلام عليكما ... هل الأزمن اللاتي مضين رواجع

فليس المراد حقيقة النداء كما هو ظاهر إذ ليست هذه الأشياء مما ينادى بها ويطلب إقباله، وإنما الغرض التحسر والتفجع لفقدان الأحبة، وذهاب أيامهم، وما كانوا فيه من مجد وعز وحول وطول.

(١١٢/٢)

الزوجر والملامة: كما في قول الشاعر:

أفؤادي متى المتاب ألما ... تصح والشيب فوق رأسي ألما[١]

يزجر الشاعر نفسه، ويلومها على تماديها في غيهة وضلالها، وقد وخطه الشيب، وهو نذير الفناء أي فكان ينبغي أن يرعوي عن غيه، ولا يتمادى في ضلاله.

التعجب: كما في قول الشاعر:

يا لك من قمبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضى واصفرى

إلى غير ذلك مما لا يراد منه حقيقة النداء.

---

١ ألما بمعنى نزل والألف للإطلاق.

(١١٣/٢)

اختبار– تمرين٣:

"١" عرف التمني، ومثل له، وافرق بينه وبين الترجي، وهل الترجي من أقسام الطلب؟ ولما؟ مثل لما تقول.

"٢" اذكر أدوات التمني، ثم بيّن معنى "هل" في قوله تعالى: {فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ} ؟ وما هي النكتة في استعمال أداة الاستفهام في التمني.

"٣" بين السبب في استعمال "لو" في معنى التمني في قول المعسر: "لو أن لي مالا فأصدق منه على الفقراء والمحتاجين".

"٤" بين سر استعمال "لعل" في معنى التمني في قول ذي الفاقة: "لعل لي قنطارًا من ذهب".

"٥" قال رجل: "ليت الدهر يصفو لي" فما وجه التعبير "بليت"، في حين أن صفاء الزمان ليس مما يستبعد حصوله.

"٦" عرف النداء: ومثل له، وقسم صيغه باعتبار استعمالها، مع بيان ما تعرف: من دواعي استعمال صيغة المنادى البعيد في القريب.

"٧" هات مثالين خرجت فيهما صيغة النداء عن معناها الحقيقي، مع بيان علة خروجها عن المعنى.

(١١٣/٢)

"٨" ما المقصود بالنداء في قوله تعالى: {رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ} ، وفي قول الشاعر: "أيا منازل سلمى أين سلماك".

"٩" هات مثالًا من إنشائك في مقام التمني مستعملًا فيه "لعل"، وبين فيه نكتة الاستعمال.

تمرين:

بين المعاني المستفادة من الجمل الآتية، مع بيان السر في عدم حملها على المعاني الحقيقية.

"١" هل إلى مرد من سبيل؟

"٢" لو تسالمني الأيام فأتقي شرها.

"٣" لعلي أرى طيفك في المنام. "٤" إسكان العقيق كفى فارقًا.

"٥" يا مهيض الجناح. "٦" نحن "المصريي" من سلالة الفراعنة.

"٧" يا لك مزبطل. "٨" لو تتلو الآيات فتشق سمعي.

"٩"

صاح شمر ولا تزال ذاكر ... الموت فنسيانه ضلال مبين

"١٠"

يا لقومي ويا لأمثال قومي ... لأناس عقوهم في ازدياد

"١١"

أيها القلب قد قضيت مراما ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

"١٢"

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

"١٣"

يا ليلة لست أنسى طيبها أبدا ... كأن كل سرور حاضر فيها

جواب التمرين:

(١١٤/٢)

تمرين يطلب جوابه على قياس ما سبق:

لعل لي ضياعًا واسعة وجاها عريضًا، يا مسلوب الحق، نحن معشر العرب لا نرضى الهوان، يا لله من ظلم الإنسان، وافضيلتاه، يا له من برهان ساطع، يا قلب متى ترعوي عن غيك؟ لو يولد لي ولد صالح فيدعو لي.

ألا عم صباحًا أيها الطلل البالي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسدونه

يا ناق سيري فقط أفنت أناتك بي ... صبري وعمري وأحلاسي وأنساعي[١]

---

١ "أحلاس" جمع حلس بكسر الحاء وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت البردعة و"الأتساع" جمع تسع بكسر النون سير من جلد يشد به الرحل، والمعنى أسرعي أيتها الناقة فقد نفذ الصبر والعمر، وبلي ما عليك من رحل لطول زمن الركوب، فهو يشكو من بطء ناقته، ويتضجر من طول الركوب.

(١١٥/٢)

الفصل والوصل

مدخل

...

الفصل والوصل:

الوصل:

عطف جملة فأكثر على أخرى، والفصل: ترك هذا العطف والبحث هنا مقصور على العطف بالواو لا غير، إذ هي التي يقع فيها الاشتباه لأنها لمطلق الجمع، ولمجرد تشريك ما بعدها لما قبلها في إعرابه، فلا بد فيها إذا من معنى جامع بين المتعاطفين يصحح العطف، وهذا المعنى لا يوفق إليه إلا من أوتي حظا من حسن الذوق، ورزق قريحة وقادة، لهذا كانت هذه "الواو" محك رجال هذا الفن، ومقياس أقدارهم فيه، حتى قصر بعض العلماء "البلاغة" على معرفة "الفصل والوصل" بخلاف غيرها من حروف العطف فلا بحث لهم فيه إذ لا يقع فيه اشتباه؛ لأن كل حرف من هذه الحروف يفيد –مع التشريك في الإعراب– معنى آخر كالترتيب مع التعقيب في "الفاء"، ومع التراخي في "ثم"، وكالتخيير والإباحة في "أو"، وهكذا سائر الحروف العاطفة، فإذا تحقق هذا المعنى حسن العطف، وإن لم توجد جهة جامعة بين المتعاطفين، ولكل من الفصل والوصل مواضع خاصة وهاك بيانها:

(١١٥/٢)

مواضع الفصل والوصل:

الأول: أن يكون بين الجملتين "كمال انقطاع"، بحيث لا يصح الربط بينهما لكن ذلك مشروط بألا يكون في الفصل إيهام خلاف المراد كما سيأتي بيانه بعد، وإنما وجب الفصل في هذه الحالة لأن العطف بالواو يقتضي المناسبة بين الجملتين، ولا مناسبة فيما بينهما كمال انقطاع.

الثاني: أن يكون بين الجملتين "كمال اتصال"، بحيث لا يصح التغاير بينهما، وإنما وجب الفصل في هذه الحالة؛ لأن العطف بالواو يقتضي المغايرة بين الجملتين، ولا مغايرة فيما بينهما كمال اتصال.

الثالث: أن يكون بين الجملتين "شبه كمال انقطاع".

الرابع: أن يكون بين الجملتين "شبه كمال اتصال"، وإنما وجب الفصل في هاتين الحالتين لما ذكر في الحالتين الأوليين لأن شبه الشيء يأخذ حكمه.

الخامس: أن يكون بين الجملتين "توسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال" مع قيام المانع من الوصل، وإليك تفصيل القول في المواضع الخمسة على الترتيب المذكور:

أما كمال الانقطاع بين الجملتين "بالشرط المتقدم"، فيتحقق في صورتين:

الأولى: أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاء بأن تكون أحداهما خبرًا لفظًا ومعنى، أو معنى فقط، وتكون الأخرى إنشاء لفظًا ومعنى، أو معنى فقط، فالمدار في الاختلاف على المعنى١.

فمثال اختلافهما لفظًا ومعنى "والأولى هي الإنشاء" قول الشاعر:

لا تسأل عن المرء عن خلائقه ... وجهه شاهد من الخبر

فصلت الجملة الثانية عن الأولى لاختلافهما خبرا وإنشاء في اللفظ والمعنى كما ترى، ومثله قول الشاعر:

---

١ فإن اختلفا لفظًا فقط وجب الوصول نحو قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} إلى قوله: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} فقوله: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} عطف على قوله: {لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ} لأنه بمعنى النهي أي "لا تعبدوا".

وقال رائدهم أرسوا نزاولها ... فحتف كل امرئ يجري بمقدار١

يقول: أقيموا في هذا المكان نقاتل العدو، ولا تحجموا عن قتاله خشية الموت، فلكل إنسان أجل محدود ينتهي إليه، فلا الإقدام يدنيه، ولا الإحجام يقصيه، والشاهد في قوله "أرسوا نزاولها" حيث فصل بين الجملتين لاختلافهما خبرًا وإنشاء كما ترى.

ومثال اختلافهما لفظا ومعنى "والأولى هي الخبر" عكس ما تقدم قولك: "ضل زيد السبيل، اهده يا عمرو".

ومثال اختلافهما معنى "وهما في اللفظ خبران" قولهم: "سافر محمد، بلغه الله مناه" فالثانية –وإن كانت خبرًا في اللفظ– هي في المعنى إنشاء للدعاء، على معنى: اللهم بلغه مناه.

ومثال اختلافهما معنى "وهما في اللفظ إنشاءان" قولك عند ذكر من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم: "ليتبوأ مقعده من النار، لا تصاحبه أيها الصديق". فالأولى –وإن كانت إنشاء في اللفظ– هي في المعنى خبر. في المعنى خبر على معنى: يتبوأ مقعده. ومثله أن تقول: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} ؟ اتق الله أيها العبد"، فالأولى خبرية معنى على معنى: الله كاف، وإن كانت في اللفظ إنشاء.

الصورة الثانية: أن تتفق الجملتان خبرًا وإنشاء، ولكن لا تناسب بينهما في المعنى، أو في السياق، فالأولى: نحو أن تقول لآخر: "خرجت من داري، أبدع ما قيل من الشعر كذا"، فتفضل الثانية عن الأولى لعدم المناسبة بين الخروج من الدار وإبداع ما قيل من الشعر، مع اتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى، والثاني: نحو قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} ، بعد قوله تعالى: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْغَيْبِ} الآية، لم يعطف قوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} ... إلخ على قوله: {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} ... إلخ، مع ما بينهما من مناسبة في المعنى بالتضاد: من حيث إن الأول مبين لحال المؤمنين، والثاني مبين

---

١ الرائد في الأصل من يتقدم القوم لطلب الماء أو الكلأ، والمراد هنا الشجاع "المقدام" و"أرسوا" أقيموا و"نزاولها" بالرفع: نحاولها ونعالجها والضمير للحرب و"الحتف" الهلاك و"المقدار" قضاء الله.

لحال الكفار؛ لأن بيان حال المؤمنين غير مقصود بالذات، وإنما ذكر بطريق التبع لبيان حال الكتاب، في قوله: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ} ، وليس بين حال الكتاب، وحال الكفار مناسبة ظاهرة، تقتضي الوصل.

واعلم أن المانع من العطف في هاتين الصورتين ذاتي، لا يمكن دفعه أصلا، وهو كون الجملتين لا تناسب بينهما كما أوضحناه لك فيما تقدم.

وأما كمال الاتصال بين الجملتين:

فيتحقق في أن تتحد الجملتان اتحادًا تامًّا، بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها، وذلك في صور ثلاث:

الصورة الأولى: أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيدًا لفظيًّا، أو معنويًّا.

فالتأكيد اللفظي: أن يكون مضمون الجملة الثانية هو مضمون الجملة الأولى لدفع توهم الغلط أو السهو في الجملة الأولى كما في قوله تعالى:

{فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} ، فصل بين الجملتين؛ لأن الثانية بمثابة التأكيد اللفظي من الأولى وهو ظاهر.

والتأكيد المعنوي: أن يختلف مفهوما الجملتين، ولكن يلزم من تقرر معنى إحداهما: تقرر معنى الأخرى لدفع توهم التجوز في الجملة الأولى كقوله تعالى: {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} فصل بين الجملتين؛ لأن الثانية من الأولى بمنزلة التأكيد المعنوي لاختلاف مفهومي الجملتين؛ ولأن مضمون الثانية منهما مقرر لمضمون الأولى، ذلك أنه إذا كان ملكًا لم يكن بشرًا، فإثبات ملكيته تحقيق وتأكيد لنفي بشريته.

الصورة الثانية: أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولى، بأن يكون في الأولى قصور، أو خفاء في وفائها بالمراد، وتكون الثانية أوفى به منها، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه.

والبدل –كما هو معلوم– أنواع ثلاثة: بدل بعض، وبدل اشتمال، وبدل كل بناء على اعتباره في الجمل.

فمثال بدل البعض قوله تعالى: {أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} فصل بين الجملتين؛ لأن الثانية من الأولى بمثابة بدل البعض لقصور الأولى عن وفائها بالمراد، ذلك أن المراد: التنبيه على نعم الله

"سبحانه"، والمقام يقتضي اهتمامًا بشأن هذا التنبيه، لأنه إيقاظ للغافلين من سنة غفلتهم عن نعم الله تعالى، وليس من شك: أن الجملة الثانية أوفى بتأدية هذا المراد لدلالتها على نعم الله تفصيلا

(١١٨/٢)

بخلاف الجملة الأولى، فإن في وفائها بهذا المراد قصورًا لدلالتها عليه إجمالا، وإنما كانت الجملة الثانية بمثابة بدل البعض من الأولى؛ لأن ما ذكر في الجملة الثانية من النعم الأربع بعض ما يعلمون، فهي على وزان "وجهه" من قولك: "أعجبني محمد وجهه".

ومثال بدل الاشتمال قوله تعالى: {اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} ، فصلت الثانية عن الأولى إذ أبدلت منها بدل اشتمال؛ لأنها أبين وأوفى من الأولى في تأدية المعنى المقصود، وهو حمل المخاطبين على اتباع الرسل، إذ مفادها: أنهم لا يخسرون معهم شيئًا عن دنياهم بل يربحون صحة دينهم، فينتظم لهم خيري الدنيا والآخرة، وإنما كانت الثانية بدل اشتمال؛ لأن اتباع الرسل يتضمن اتباعًا موسومًا بالهداية والسعادة، وهو مضمون الجملة الثانية، فوزانها حينئذ وزان "علمه" من قولك: "أعجبني محمد علمه"، ومثله قول الشاعر:

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا ... وإلا فكن في السر والجهر مسلما

يقول: إنك لم تخلص في صحبتنا، وإن ظاهرك وباطنك على طرفي نقيض، فارحل إذًا، ولا تقم بيننا، وإلا فكن على ما ينبغي أن يكون عليه الرجل المسلم: من طهارة وصفاء في سره وعلنه، والشاهد في قوله "ارحل لا تقيمن" حيث أبدلت الجملة الثانية من الأولى بدل اشتمال إذ هي أوفى منها في تأدية المراد الذي هو "إظهار كمال الكراهية في إقامته"؛ لأنها تدل عليه دلالة صريحة، مع تأكيدها بالنون، وإنما كان البدل اشتمالا؛ لأن الارتحال يتضمن عدم الإقامة.

ومثال بدل الكل قوله تعالى: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ، قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} ؟ أبدلت جملة "قالوا" الثانية من جملة "قالوا" الأولى بدل كل، لأن الثانية أوفى من الأولى من حيث إنها مفصلة للمقول، فوزانها وزان "أخوك" من قولك: "زارني محمد أخوك"، وإنما كان بدل كل؛ لأن الجملتين بمعنى واحد، والاختلاف بينهما إنما هو بالإجمال والتفصيل.

ومثله قولهم: "فلان جمع بين أمرين: بين طهارة السريرة وحسن السيرة". وقولهم: "قنعنا بالأسودين، قنعنا بالماء والتمر". وقولهم في امراة تزني وتتصدق توبيخًا لها: "لا تجمعي بين الأمرين، لا تزني ولا تتصدقي"، ومن لم يعتد ببدل الكل من الجمل يجعل كل هذه الأمثلة من تمييز التوكيد، أو من قبيل عطف البيان الآتي بعد.

الصورة الثالثة: أن تكون الجملة الثانية بيانًا للأولى لخفائها، والمقام يقتضي إزالة هذا الخفاء، كقوله تعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى} فصلت جملة {قَالَ يَا آَدَمُ} عن جملة {فَوَسْوَسَ} ؛ لأنها موضحة لها، بمثابة عطف البيان منها لخفائها إذ لم تتبين تلك الوسوسة. فوزان {قَالَ يَا آَدَمُ} وزان "عمر" من قولهم: "أقسم بالله أبو حفص عمر". وكالآية الكريمة الأمثلة المتقدمة في بدل الكل عند من لم يعتد به في الجمل.

وأما شبه كمال الانقطاع:

فيتحقق في أن يكون عطف الثانية على الأولى موهمًا بعطفها على غيرها، وهو غير مقصود لما في العطف على هذا الغير من خلل في المعنى ذلك يكون في جملة مسبوقة بجملتين، يصح عطفها على أحدهما للوجوه المناسبة، ولا يصح عطفها على الأخرى لفساد المعنى، فيترك العطف حينئذ دفعًا لتوهم أنها معطوفة على هذه الأخرى.

مثاله قول الشاعر:

وتظن سلمى أنني أبغي بها ... بدلا أراها في الضلال تهيم

لم يعطف جملة "أراها" على "تظن" لئلا يدور في خلد السامع أنها معطوفة على "أبغي" لقربها منها، فتكون من مظنونات "سلمى"، ويصير المعنى حينئذ: أن سلمى تظن: أنني أبغي بها بدلا، وتظن أيضًا: أنني أراها تهيم في الضلال، وليس هذا مراده أن يقول: إن "سلمى" أخطأت في زعمها أنني أبغي بها بدلًا، بدليل قوله بعد هذا البيت أو قبله:

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا ... عنها طلال باللوى ورسوم

وشبه هذا بكمال الانقطاع لاشتماله على مانع من العطف "كما بينا" وإنما لم يكن من كمال الانقطاع، لأن المانع ليس من ذات الجملتين، بل خارج عنهما، يمكن دفعه بنصب قرينة على المراد.

وأما شبه كمال الاتصال:

فيتحقق في أن تكون الجملة الثانية جوابًا لسؤال نشأ عن الجملة الأولى، فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمى الفصل "استئنافًا"، وتسمى الجملة الثانية "مستأنفة"، والسؤال الناشئ عن الجملة الأولى يكون عن واحد من ثلاثة.

الأول: عن سبب عام للحكم الذي تضمنته الجملة الأولى، بمعنى أن السائل يجهل السبب من أصله كما في قول الشاعر:

قال لي كيف أنت قلت عليل ... سهر دائم وحزن طويل

فالجملة الأولى هي قوله: "عليل" إذ التقدير: "أنا عليل"، وقد فصلت عنها جملة "سهر دائم ... إلخ"؛ لأنها وقعت جوابًا لسؤال ناشئ عن الجملة الأولى، وكان المخاطب حين سمع قوله: "عليل" تساءل: ما سبب علتك؟ فأجاب سهر دائم، وحزب طويل، ومثله قول الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير ... عرفت بها عدوى من صديقي

فصل بين الجملتين؛ لأن الثانية في موقع الجواب عن سؤال ناشئ عن الجملة الأولى، وكأن سائلا قال: لم دعوت للشدائد بالخير على غير المألوف، فأجاب: عرفت بها ... إلخ.

الثاني: عن سبب خاص للحكم الذي دلت عليه الجملة الأولى؛ أهو حاصل أم غير حاصل؟ كما في قولك: "إني لأتهم نفسي إن النفس نزاعة إلى الشر" فصلت الثانية لوقوعها جوابًا لسؤال نشأ عن الجملة الأولى، وكان سائلا سأل: لم تتهم نفسك ألأنها مطبوعة على حب الشر؟ أم لسبب آخر؟ فأجاب: إن النفس نزاعة إلى الشر، منطبعة على طلب ما لا ينبغي، ومنه قوله تعالى: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} .

وهذا النوع من السؤال يقتضي تأييد الحكم الذي تضمنته الجملة الثانية؛ لأن السائل –كما عرفت– في حكم المتردد في حصوله، وقد تقدم في مبحث الإسناد الخبري أن المتردد يؤكد له الخبر استحسانًا.

الثالث –عن غيرهما– أي لا عن سبب عام ولا خاص، ولكن عن شيء آخر له تعلق بالجملة الأولى كما في قوله تعالى: {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} فصلت جملة: {قَالَ سَلَامٌ} عن جملة: {فَقَالُوا سَلَامًا} ؛ لأن الثانية جواب عن سؤال ناشئ عن الأولى، وكأن سائلًا سأل: فماذا قال إبراهيم عليه السلام ردًّا لتحيتهم؟ فأجاب: "قال: سلام"، ومثله قول الشاعر:

زعم العواذل أنني في غمرة ... صدقوا ولكن غمرتي لا تفجلي

يقول: قد اتهمني العذال، فزعموا: أنني في كرب وشدة، مما ينتاب القلب من لوعة الهوى، وقد صدقوا فيما زعموا، غير أن ما أنا فيه من شدة لا مطمع لي في زواله. والشاهد فيه: فصل جملة "صدقوا" عن جملة "زعم العواذل"؛ لأن الثانية جواب عن سؤال ناشئ عن الأولى، ذلك أن مساق الكلام: في بث الشكوى من جماعة العذال، وهذا مما يحرك السامع لأنْ يسأل: أصدقوا في هذا الزعم أم كذبوا؟ فأجاب: صدقوا، والسؤال في

هذين المثالين لا عن سبب عام ولا خاص إذ إن قول إبراهيم عليه السلام ليس سببًا لسلام الملائكة لا عامًّا ولا خاصًّا، كما أن صدق العواذل ليس سببًا لما زعموه على خلاف ما تقدم من أن "السهر الدائم" سبب في المرض، و"كون النفس نزاعة للشر، أمارة بالسوء" سبب في اتهامها.

وأما التوسط بين الكمالين مع قيام المانع من الموصل:

فيتحقق في جملتين: لا يوجد بينهما سبب من أسباب الفصل المتقدمة، ولكن لأولاهما حكم، لا يصح تشريك الثانية فيه لما يترتب على هذا التشريك من اختلال المعنى كما في قوله تعالى: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} لم يعطف جملة: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} على جملة "قالوا" الواقعة جوابًا للشرط لما يلزم على هذا المعطف من فساد المعنى، ذلك أن جملة {قَالُوا} مقيدة بالظرف الذي هو "إذا" والمعنى أنهم إنما يقولون ذلك وقت خلوهم بشياطينهم فحسب، فلو عطف جملة {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} على جملة {قَالُوا} لزم تشريك الثانية في حكم الأولى، وهو "التقيد بالظرف المذكور" فيكون المعنى حينئذ: إن الله يستهزئ بهم وقت خلوهم بشياطينهم فقط كالذي قبله وهو باطل إذ إن استهزاء الله بهم –بمعنى: مجازاته لهم بالخذلان– متحمل لا يتقيد بزمن.

كذلك لم يعطف جملة {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} على جملة {إِنَّا مَعَكُمْ} الواقعة مفعولا "لقالوا" لما يلزم على هذا العطف من فساد المعنى كذلك، ذلك أن قوله: {إِنَّا مَعَكُمْ} مفعول {قَالُوا} ، فهو إذًا من مقول المنافقين، فلو عطف قوله: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} على قوله: {إِنَّا مَعَكُمْ} لزم تشريك الثانية في حكم الأولى، وهو كونها مفعولا "لقالوا"، فيلزم أن تكون جملة {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} من مقول المنافقين أيضًا في حين أنها من مقول الله "سبحانه" فبطل إذا عطفها عليها لما يلزم عليه من هذا الفساد.

وإذ قد استوفينا القول في مواضع الفصل، فإليك الحديث مفصلا عن:

مواضع الوصل:

الأول:

أن يكون بين الجملتين كمال انقطاع، مع إيهام الفصل خلاف المواد، ويتحقق هذا في أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاء، ولكن فصل إحداهما عن الأخرى يوهم خلاف المقصود، كقولك عندما تريد أن تنفي شيئًا في حديث تقدم، مع إرادة الدعاء للمخاطب بالسداد مثلا: لا، وسدد الله خطاك. فقولك: "لا" رد لكلام سابق كأن يقال مثلا: هل الأمر كما زعم فلان؟ فتقول: "لا" أي ليس الأمر كما زعم، فهي جملة خبرية، "وسدد الله

خطاك" جملة إنشائية دعائية، فبين الجملتين إذا كمال انقطاع، وكان مقتضى ذلك: أن يجب الفصل لاختلافهما خبرًا وإنشاء، لكن يجب الوصل هنا دفعًا لإيهام خلاف المراد إذ لو ترك الوصل، فقيل: "لا سدد الله خطاك" لأوهم الكلام أنه دعاء على المخاطب بعدم السداد، في حين أن المقصود الدعاء له بالسداد، ومثله قولهم: "لا وشفاه الله"، جوابًا لمن سأل: هل نقه محمد من مرضه؟ فإن ترك المعطف –والحالة الثانية– يوهم الدعاء عليه بعدم النقاهة، مع أن الغرض الدعاء له بالنقاهة[1]؛ لهذا يوجب الفصل فيما ذكرنا وأمثاله دفعًا لهذا الإيهام.

الثاني: أن يكون بين الجملتين توسط بين الكمالين، مع عدم وجود مانع من الوصل، ويتحقق هذا في أن تتفق الجملتان خبرًا وإنشاء، وليس في عطف إحداهما على الأخرى ما يوجب فساد المعنى، ولهذا النوع ثماي صور، نذكرها لك فيما يلي:

١– أن تتفق الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى كقول الله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ} ، وكقوله تعالى: {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} ، فالجملتان –في المثالين– خبريتان لفظًا ومعنى.

٢– أن تتفق الجملتان في الإنشائية لفظًا ومعنى كقوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} ، وكقوله تعالى: {فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا

---

١ سأل هارون الرشيد نائبه عن شيء، فقال: لا وأيد الله الأمير. فلما سمع الصاحب ذلك قال: هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ على خدود الملاح.